الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

معالم المنهج اللغوي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني

من خلال كتابه :

"عمدة القارئ شرح صحيح البخاري"

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالب :

ابن يوسف شتيح

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد المجيد عيسا ني

السنة الجامعية

2014/ 2013

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	
الملخص بالفرنسية	
مقدمة	(أ – هـ)
مدخـــل : الإمام بدر الدين العيـني حياتــه وآثـــاره	
تمهيد	
I. بدر الدين العيني حياته وعلمه	**2**
1- اسمه ونسبه ومولده	**2**
2- طلبه للعلم ورحلاته	**4**
3- وفاة الإمام العيني	**7**
II. الإمام العيني وآثاره العلمية	**8**
1 - مؤلفاته المطبوعة	**10**
2- مؤلفاته المخطوطة	**25**
3 - مؤلفاته المفقودة	**29**
***نتائج الفصل**	**36**
الفصل الأول : كتاب "عمدة القارئ شرح صحيـح البخاري" مكانتـه ومنهجـه	
تمهيد	
I.عمدة القارئ ومكانته العلمية	**38**
1 - سبب تأليفه	**38**
2- إسناد العيني في كتابه عمدة القارئ	**41**
3- بين عمدة القارئ وفتح البارئ	**44**
أ- مزايا عمدة القارئ و فضائله	**45**
ب- مزايا فتح الباري لابن حجر	**47**
ج- شبهة نقل العيني شرحه من فتح الباري	**50**
د- اعتراضات العيني على ابن حجر	**54**
II .منهج العيني في شرحه على صحيح البخاري	**58**
1- تبويب العيني لمادة الشرح	**59**
2- عرض المادة من غير تبويب	**60**

3 – منهج العيني في دراسة أحاديث البخاري سندا ومتنا **68**
أ- منهج العيني في دراسة السند **68**
ب- منهج العيني في دراسة المتن **76**
4- منهج العيني في دراسة اللهجات واللغات **82**
5- مصادر العيني في شرحه على البخاري ومنهجه في النقل منها **86**
أ- النقل المباشر **86**
ب- النقل غير المباشر **88**
***نتائج الفصل** **97**

الفصل الثاني : التحليل الصرفي والمعجمي والدلالي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني

تمهيد .....

I. التحليل الصرفي عند العيني **99**
1- ظواهر صوتية مزجها العيني بتحليله الصرفي **101**
أ- الإبدال **101**
ب- الإعلال **102**
ج- الحذف **102**
د- الإدغام **104**
هـ- الإشباع **105**
و- التفخيـم **105**
2- التحقيق في جذر الكلمة وذكر صورها المختلفة **106**
3- عناية العيني بالأوزان **108**
4- عناية العيني بمعاني الصيغ **110**
..... **111**
* أفعل التفضيل **112**
* صيغة تفعّل **113**
* صيغة فاعل **113**
* صيغة تفاعل **114**
* صيغة استفعل **116**
* صيغة المبالغة **117**
5- عناية العيني بباب المصادر .....

فهرس الموضوعات

* مصدر الهيئة 117
*مصدر المرة 117
* المصدر الميمي 118
* المصدر واسم المصدر 119
6- في باب الجموع 120
* جمع القلة وجمع الكثرة وقيام أحدهما مقام الآخر 121
* اسم الجمع 123
* جموع نادرة أو خالفت القياس 125
7- الاحتجاج لمسائل الصرف عند العيني 125
8- مذهبه الصرفي 127
9- مؤاخذات على العيني 128
II. التحليل المعجمي وظواهره عند العيني 130
1- الإشتقاق 130
2- الترادف 140
3 - المشترك اللفظي 142
4 – التضاد 144
5 - الفروق اللغوية 147
III. التحليل الدلالي عند الإمام العيني 151
1- بيان بنية اللفظ ومظاهره 151
2- توظيف معاني الصيغ الصرفية لبيان الدلالة 153
3- تنويع وسائل إيضاح دلالة الألفاظ 155
4- **عناية العيني بالتطور الدلالي** 159
أ- الانتقال من الخصوص إلى العموم 164
ب- الانتقال من العموم إلى الخصوص 165
جـ- الانتقال من الحقيقة إلى المجاز 167
د- الانتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية 170
هـ- الانتقال من الدلالة المعنوية إلى الدلالة الحسية 172
***نتائج الفصل** 174

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث : التحليل النحوي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني

تمهيد **176**

I.منهج العيني في الإحتجاج النحوي **177**

أ–السماع **178**

1– القرآن الكريم **181**

*عناية الإمام العيني بالقراءات القرآنية **185**

2– الحديث النبوي الشريف **186**

أ – نماذج من الأحاديث التي إحتج بها العيني **186**

1– في باب الأسماء **187**

2 – في باب الأفعال **190**

3 – في باب الأدوات والحروف **192**

ب– منهج العيني في الإحتجاج بالحديث النبوي **195**

3– كلام العرب **196**

أ– منهج العيني في عرض الشواهد الشعرية وموقفه منها **203**

ب– شواهد النثر عند الإمام العيني **206**

ب – القياس **209**

II. منهج العيني في إعراب الحديث النبوي **211**

1 – بيان الأوجه الإعرابية المحتملة **212**

2– دور الإعراب في بيان المعنى وإيضاح المشكل عند العيني **213**

3– عناية العني بإعراب الجمل **215**

4– مناقشة الوجوه الإعرابية والترجيح بينها **217**

5– التوسع في الإعراب ومظاهره **219**

6 . إطالة النفس في الردود والإعتراضات **220**

III.آراء العيني النحوية واختباراته ومذ هبه النحوي **221**

1–آراؤه في باب الأسماء **221**

* العلم **222**

* المبتدأ والخبر **224**

* الإستثناء ....

* تعلق الجار والمجرور 225
*الحال 225
*النداء 227
2 . آراؤه في باب الأفعال: 228
*أفعال المقاربة 229
*الجزم 231
* اللازم والمتعدي 231
3 . آراؤه في باب الحروف 233
أ . معاني حروف الجر 233
* الباء 233
* من 234
ب- معاني حروف العطف 236
*الواو 236
* الفاء 237
* أو 238
*ثم 239
ج . أدوات الإستفهام 240
*همزة الاستفهام 240
*هل 242
د . أدوات الشرط 243
* لو الشرطية 243
*إذا الشرطية 244
4 . مذهبه النحوي 245
أ- مسائل نحوية وافق فيها المدرسة البصرية 245
ب . مسائل نحوية وافق فيها المدرسة الكوفية 247
ج- مسائل نحوية عرضها من غير ترجيح 248
***نتائج الفصل** 250
الخاتمة 252
فهرس المصادر والمراجع 255

الحمد لله الذي بنعمته تتمم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، وبتوفيقه تتحق الغايات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدنا الله .الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه الحمد لله على تواتر نعمائه، والشكر له على توافر آلائه ، فضله علينا واسع وعجزنا عن شكره ظاهر .. والصلاة السلام على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد سيدنا وإمامنا وقائدنا وأسوتنا وحبيبنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

لقد حظي القران الكريم بدراسات لغوية لا حصر لها من القدامي والمحدثين ، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنفذ أسراره، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء،بإعتباره المعجزة اللغوية الخالدة ، فكانت عناية الباحثين اللغويين عناية فاقت كل تصور حتى من غير المسلمين . وسيظل القرآن مهوى أفئدتهم، ومحط أنظارهم ما بقي الليل والنهار، إلا أن حظ السنة النبوية من هذه الدراسات، ونصيبها من تلك البحوث اللغوية يبدو قليلا إذا ما قورن بالدراسات حول الكتاب العزيز، وذلك لاعتبارات مختلفة بقيت محل بحث ونظر وهي في حاجة إلى مزيد من التحقيق العلمي الجاد.

وتبقى علاقة السنة بالقرآن علاقة شديدة الوَثاق عندما حددها قول الله تعالى (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**) النحل44.فما حظي به المبيِّن (بفتح الياء) من الدراسات اللغوية ينبغي أن يحظى به المبيّن (بكسر الياء) فكلما تهيأت الأسباب العلمية للحديث النبوي والتفت إليه الباحثون بالدراسات اللغوية على وجه الخصوص كان ذلك خدمة للقرآن نفسه وكل عناية بالسنة هي عناية أيضا بالقرآن من وجه أو من أخر. ولن يستطيع أحد أن ينكر تلك الجهود الجبارة التي بذلها المحدّثون في سبيل الحفاظ على السنة تدوينا ورواية وتدقيقا وتمحيصا ، ولقد انبهر كثيرون لذلك المنهج الحصيف الذي جمعت به حتى من غير العرب والمسلمين، وما امتلكه الأصوليون من منهج لغوي انجذبت نحوه أنظار الباحثين.

لقد أبدع علماء الحديث في وضع قواعدهم التي تأثر بها علماء الأدب والعربية تأثرا ظاهرا ،وفي إخراج منهج يصون الحديث الشريف شكلا ومضمونا، سندا ومتنا، رواية ودراية، حتى خلف علم

الحديث في أصول النحو يوم فكر القوم في وضع أوائلها، ويكاد يجمع لفيف من الباحثين أن علم أصول الحديث قد رافق نشأة علم أصول النحو ، ومهما نبالغ في وصف ما كان للحديث من أثر في النحو وأصوله، وفي مختلف العلوم ومناهجها ، نظل دون إيفاء علم الحديث حقه، فما من تيار فكري إسلامي إلا وله من أثر الحديث أثر معلوم، إن لم يكن فيما حمله تراث النبوة من وصايا وحكم وتعاليم، ففي طرق التحمل والأداء، وشروط الرواية الرواة، ومقاييس النقد والتجريح وأساليب التصنيف والتخريج، ومعايير الموازنة والترجيح .فهذه كلها دخلت شواهد النحو وسادت أبحاث اللغة، وارتفعت إلى أخبار الأدب ،وتركت في ذلك كله أصداءها وآثارها .

يرى بعض الباحثين وهم يناقشون قضية الاحتجاج بالحديث الشريف في اللغة والنحو أن المانعين كان لهم بعض العذر في ترك الاحتجاج به، غير أن المتأخرين كانت لهم وجهة نظر أخرى لما أدركوا مدى العناية الفائقة التي أحيط بها الحديث الشريف أثناء الجمع والتدوين. وأغلب الظن كما يرى بعض الدارسين أن من لم يستشهد بالحديث من المتقدمين النحاة لو تأخر بهم العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث ومنهجهم الفريد لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن ولما التفتوا قط إلى الأشعار والأخبار التي لم تلبث أن يطوقها الشك إذا ما وزنت بموازين فن التحديث العلمية الدقيقة. ومن العجب أنك ترى الحفاوة بالمنهج الذي وضعوه واستثماره استثمارا ظاهرا في علوم اللغة وغيرها، ثم يستبعد الحديث النبوي عن دائرة الاحتجاج النحوي أليس هدا خروجا عن حدود العدل والإنصاف ؟.

ومن هذا المنطلق ومن خلال أراء بعض الباحثين الذين ناقشوا على استحياء مسالة الحديث النبوي ومكانته في الدرس اللغوي انبجست فكرة هذا الموضوع الذي تناولت فيه أصح كتاب بعد كتاب الله وهو "**صحيح البخاري**" للإمام أبي محمد إسماعيل البخاري وانتقيت من بين شروحه أحسنها وأوفاها وأوسعها وهو كتاب: **" عمدة القاري شرح صحيح البخاري "** للإمام بدر الدين بن محمد محمود ابن أحمد العيني . ومن خلالها اكتشاف المنهج الذي رسمه في شرح الأحاديث . وبعد نظرة فاحصة متأنية في عمدة القارئ تبين أن اللغة بظواهرها المختلفة ومستوياتها الرئيسة كانت حاضرة وبكثافة أثناء الشرح والتحليل وهي تعكس بجلاء اقتدار الإمام العيني على حسن توظيف معارفه اللغوية نحوا وصرفا وبلاغة وغيرها وقد سخرت جميعا في شرح الحديث وكان لها أثرها الواضح في الاستنباط للفوائد والأحكام .

وهذا البحث يحاول أن يجيب على الكثير من التساؤلات ويطرح عددا من الإشكالات لعل أهمها: ما هو منهج الإمام العيني في شرحه على البخاري ؟ كيف تبلورت شخصيته اللغوية إلى جانب شخصيته الفقيهة؟ ما هي أهم المسائل اللغوية التي أثارها العيني في عمدته ؟ وكيف استطاع أن يستثمر ثقافته اللغوية أثناء الشرح والتحليل؟ وهل كانت القضايا اللغوية على مقدار واحد أم كانت متفاوتة؟ وهل كان التحليل اللغوي (المعجمي والدلالي والصرفي والنحوي) ذا أثر على توجيه الدلالة واستنباط الأحكام؟ وهل يمكن أن يمتلك منهجا لغويا متميزا تناول من خلاله شرحه للحديث؟ماهي أهم معالمه وملامحه ؟

لقد حاولت في هذا البحث أن أجيب عن هذه التساؤلات ما وسعني الجهد من خلال مدخل وثلاثة فصول : **أما المدخل** فقد تعرضت فيه للإمام العيني ، فتناولت حياته وأثاره العلمية وتوسعت في ذلك.

وأما **الفصل الأول**: فبينت فيه مكانة عمدة القارئ ومنهج العيني في شرحه لصحيح البخاري.
وفي **الفصل الثاني**: تعرضت فيه للتحليل الدلالي والمعجمي في شرح العيني ،ثم فصلت القول في الدرس الصرفي في أهم ظواهره التي ناقشها ومذهبه وبعض ما أُخذ عنه .
وأما **الفصل الثالث**: فقد تناولت فيه الدرس النحوي في شرح الحديث النبوي عند العيني ففصلت القول في ثلاثة جوانب من منهجه النحوي : **الأول** : يتعلق بمنهجه في الإحتجاج في النحو واعتماده على السماع بشواهده الثلاث قرآنا وحديثا وكلام العرب شعرا ونثرا ، ثم اعتماده على القياس . **الثاني** : يتعلق بمنهجه في إعراب الحديث وما قدمه في ذلك . **الثالث** : يتعلق بآراء العيني واختياراته النحوية ومذهبه في مختلف الأبواب النحوية ، وقد أشبعت ذلك كله بالنماذج والأمثلة في كل جزئية من الجزئيات. وقد حرصت حرصا شديدا على عدم تكرار النماذج أثناء التحليل إلا إذا تعددت المسائل في المثال الواحد.

وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والخوض فيه جملة من المبررات أوجزها في الآتي :

1. إن ماحضي به القرآن من الدراسات اللغوية لم تنل منها السنة إلا شيئا قليلا .
2. الإلتفات إلى الحديث الشريف بالدراسة اللغوية بشتى أنواعها سيساهم في خدمة القرآن الكريم .
3. إعتبار الحديث النبوي مصدرا للدرس اللغوي بكل مكوناته ومستوياته .
4. تهميش ما أنتجه علماء الحديث في دعم وتعزيز الدرس اللغوي وإثرائه .

5. مناقشة بعض الشبه التي نالت من كتاب العيني وفي مقدمتها أنه أخذ شرحه من شرح ابن حجر العسقلاني .
6. الكشف عن نقاط التلاقي ومواقع التلاحم ومواضع التناغم بين الثقافة النحوية والثقافة الحديثية.
7. إبراز دور اللغة في خدمة الحديث النبوي ومساهمة اللغويين في شرحه .
8. إكتشاف الشخصية اللغوية للإمام العيني وحسن توظيفه لثقافته النحوية في شرح الحديث وتحليله.

أما المنهج المتبع في هذا البحث فقد كان متنوعا ففي بعض جوانبه اعتمدت **المنهج التحليلي** على اعتبار أني رجعت إلى الكثير من الشروحات والتعليقات في أغلب القضايا المطروحة ، وقد عولت على **المنهج الاستقرائي** في جمع المسائل وتتبعها وتصنيفها وتحديد هويتها ومستوياتها .إلى جانب ذلك استعنت **بالمنهج الوصفي** في بحث جملة من الظواهر اللغوية المتنوعة وكيف حكم عليها النحاة أو الصرفيون أو المعجميون وغيرهم . وكذلك اعتمدت **المنهج المقارن** عند عرض بعض المسائل التى كانت محل جدل بين المذاهب النحوية أو آراء شراح الحديث في المسألة الواحدة .

وكانت **المصادر** التي رجعت إليها ، والمراجع التي استقيت منها مادة البحث كثيرة ومتنوعة بتنوع فصول هذا الموضوع فكان منها : كتب التاريخ والسير ، وكتب الفقه والأصول ، وكتب السنة وعلوم الحديث ، وكتب النحو الصرف والتفسير والقراءات واللهجات ، وكتب البلاغة و الصوتيات إلى جانب المعاجم العربية ، وعدد من الرسائل الجامعية والمقالات من مجلات وطنية ودولية .

وأما أسباب اختياري لكتاب" **عمدة القارئ** " دون غيره من الشروح هي :

1. تضمن الكتاب مسائل لغوية متنوعة وغزيرة في النحو و الصرف والبلاغة وغيرها .
2. مكانة عمدة القارئ بين الشروح الكثيرة لصحيح البخاري بشهادة كبار المؤلفين في معاجم المؤلفين والمؤلفات .
3. قدرة العيني على استثمار معارفه النحوية في شرح الحديث وهذا ما لم أشهده عند بعض الشروح المشهورة التي اطلعت عليها كفتح الباري ، وشرح الكرماني ، وإرشاد الساري ،وشرح ابن بطال وغيرها .
4. إسهامات العيني في إثراء الدرس اللغوي بعدد من المؤلفات في النحو والصرف والعروض .
5. إحاطة العيني الوافية بشروح البخاري المشهورة التي سبقته والتي عاصرته .

وفي طريق البحث واجهتني جملة من الصعوبات واعترضتني بعض العراقيل أجملها في الآتي :

1. قلة الدراسات التي تناولت العيني وعمدته بالدراسة والتحليل .
2. قلة الدراسات التي اعتنت بمنهج العيني في شرحه على صحيح البخاري .
3. عدم وجود دراسة لشرح العيني التي حاولت البحث في توظيف اللغة في شرح الحديث الشريف.
4. اتساع دائرة البحث وشموله لقضايا لغوية لا يمكن لباحث بمفرده أن يجمعها ويناقشها .
5. تركيز بعض الدراسات على القضايا النحوية في شرح العيني ، وجهوده في علوم الحديث.
6. حجم المدونة وتعدد أجزائها فقد بلغت 16 مجلدا في طبعة دار الفكر ببيروت 2005 وهي التي اعتمد عليها، كما بلغت الطبعة المنيرية بالقاهرة 25 مجلدا .

هذا وكان أملي أن يسهم هذا البحث المتواضع ولو بنصيب في خدمة اللغة العربية ، وخدمة السنة واكتشاف ولو جزءا يسيرا للجهد الذي بذله العيني في شرحه على البخاري ، والمنهج الذي اعتمده البخاري في إخراج صحيحه للناس، والمنهج الذي اعتمده العيني في شرحه .. فما كان في هذا الجهد من صواب فهو محض التوفيق الإلهي، والتسديد الرباني، وماكان فيه من خطأ أو شطط أو تقصير فمن نفسي. والله من وراء القصد وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل .

سبتمبر 2013 م
شوال 1434هـ

مدخل: الإمام بدر الدين العيـني حياتـه وآثـاره

تمهيـد

I. بدر الدين العيني حياته وعلمه

II. الإمام العيني وآثاره العلمية

تمهيد :

يعد الإمام العيني من القلائل الذين خدموا صحيح البخاري بهذا الشمول وبهذا التوسع والعمق،حتى إنه انفرد بمنهج متميز في شرحه لأحاديث الصحيح شرحا تناول فيه المسائل التي تتعلق بعلم الحديث وما فيها من فن التعديل والتجريح والتضعيف والتصحيح، وجمع فيه ما كان ذا صلة بعلم الفقه والاستنباط للفوائد والفرائد، وبسط فيه قضايا في النحو والصرف والبلاغة ما أعطى للشرح أبعادا متعددة، وأضفى عليه حلة جديدة، فتبوأ كتاب "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" مكانة رفيعة من بين الشروح، من خلال ما بذله فيه صاحبه من جهد مضني وتكبد فيه عناء شديدا لسنوات طويلة فمن هو بدر الدين العيني؟ وما هي آثاره ومؤلفاته؟ وما قيمة شرحه لصحيح البخاري ومكانته ؟ وما هو منهجه في شرحه للأحاديث وما هو الأسلوب الذي سلكه ليخرج للناس هذا الكنز الثمين ؟ هذا ما سنجيب عنه في هذا الفصل مع شيء من التفصيل والتحليل.

I. بدر الدين العيني حياته و علمه :

1. اسمه ونسبه ومولده :

ولد الإمام بدر الدين العيني في عصر مميز كان له أثر ظاهر في نشأته وإمامته وحياته بجميع جوانبها وهذا العصر هو الحكم المملوكي الذي تمكن في مصر والشام، وقد برزت سمات هذه الفترة التاريخية الخاصة ومنعطفاتها على حياة العيني وإنتاجه الفكري، ومكانته العلمية، ومسيرته وسيرته بكل مالها وما عليها. "فهو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود القاضي بدر الدين العينتابي الحنفي، كنيته أبو الثناء، وأبو محمد، ولقبه: بدر الدين، ولد في السادس والعشرون من شهر رمضان سنة إثنتين وستين وسبعمائة في درب كيكن بعين تاب.. وقيل ولد في السابع والعشرون من رمضان من العام نفسه.[1]" ونسبته العينتابي نسبة إلى عين تاب، ولكنها خففت فاشتهرت بالعيني "وعين

[1] : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ج 8/16 وينظر أيضا ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تح محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ج 352/8.

تاب بلدة حسنة كبيرة ولها قلعة منقوبة في الصخر حصينة كثيرة المياه والبساتين، تبعد بثلاث مراحل عن حلب."[1]

كانت أسرة العيني أسرة مشهورة بالعلم والدين والصلاح، كان لها دور رئيسي في تنشئته ووجهته وجميع حياته "فوالده وجده كانا قاضيين، وأحد أجداده كان مقرئا للقرآن وهو حسين بن يوسف، ولد والده شهاب الدين أحمد بن موسى بحلب سنة 725 هـ ونشأ بها، ثم انتقل إلى عين تاب وولي قضاءها كما تولى إمامة مسجدها، يعظ الناس ليلة الجمعة وليلة الإثنين."[2]. وكان رجلا صالحا يحب الخير ويحسن إلى الغرباء وأبناء السبيل، وخاصة العلماء وأولي الفضل الوافدين من البلاد، والمنقطعين عن الأهل والأولاد ففي حوادث سنة 777 هـ يقول العيني: "حصلت مجاعات في الشام وحلب لاسيما في بلادها الشمالية مثل عين تاب حتى أكل الناس القطط والكلاب والدم ..، ولقد شاهدت بعيني من يأكل الحمار والكلب، ومن يأخذ الدم المسفوح من المذابح ويشوونه في النار ويأكلونه ."[3]. في هذه الأيام العسيرة كان والد العيني يأخذ جملة من الأيتام فيطعمهم ويسقيهم حسبة لله تعالى إلى أن أذهب الله على المسلمين هذه الضائقة. "وكان فقيها عالما بالفروع والأصول ويعرف أمور السجلات والمكاتبات، وقد ناب في الحكم نحوا من ثلاثين سنة، ثم استقل حاكما بعين تاب."[4].

لم تذكر المراجع هل كان للعيني إخوة ؟ غير أن بعض كتب التراجم ذكرت أن له أخا لقب "بالتواريخي وذلك لأنه وجد له كتاب في التاريخ ضخم في سبة مجلدات سماه "التاريخ الشهابي والقمر المنير في أوصاف أهل العصر والزمان" واسم أخيه: شهاب الدين أبو القاسم أحمد بن أحمد بن موسى العينتابي الحنفي المتوفي سنة 834هـ .[5] وكان التوارخي على قدر كبير من العلم "وكان له ولد اسمه القاسم ولد سنة 796 هـ، وكان فظا ذكيا، جيد الرمي بالسهام، وكان جيد الحط و أحد الفضلاء في الحساب والهندسة والنحو وعلم الحرف مات في حياة أبيه سنة 814هـ بمصر مطعونا ودفن في مدرسة عمه."[6].أما

---

[1] : ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977، ج 176/4، وينظر أيضا عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء،تقويم البلدان، تصحيح ماك كوين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص 369.

[2] : بدر الدين العيني، عقد الجمال من تاريخ أهل الزمان، عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1، 1989 ج 287/26-288.

[3] : نفسه، ج 200/26.

[4] : أحمد علي بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1976، ج 107/2.

[5] : شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم، بيروت ، ط 3، 1983، ج 99/4.

[6] :: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تح وطبع أوفيست كونرو غرافير، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، (د.ت) ج 178/6.

عن حياة العيني الأسرية فقد كان له زوجة أنجبت لله عددا من البنين والبنات وهم"أم الخير التي توفيت في ربيع الأول سنة تسع عشرة وثمانمائة، ودفنت في مدرسة زوجها".[1] وكان له منها أولادا ذكرت كتب التراجم منهم "عبد العزيز الذي توفي سنة 818هـ وعبد الرحمان الذي مات مطعونا في ربيع الآخر سنة 822هـ، وإبراهيم وعلي وأحمد وفاطمة وقد توفوا في طاعون 833هـ، ودفنوا في مدرسة أبيهم، وله من البنات غير فاطمة وزينب التي ماتت في صفر سنة 84 هـ، ودفنت أيضا في مدرسة أبيها، وكان له بنات أخريات."[2] .وقيل أن العيني تزوج بأكثر من زوجة. هذه أسرته بأصولها وفروعها.

2. طلبه للعلم ورحلاته :

ترعرع العيني في أكناف أسرة راسخة في العلم و الدين، فشملته بعنايتها، وشرب من معارفها ولقد أحاطه أبوه بعناية خاصة منذ نعومة أظافره فوجهه إلى حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة طلبه للعلم ورحلاته "فقد أحضره إلى محمود بن أحمد بن إبراهيم القزويني الذي لم يكن له نظير في الخط الحسن، وكان عمره إذ ذاك نحو سبع سنين، وقرأ القرآن أول ما قرأه على محمد بن عبيد الله شارح المصابيح قرأ عليه المعوذتان إلى ربع القرآن، ثم حفظ القرآن على ظهر قلب وهو في الثامنة في عين تاب، فقرأ بقراءة حفص عن المعز الحنفي وسمع عليه الشاطبية."[3]. إشتغل العيني بتحصيل العلوم وجد في طلبها، وجالس كبار العلماء في عصره ونهل منهم وحاز السبق في ذلك، وطفق يغرف من علومهم وفنونهم حتى ارتوى وسيأتي الحديث عن الشيوخ الذين طلبهم وجلس إليهم تلميذا مميزا، "وقرأ على والده أبي العباس الفقه، ثم لازم الشمس محمد الراعي في الصرف والعربية والمنطق فقرأ عليه "رمز الكنوز" في الحكمة للأمدي، وسمع عليه "شرح مطالع الأنوار" لقطب الدين الترازي أيضا و"مراح الأرواح" في التصريف لأحمد بن علي بن مسعود، وشرح الشمسية في المنطق للقطب الرازي أيضا، وشرح الشافية في الصرف للجاربردي، ثم قرأ المفصل في النحو "للزمخشري"، و"التوضيح على متن التنقيح"لصدر الشريعة المحبوبي على جبريل بن صالح البغدادي، كما قرأ عليه "الكشاف"، ومجمع البحرين في فقه الأحناف، وأجازه برواية "شرح المشارق" للصاغاني، وقرأ "المصباح في النحو" للمطرزي على خير الدين القصير، و"ضوء المصباح" للاسفرايني على ذي النون السرماري. وقرأ على ميكائيل بن حسين بن إسرائيل التركماني القدوري في فقه الحنفية، والمنظومة للنسفي في الخلافيات كما سمع عليه مجمع البحرين لابن

[1] : محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، تح حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، بيروت، 1998، ج 146/12.

[2] : السخاوي، الضوء اللامع، ج 234/4 و ج156/4.

[3] : بدر الدين العيني، عقد الجمان ، ج 26/ ص ص 434 – 414 – 421.

الساعاتي، وقرأ على حسام الدين الرهاوي المصنفه "البحار الزاخرة في الفقه على المذاهب الأربعة"، وعلى عيسى بن الخاص السرماري "التبيان في المعاني والبيان" للطيبي وسمع عليه غالب الكشاف، وقرأ عليه أيضا متن الزهراوين قراءة بحث وإتقان، ومفتاح العلوم للسكاكي، وغير ذلك. وأخذ في سنة 780 هـ تصريف العزي والفرائض السراجية وغيرها على محمود بن محمد العينتابي."[1]. هذه ثلة من علماء بلدته الذين كانوا اللبنة الأولى والمدرسة الأم التي احتضنته ورضع من ألبانها .

وأما عن رحلاته فكان لها دور أساسي في ثقافته، وقوة تحصيله وبروز شخصيته العلمية الفذة فبعد أن أخذ عن شيوخ بلدته، انتقل يجوب الأنحاء و يطوي الأرجاء بطلب المشاهير والأعلام وكانت همته في ذلك مشهودة، فلم يدخر جهداً في التحصيل حتى علا كعبه، ولمع نجمه و أصبح من علماء ذلك العصر الذين يشار إليهم بالبنان، فلم يكتف بما تلقاه عن مشايخ بلده من العلم بل دفعه طموحه إلى الرحلة في طلبه، وتلك عادة الطلاب والمحدثين منهم على وجه الخصوص، وكان العلماء يرون في هذه الرحلات فوائدة جمة ذكرها كثيرون، ورحلات العيني لا يعرف شيء عن تفاصيلها وماذا حدث له فيها غير ما أخذه وحصله فيها ،وما لقيه من أئمة وعلماء تلك البلاد ،" فكانت أولى رحلاته إلى حلب أقرب البلدان إلى بلده فرحل إليها سنة 783 هـ فقرأ بها على الجمال يوسف بن موسى الملطي و سمع عليه بعض "الهداية"، وشرح الأخسيكتي في الفقه الحنفي، وأخذ عن حيدر الرومي شرحه على الفرائض السراجية (سراج الدين السجاوندي)، ثم عاد إلى بلده حيث توفي أبوه في السنة التي تليها 784 هـ "[2]. و بعد وفاة والده حن العيني إلى الترحال من جديد فطاب له الرحيل إلى"بهسنا"فأخذ عن ولي الدين البهسني، ثم إلى "كختا" فأخذ عن علاء الدين الكختاوي (أو الكختي) ثم إلى "ملطية " فأخذ عن بدر الدين الكشافي، ثم حج ودخل بلده ثم رحل منه إلى الحج ، فحج و دخل دمشق."[3]. و هذه المدن الثلاث عبارة عن قلاع حصينة، من ثغور الشام عامرة بالبساتين والأنهار ، واسعة الخير و الخصب ، وبعد زيارة العيني لهذه القلاع ومجالسة علمائها إنتقل إلى بيت المقدس سنة 788 هـ فلقي فيها علاء الدين السيرامي الذي كان قد قدم لزيارة القدس أيضا. وهاهو العيني يحدثنا عن هذه الزيارة وماذا حصل مع شيخه السيرامي الذي وصل إلى القدس"فقدمت أنا إلى القدس للزيارة فاجتمعت به وكنت أسمع

[1] : السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1896، ص 375 – 376.

[2] جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحرير فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، 1927ص 174. و ينظر أيضا جمال الدين الأتابكي، المنهل الصافي. ح352/8.

[3] السخاوي التبر المسيوك، ص 376 .

بالشيخ ولم أره، و في قلبي منه اشتياق عظيم، فاجتمعت به فوجدته أفضل الناس علما وأحسن الناس ملقاة و حلما ودعتني صحبته المنيفة أن أذهب إلى الديار المصرية في خدمته ولم يكن ذلك ببالي، بل كان في خاطري تكميل الزيارة والرجوع إلى الوطن فلما رأيت هذا تركت الوطن والأهل و توجهت معه إلى الديار المصرية بعد إقامتنا في القدس عشرة أيام".[1]. و قد استمتع العيني بهذه الصحبة، وحصل له منها علم غزير وخير كثير، وترافقا إلى القاهرة ونزل بالظاهرية البرقوقية التي أنشأها الظاهر البرقوق سنة 786هـ وفي ذلك يقول العيني " ثم لما كان أول رمضان من هذه السنة أي 788هـ طلبني الشيخ و قال لي: أقبل في هذه المدرسة وظيفة خادم خدامها ، فقلت :هذا الاسم لا يليق بي؟ فقال : إن كان هذا عند الناس فأنت عندي بمثابة النائب عني، تحدث فيها في كل مالي فيه من الحديث فعند ذلك قبلتها لا لنظر إلى هذا المعنى، وإنما للنظر إلى الاكتساب من فوائده، و التملي ليلا و نهاراً من صحبته وعوائده."[2]

و قد أخذ عنه العيني أكثر الهداية ، وقطعة من أول اكتشاف، و من التلويح في شرح التوضيح إلى القياس، وشرحه على التلخيص، والتنقيح ، وأخذ عنه المعاني و البيان و غيرها "و أخذ الفقه عن أحمد الشهاب بن خاص التركي، ومحاسن الاصطلاح في علم الحديث عن مؤلفه سراج الدين البلقيني في مجالس عديدة في حدود سنة 789 هـ، وسمع الشاطبية في القراءات على أبي الفتح العسقلاني بقراءة الشمس محمد بن علي الزراتيتي، وعلى الزين العراقي صحيح مسلم، والإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد، وقرأ على التقي الدجوي الكتب الستة ومسند عبد والدرامي وقريب الثلث الأول من مسند أحمد في سنة 804 هـ، وعلى القطب عبد الكريم بعض المعاجم الثلاثة للطبري في سنة 809هـ وعلى الشرف بن الكويك الشفا، وعلى النور الفسوي التسهيل لإبن مالك، والسنن الكبرى للنسائي، وبعض سنن الدرقطني أو جميعه سنة 808هـ، وعلى تغري برمش التركماني شرح معاني الآثار للطحاوي، ومصابيح السنة للبغوي، وسمع الصحاح للجوهري على سراج الدين عمر، كما سمع عن نور الدين الهيثمي. وفي أثناء هذه المدة دخل دمشق في ربيع الأول سنة 794هـ فقرأ على النجم ابن الكشك الحنفي بعضا من أول صحيح البخاري بالمدرسة النورية و هي دار الحديث أنشأها نور الدين زنكي."[3].

من هذا الثراء، وهذا التنوع نهل العيني وشرب حتى اكتفى، ومن هذه المصادر في علوم اللغة والنحو وما يتصل بها من صرف وبلاغة وقراءات وعروض إلى العلوم الفقهية وما يتعلق بها من حديث وأحكام

[1] بدر الدين العيني، عقد الجمان ج310/26-311.

[2] نفسه ج311/26

[3] : السخاوي، الضوء اللامع، ج 132/10، وينظر أيضا السخاوي، التبر المسبوك، ص 376-377.

واستنباط إلى شيء من الفلسفة والمنطق و الحكمة والتاريخ ،إحترق العيني بعد أن نضج.وللعيني رحلة أخرى لم يرد شيء عن تفاصيلها أشار إليها في مقدمة شرحه على البخاري فقال: " ثم إني رحلت إلى البلاد الشمالية الندية قبل الثمانمائة من الهجرة الأحمدية، مستصحبا في أسفاري هذا الكتاب، لنشر فضله عند ذوي الألباب، ظفرت هناك من بعض مشايخنا بغرائب النوادر، وفوائد كاللآلىء الزواهر مما يتعلق باستخراج ما فيه من الكنوز، واستكشاف ما فيه من الرموز."[1].وفي القاهرة قبلة العلماء وملتقى الأئمة في جميع العلوم والفنون أخذ العيني الحديث وعلومه عن كبار المحدثين ومن هنا تجدر الإشارة إلى أهم شيوخه الذين تركوا أثر بالغا في ثقافة العيني الفقهية والحديثية واللغوية.

3. وفاة الإمام العيني:

لم يزل العيني ملازما للجمع والتصنيف، شغوفا بالتأليف إلى آخر حياته "وفي آخر عمره ضاقت ذات يده فصار يبيع من أملاكه وكتبه، سوى ما وقفه للمدرسة التي عمرها بالقرب من الجامع الأزهر مجاورة لمسكنه و كان عمل بها خطبه، لأنه كان يصرح بكراهة الصلاة في الأزهر لأن واقفه كان رافضيا يسب الصحابة، وكان قد أنشأها عام 814هـ مستهل رمضان، ووقف كتبه بها لطلبة العلم."[2] ظلت هذه المدرسة مأوى لطلاب العلم، بها يدرس بعض علماء الأزهر حتى تحولت مسجدا " وإلى ابن ابنه الأمير الشهابي أحمد بن عبد الرحيم ابن البدر العيني ينسب قصر العيني المشهور بالقاهرة، وهذا الأمير كان له الثروة الهائلة وله وقائع في التاريخ ولم يكن على سيرة جده."[3]. عاش العيني ثلاث وتسعين سنة قضاها في العلم والطلب، والكتابة والتدريس بالرغم من أعماله الرسمية في الدولة إلى أن "توفي ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة 855هـ، وصلي عليه من الغد بالجامع الأزهر، ودفن في مدرسته، وكانت جنازته مشهودة وكثر أسف الناس عليه رحمه الله."[4].

وحق لهم أن يأسفوا لأن فقد العلماء من أشد الفقد على الناس والحياة، وكم يذهب خير كثير بذهاب العلماء، ولا يقتصر الأسف على العالم السفلي بل العالم العلوي أيضا." وبعد دهر دفن إلى جنب العيني الإمام شهاب الدين القسطلاني المتوفى سنة 923هـ شارح البخاري."[5]. وشرح القسطلاني المسمى

---

[1] : بدر الدين العيني، عمدة القارئ ، ج 21/1.

[2] : السخاوي، الضوء اللامع، ج 3 / 131 و ج 10 / ص ص 132 – 142.

[3] : بدر الدين العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 17

[4] : جمال الدين الأتابكي، المنهل الصافي، ج 8 / 353.

[5] : نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح جبرائيل سليمان جبور، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) ج 1 / 127.

"إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" وقد أشرت إليه عند الحديث عن شروح البخاري ويعد من أجل الشروح وأوسعها، وهكذا يتجاور الشارحان في قبريهما بعد ثمان وستين عاما .

II. الإمام العيني و آثاره العلمية :

انعكست ثقافة العصر الذي ترعرع فيه العيني الموار بالعلماء والمصنفات في شتى العلوم وتعدد الفنون على إنتاجه الفكري ، فلا غرو أن نجده أكثر العلماء تأليفا، وأوسعهم تصنيفا، وأبرزهم جمعا وتمحيصا، شهد بذلك تلميذه السخاوي فقال:" وصنف الكثير بحيث لا أعلم يعد شيخنا (يقصد ابن حجر) أكثر تصانيف منه."[1]. وبعد أن عدد كتبه اعترف وقال: " و ما لا أنهض لحصره."[2] ولم يكن العيني قد انفرد بهذه الخصلة في التأليف من حيث العدد فهناك من العلماء من جاوزوه بكثير ولكن ما امتاز به في بعض ما صنف بالشمول والتوسع، فجاءت أكثر حجما فكان " جيد الخط، سريع الكتابة حتى قيل أنه كتب القدوري في فقه الحنفية في ليلة واحدة .. وقد كتب نثرا ونظما، ولم يكن نظمه بمقدار نثره."[3] وقد أشار بهذه الغزارة تلميذ آخر وهو ابن تغري بردي فقال:" قل أن نذكر علما إلا وشارك مشاركة جيدة، ومصنفاته كثيرة."[4]. وهذا صحيح فهناك حقول معرفية متعددة قد ضرب فيها العيني بحظ وافر، وتعد رحلته في التأليف رحلة طويلة استغرقت سنوات من عمره فقد ألف في شبابه وفي كهولته وأثناء شيخوخته ولعل شرحه لصحيح البخاري قد أخذ من عمره حصة الأسد. فقد مكث في تصنيفه ثلث حياته تقريبا، فأجاد وأبدع، وأصل وفرع، وأسهب وتوسع في حسن جمع وترتيب.

وقد ذكر بعض الباحثين أن مما عيب على العيني استعماله لحوشي الكلام، وغريب الألفاظ حتى أن القارئ لا يكاد يفهم من الكلام شيئا، ولكنه قليل نادر وقد استعمله في بعض مقدمات كتبه، وعلى سبيل المثال الكتب التي ينتصر فيها لابن تيمية ويرد على الذين تولوا الذم والقدح لشيخ الإسلام بألفاظ غير مألوفة يقول:" وليس لهم سجية نقادة ولا روية وقادة وما لهم إلا صلقع بلقع سلقع، والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة، وهيان ابن بيان وهي بن بي، وضل بن ضل."[5]. وهناك مثال آخر استعمل فيه العيني كلمات تنفر منها الأسماع وتشمئز منها النفوس في غرابتها، وعدم وجود مبرر لإيرادها يقول في مقدمة

[1] : السخاوي، الضوء اللامع، ج 10 / 133.

[2] : نفسه، ج 10 / 135.

[3] : نفسه، ج 10 / 133.

[4] : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 16 / 10.

[5] : أبو المعالي السلامي الشافعي، غاية الأماني في الرد على النبهاني، ج 2 / 120.

كتاب "فرائد القلائد" :"حمدا ناصعا ضافيا، شرجعا شعلعا، وشكرا هاميا ساميا مكميا شبدعا، لمن أمامي رباع المجدين رفعة وترفعا بكل كايع ليس ضعضعا ولا فعفعا، يهج نديهم لسريهم ذي معمع ولا وعوعا ولا شوكعا، وصلاة على من علا براقا وخافا وآب حائرا فنعا، وعلى آله وصحبه الذين تلوه ولا أتلوه فظيعا ولا قذعا، واقتدوا بهداه وهديه مراغمين عكنكعا كعنكعا، ما قاط سلعا شعشعان المعمعان أشهرا وأجمعا."[1].

ويمكن وصف هذا اللون من الكتابة في اختيار مثل هذه الألفاظ والتلاعب بها بهذا الشكل نوعا من الترف الفكري الذي لا فائدة منه، ولعل العيني يمثل هذا الغريب الوحشي يستعرض عضلاته وقدرته اللغوية أما حساده وهم كثر، وقد انتقد في ذلك نقدا لاذعا " وهو كما ترى يشبه كلام المجانين والسفهاء، وأرباب الهزل والهجاء، دون أصحاب المعرفة باللغات والمعدودين في زمرة البلغاء."[2]. ولكن زلات العيني على هذا النحو على قلتها لا تثلم من لغته في التأليف والكتابة، وأسلوبه المتميز الرصين، ولا تخدش من مكانته وتلهف الناس على مؤلفاته، وشغفهم بمصنفاته لما فيها من حسن الترتيب والتنسيق، والإحاطة والجمع، وطول النفس في الشرح والتحليل، وأحيانا تتبع هذه السقطات وتلقف هذه الهنات يغذيها الحسد والتعصب للشيوخ والمذاهب فوقع بسببه كثير من العلماء خلال تأليفهم في التراجم والتاريخ في الذم والانتقاص. ولو وقع ذلك من أبناء المذهب الموافقين للتمست لتلك الأخطاء الكثير من الأعذار وأجيب عنها بشتى الأجوبة، ولذلك لا يجب على الباحث أن يقبل طعنا ما إلا بعد الاطلاع على جميع الذين ترجموا فانتقدوا أو امتدحوا أو انصفوا فبالغوا أو جحدوا.

ويعد النظر في مقدمات بعض كتب العيني (خطبة الكتاب) نجدها تتشابه أحيانا في الشكوى من الفتن التي أصابته، والمحن التي نالته، كما نجده يستفيد من حسد الحاسد وكيده، ويذكر عادة الأسباب التي كانت الدافع للتأليف وتكون في أن تلاميذه أو أحدهم سأله أن يؤلف كتابا في فن ما، أو يختصر له آخر أو شرح له متنا أشكل عليهم فهمه.[3] كما نجده في أغلب مقدماته على كتبه بطلب من القارئ أن يتحلى بالإنصاف والتجرد، وأن يصلح ما وجده من خلل فإن لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة، وقد أثر عن العيني تواضعه في قبول الحق من غيره واعترافه بخطئه بصدر رحب ونفس مطمئنة، وقد اتسمت مؤلفاته في أغلبها بالإسهاب والإفاضة يظهر فيها ميله المذهبي ونزعته الحنفية لاسيما في كتبه الفقهية وعند ترجيحه لمذهب

[1] : بدر الدين العيني، فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد، المطبعة الكاستيلية الزهراء، القاهرة، 1297هـ، ص 2.

[2] : محمد باقر الموسومي الخورنساري الأصفهاني، روضات الجنات في أقوال العلماء والسادات، تح أسد الله إسماعيلان، مكتبة إسماعيليان قم (د–ت) ج8 / 131 – 132.

[3] :نجد ذلك على سبيل المثال في مقدمة عمدة القارئ، ص 5 – 6.

أبي حنيفة عند المسائل الخلافية، وتلك عادة العلماء عموما في الانتصار لمذاهبهم الفقهية والترويج لها، ومصنفات الإمام العيني كثيرة متنوعة ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود، ولكن المطبوع والمخطوط منها أقل بقليل من المفقود.

1. مؤلفاته المطبوعة:

وهي كثيرة متنوعة أغنى بها العيني المكتبة العربية في مختلف الفنون و يأتي في مقدمتها :

- **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية:**

وهو معروف بالشواهد الكبرى، وهو عبارة عن شرح للشواهد النحوية الواقعة في شروح الألفية واقتصر العيني على أربعة منها وهي ابن الناظم وابن أم قاسم وابن هشام وابن عقيل، وكان عمله فيها مضنيا حيث استخرج الشواهد وبين ما فيها من اللغات والمعاني والإعراب، وأزال ما فيها من إبهام والتباس، مع ذكر أوزانها وبحروها ونسبها إلى قائلها ما أمكنه ذلك، قال: " ثم أني بنيت نسبة لكل بيت إلى من ذكره في تأليفه... وإن على الناظر فيه أن يصلح ما يحتاج إلى الإصلاح أداء لحق الأخوة بالنصح والانتصاح، فإن القلم له هفوة، والجواد له كبوة، والإنسان غير معصوم من النسيان."[1].

والناظر في الكتاب يرى عملا كبيرا وجهدا عظيما حيث يذكر العيني بيت الشعر ويرمز لمن استشهد به ثم يذكر بعضا من القصيدة التي ورد فيها الشاهد، ويذكر قائله ومناسبة القصيدة إن وجدت، ويترجم للشاعر، مع ذكر الاختلاف في نسبة البيت مع ضبط اسم الشاعر ونسبه، ثم تظهر ثقافته العروضية فيذكر وزن البيت وبحره ونوعه وما داخله من أنواع الزحاف والعلل، ثم يذكر الاختلاف في ألفاظ البيت والصحيح منه مع بيان موضع الاستشهاد فيه، كل ذلك بإسهاب غير ممل بعيدا عن كل تعقيد أو تكلف حتى في المقدمة فصار الكتاب بذلك عمدة للذين جاءوا من بعده. وفي خاتمة الكتاب ذكر العيني المصادر التي اعتمد عليها وقد نيفت على 175 كتابا. وبلغت عدد الأبيات الشواهد 1294 بيتا. وقد فرغ من تأليفه سنة 806هـ كما أشار إلى ذلك في المقدمة.[2]

- **فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد:**

[1] : بدر الدين العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 2005،ج1/28 –29.

[2] : نفسه، ج 1 / 5 – 6.

وهو كتاب اختصر فيه العيني كتابه الشواهد الكبرى وهو مشهور بالشواهد الصغرى، وهو في مجلد واحد قال في مقدمته:" فلخصت تفاوته، وخلصت نفايته مع بعض زيادة شريفة، ونزر من نوادر لطيفة."[1].

- **رمز الحقائق شرح كنز الدقائق:**

وكتاب "كنز الدقائق"كتاب في الفقه الحنفي لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (710ه) والكتاب في مجلدين مع شرحه "طبع بالقاهرة في ثلاثة أجزاء (724 صفحة) بمطبعة وادي النيل 1888م وسبب تأليفه لهذا الشرح أنه أراد أن يزيل بعض ما نكب به بعض الإخوان، فأراه إشغال البال في شرح كتاب من المصنفات فاختار كتاب كنز الدقائق للنسفي، وقد فرغ من تسويده وتبيضه في 15 ربيع الآخر سنة 817ه."[2].

- **البناية في شرح الهداية:**

وهو كتاب في أربع مجلدات، والهداية كتاب في الفقه الحنفي ألفه علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني المتوفي سنة 593ه وهو في الأصل "شرحا لكتابه:"بداية المبتدئ" وقد لقي كتاب الهداية عناية كبيرة من العلماء ما بين شرح و تحشية وتعليق وتخريج لأحاديثه، حتى عد بروكلمان أكثر من أربعين شرحا لهذا الكتاب، وقد إبتدأ في تصنيفه في غرة صفر سنة 817ه، وفرغ منه في العشرين من المحرم عام 850ه في مدرسته، وقد ذكر طرقا أربعة يروي بها الكتاب عن مشايخه ويمتاز هذا الشرح بالتوسع في بيان أحاديث الأحكام وتخريجها، وبيان مذاهب الأئمة الأربعة بعبارة واضحة سهلة بعيدة عن التعقيد."[3].

- **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر:**

ويبدو من عنوانه أن العيني ألف هذا الكتاب هدية للملك الظاهر ططر الذي توفي سنة 824ه «وطبع في القاهرة في 46 صفحة في دار الأنوار سنة 1370ه، وقدم له الشيخ محمد زاهر الكوثري وطبع طبعة أخرى بتحقيق هامش ارنست عام 1962م بالقاهرة بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، وقد قسم

[1] : بدر الدين العيني، فرائد القلائد، ص 3.

[2] : بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية، تح أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 2000م، ج 1 / 41 – 42.

[3] : نفسه ، ج1/ 7-8 .

الكتاب إلى عشرة فصول كما ذكر ذلك العيني في المقدمة."[1]. والظاهر من حجم الكتاب أن العيني قد ركز فيه على خصال الملك وأوصافه وعلى ما ينبغي عليه فعله وما لا يجوز له اقترافه في حق الرعية وقد أشاد العيني به إشادة ظاهرة وبالغ في ذلك.

- **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد:**

وهذا الكتاب مثل سابقه في موضوعه ومحتواه فكان على شاكلته من ذكر سيرة الملك المؤيد والحديث عن مناقبه وخصاله، ويبدو لي أن اختيار العناوين كان اختيارا دقيقا مقصودا حيث أجد أن الكتاب الخاص بسيرة الملك الظاهر ططر اختار له عنوان "الروض الزاهر" والروض والرياض مكان للخضرة و النضرة والجمال والمتعة وكل ذلك ظاهر، أما الكتاب الخاص بالملك المؤيد فاختار له عنوان "السيف المهند" والسيف يلقي بظلال كثيفة من معاني القوة والغلبة والانتصار والتمكن والبطش الشديد، ولعلي أقرأ من هذا التباين في العنوانين اختلاف الشخصيتين اللذين ترجم لهما العيني (ططر و المؤيد) ثم اختلاف الفترتين اللتين حكم فيهما كل منهما من الظروف العامة و الأجواء السياسية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية، ولكن حجم هذا الكتاب كان أضعاف ما كتبه حول سيرة الظاهر ططر فقد " طبع في القاهرة سنة 1966 – 1967 بدار الكتاب العربي بتحقيق فهيم محمود شلتوت وتقديم مصطفى زيادة في مجلد واحد يضم 346 صفحة سوى الفهارس، وهذا الكتاب يشبه في فصوله فصول الكتاب السابق إلى حد كبير إلا أنه أكبر منه حجما، ولعل أهم ما في هذا الكتاب الفصول الأخيرة منه التي تشمل على وصايا للسلطان فيما ينبغي أن يفعل وما لا يفعل، وفيمن يوليه على خواص نفسه وعلى الرعية، ولعل العيني أراد بذلك تهذيب الملوك وبيان ما يصلح لدولتهم بعد الكلام الطويل على أوصافهم وألقابهم، ومن تسمى بها قبلهم في التاريخ."[2].

والعيني في هذا المؤلف قد توسع توسعا أخرجه في كثير من الأحيان عن الموضوع الذي ألف من أجله الكتاب، واستطرد إلى موضوعات متنوعة لا صلة لها بسيرة المؤيد فهو "يبتعد في كل لحظة عن موضوعه، فإذا أراد أن يعلمنا بأن المؤيد من أصل تركي فهو يبدأ بخلق العالم و خلق الملائكة و الناس و الجن و أولاد نوح ، و لكي يقول لنا أن المؤيد كان يلقب بأبي النصر فإنه يذكر عددا كبيرا من الملوك و السلاطين والوزراء الذين اتخذوا ألقابا وبعد عبارات مضطربة من نفس الطبيعة يدخل في الموضوع ...

[1] : عبد الجبار عبد الرحمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1981، ج 2 / 709.

[2] : بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية، ج 1 / 42 -43.

ولعل الغرض الذي أشار إليه العيني في مقدمة الكتاب وهو أنه أراد أن يتحف السلطان الملك المؤيد بشيء يقربه إليه فوجد أن أنسب إتحاف هو جمع كتاب يحتوي على سيرته – هو الذي دفعه إلى جمع الشتات من الدراسات وأن يقحم المؤيد عليها أو يقحمها عليه ، وبذلك يتيسر له إنجاز تحفته في وقت يسمح له بتقديمها إليه، أو قراءتها عليه كما أشار هو إلى ذلك، وليؤكد الخصوصية التي كان يتمتع بها عنده، فقد قيل بأن العيني كان خصيصا بالسلطان وكان يقضي معه أربع ليال في الأسبوع إذا كان نازلا بالقصر وأنه استمر على ذلك حتى توفي السلطان، والكتاب يشتمل على مقدمة في مديح السلطان المؤيد شيخ المحمودي تجمع بين النظم والنثر، وبها بعض العبارات باللغة الفارسية ختمها المؤلف بأنه أراد أن يتحف السلطان – لأن العادة جرت قديما وحديثا بالإتحاف للملوك والسلاطين بما يسر الله لكل أحد من المقدرة والتمكين وأنه رأى أن من المناسب لذلك جمع كتاب يحتوي سيرته وأحوال دولته وجعله في عشرة أبواب. [1].

- **ملاح الألواح في شرح مراح الأرواح:**

ملاح الألواح بكسر الميم " ذكره السخاوي في ذيل السلوك صفحة 379، وقال أن العيني ألفه وهو أبن تسع عشرة سنة.. ولعل هذا الكتاب من أحسن الكتب التي ألفت في الصرف فقد جمع فيه المؤلف قوانين هذا الفن بأسلوب لطيف وجمع للفوائد والفرائد من نحو وصرف، وهذا الكتاب شرح للمختصر المشهور "مراح الأرواح" الذي ألفه أحمد بن علي بن مسعود أحد علماء القرن الثامن والتاسع للهجرة .. وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من "مراح الأرواح" كتبت سنة 840هـ. وقد شرح المراح عدة علماء عدا العيني أشهرهم علاء الدين بن الأسود سماه "المفراح في شرح مراح الأرواح" ومنه نسخة جميلة في مكتبة المتحف العراقي، وشرحه أيضا أحمد ديكقوز، وقد طبع شرحه مرارا، وهناك أيضا في مكتبة المتحف شرح جيد للمراح لمؤلف مجهول، أما ملاح الأرواح فهو أفضل الشروح وأوسعها."[2]. وقد ذكر العيني في نهاية الكتاب بأنه فرغ من تأليفه وتنميقه في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة 782هـ وهو ابن إحدى وعشرين سنة .

- **كشف القناع المرنى عن مهمات الأسامي والكنى:**

[1] : بدر الدين العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ محمودي، تح فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفي زيادة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003، ص ن – س.

[2] : بدر الدين العيني، شرح المراح في التصريف، تح عبد الستار جواد، دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ت) ص 6.

الكتاب كما يبدو من عنوانه أنه في التاريخ والتراجم وأسماء الكتب المصنفة يتكون من 12 فصلا مختوم بفائدة عن أسماء أصحاب الكتب المصنفة في العلوم ثم فائدة في بيان الألفاظ التي استعملها أهل بلد من غير علمهم بأنها منقولة في كلام العرب أم لا، وهل لها اشتقاق من أنواع الاشتقاق أم لا، وقد دار الكتاب حول مسألة لها علاقة بعلم الرجال في علوم الحديث جرحا وتعديلا وهو علم الكنى والألقاب، والعيني ممن يمتلك أدوات هذا الفن حيث تحدث في كتابه " عن كنى بعض الصحابة والصحابيات وبعض التابعين وجماعة من أصحاب أبي حنيفة والأئمة الثلاثة، ثم ذكر من اشتهر بالنسب ومن اشتهر بالإمام والشيخ والقاضي والحافظ والمشهور من الأئمة بابن فلان .. ومصادر العيني في هذا الكتاب كثيرة متنوعة فقد أكثر النقل منها ولكن دون تصريح بأغلبها، ولكن الناظر المدقق في كتاب "كشف القناع المرنى" يجد اقتباس العيني غالب فوائده ونصوصه خاصة القسم الأول والأخير من كتابي "الجواهر المضيئة " للقرشي، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان .. كما أنه أكثر النقل عن "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، و"المنتظم" لابن الجوزي، و"البداية والنهاية" لابن كثير، وعند حديثه عن فرق الشيعة اعتمد على كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني وعن الشعراء الذين اتفقت أسماؤهم واختلفت أنسابهم على كتاب: "المؤتلف والمختلف" للآمدي، وعند الحديث عن علماء النحو اعتمد على "طبقات النحويين" للزبيدي، وفي ذكره لشعراء الإسلام اعتمد على "وفيات الأعيان" وفي حديثه عن "أول ما يولد صغيرا " اعتمد على "فقه اللغة" للثعالبي، والمخصص لابن سيده، وفي بعض القضايا التاريخية رجع فيها إلى "تاريخ الطبري"."[1].

هذه موارد لم يصرح بها العيني وهو يقتبس منها، ولكنه صرح بعدد وفير من المصادر التي اعتمد عليها، ولما كانت كتب الموسوعات الحديثة التي تعنى بالتراجم والفهارس غنية بموادها العلمية ودقة استقصائها، إضافة إلى سهولة الرجوع إليها، بعد التقدم الهائل في مجال الطباعة وتبادل المعارف، فإن هذه الموسوعات تساهم مساهمة فاعلة في نشر الثقافة و العلم، ولم تأت هذه الجهود من الفراغ بل استندت إلى قواعد متينة رسخها كبار العلماء في القرون السالفة . وكما أن هذه الموسوعات تفيد الباحثين في وقتنا الحاضر فإن كتب التراث التي تتعلق بالتراجم والفهارس كانت تؤدي نفس الأدوار التي تؤديه المراجع اليوم ضف إلى ذلك أنها تجسيد الأصالة العلمية لما فيها من الصدق في النقل والدقة في التحقيق. وكتاب العيني هذا من قبيل تلك المصادر النفسية لاحتوائه على " قائمة كبيرة من الأعلام

[1] : بدر الدين العيني، كشف القناع المرنى عن مهمات الأسامي و الكنى ، تح أحمد محمد نمر الخطيب ، مركز النشر العلمي ، جدة ، ط1/1994 ص 25-26 .

الذين يصعب العثور عليهم إضافة إلى ثبت المصادر التي يمكن اعتبارها بحق ببليوجرافية منتخبة للكتب الماضية، ناهيك عن الفوائد الجمة المنثورة في الكتاب .. وكأنه بيان تاريخي أدبي فيه من الثمار والأزهار ما يشبع النهم ويشفي الغليل، فهو يكشف لنا عن مزايا طرق التأليف في تلك الآونة، إذ يمثل نموذجا حيا لمناهج علماء المسلمين وخصوصا المؤرخين منهم لما تتسم به من مرونة في صياغة مواد التاريخ، كما يلاحظ الحرص على استخلاص العبر والنتائج، ورغم تفرد الكتاب في بابه إلا أنه لم يسلم من بعض الهنات ومنها :عند ذكره للنسب أو اللقب يغفل الحديث عن بيان وجه اللقب أو النسب، وفي ذكره لمن انتسب إلى الحرف والصنائع يهمل التعريف بهذه الحرف والصنائع وفي حديثه عن شعراء المعلقات لا يركز إلا على امرئ القيس، كما أنه ذكر بعض الخرافات ولم يعلق عليها وهو المحدث البارع والناقد الحصيف."[1].

- **العلم الهيب في شرح الكلم الطيب:**

"الكلم الطيب" عبارة عن كتاب في الأذكار والدعوات جمعها ابن تيمية لتكون زادا للمؤمن وقد شرح هذا الكتاب ابن القيم الجوزية في كتاب سماه "الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب" وهو كتاب مطبوع، غير أن ابن القيم لم يشرح كل الأحاديث الواردة في الكتاب، فقد ذكر مقدمة مطولة حول فوائد الذكر وأهميته للسالكين ثم تعرض بالتعليق على الأحاديث بشكل خفيف، " وكتاب العيني يوجد مخطوطا في دار الكتب المصرية ويحتوي على مائة واثنين و ثمانين ورقة بخط مؤلفه، وقد فرغ من تأليفه في إثنان وعشرين من ذي القعدة عام 797هـ وسبب تأليف الكتاب أن بعض اصحابه وتلاميذه سألوه أن يدلهم عن كتاب نافع مختصر في الأذكار والدعوات فوقع نظره بعد المطالعة والتفكير على كتاب ابن تيمية فشرحه لهم."[2].والعيني في كتابه هذا قد أطال النفس في شرح عدد من الأحاديث خلافا لما قام به ابن القيم الذي مر على أغلبها مرور الكرام، وقد أشار العيني في مقدمة الكتاب أنه كان "حاويا ما يحتاج إليه من سائر الفنون مشيرا إلى الفوائد المستنبطة من ألفاظ خير العالمين، ورجاله المذكورين من الصحابة والتابعين وغيرهم مسمى بالعلم الهيب في شرح كلام الطيب، وما قصدي في ذلك إلا النفع

[1] : بدر الدين العيني، كشف القناع المرنى، ص 27 – 28 – 29.

[2] : صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ط1، 1987 ،ص 179.

والانتفاع ."[1]. وقد امتاز شرح العيني لكتاب "الكلم الطيب" بمنهج جمع فيه من الفوائد ما يحيط بالحديث المذكور فهو " يكتب أولا الحديث بالمداد الأحمر، ثم يشرع في شرحه بالأسود، فيذكر من خرج الحديث من أصحاب الصحاح والسنن مع بيان درجته ويترجم للصحابي ترجمة مسهبة فيذكر اسمه ونسبه ويضبطهما، ويذكر إسلامه وهجرته وما شهده مع النبي صلى الله عليه و سلم من المعارك، وعدد مروياته من الأحاديث، فيذكر عدد ما أتفق عليه الشيخان وعدد ما انفرد أحدهما بإخراجه، وعمن روي عنه، ويذكر سنة وفاته ثم يشرع في شرح الحديث ويطيل النفس كعادته في شروحه الأخرى مستشهدا بروايات تقوي ما ذهب إليه من معنى فيبين في الشرح معاني الكلمات واشتقاقاتها ثم يذكر اختلاف الروايات في الحديث، وما يستنبط منه من فوائد وإشارات، وقد يهمل ذلك في بعض الأحاديث، ولا يعيد ترجمة روا سبقت ترجمته ... وقد اختصر ما تدعوا الحاجة إلى اختصاره إما لتكرار معناه أو لتكرار بعض جمله في أحاديث سبقت."[2]. وإذاما أردنا أن نقارن بين شرح العيني لهذا الكتاب، وشرح ابن القيم له نجد أن شرح ابن القيم كان في مقدمته أفضل وأمتع حيث قدم لنا فوائد نفسية عن الذكر والدعاء أوصلها إلى تسع وسبعين فائدة، بلغت هذه المقدمة على مائة وثمانين صفحة[3]. أما العيني فقد فضائل الدعاء والذكر في عشرين صفحة فقط، وعد من الفوائد بضعا وخمسين فائدة، وقد تشابهت بعض النصوص و من المقدمتين، ولم يصرح العيني أنه أخذ عن ابن القيم، ولكن العيني في طريقة تناوله للأحاديث بالشرح الوافي كان مما فاق به ابن القيم وتغلب عليه.

- **شرح سنن أبي داود:**

يقع الكتاب في جزئين الأول في 280 صفحة ، والثاني في 269 صفحة " وهذا الشرح هو ثاني كتب شرح الحديث للعيني انتهى من الجزء الأول في ثالث ربيع الأول سنة 805هـ ، وقد أتمه في شهرين، وهو ناقص من أوله ويبدأ بحديث النهي عن استقبال القبلة ببول أو غائط، و أول الجزء الثاني: باب من رأى القراءة إذا لم يجهر الإمام، وآخره : باب في الشح، وهو ناقص الأخير لذا يصعب تحديد زمن فراغه منه .. وبسبب هذا الضياع يصعب أيضا تحديد دوافع العيني من تأليف الكتاب."[4].لقد سبقت الإشارة

[1] : بدر الدين العيني، العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، تح خالد بن ابراهيم المصري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، 2000م ص 12-13.

[2] :صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 179 – 180.

[3] : ابن القيم الجوزية، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تح اسماعيل الانصاري، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، (د.ت)، ص 5 وما بعدها.

[4] : صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 184.

إلى أن العيني قد أخذ سنن أبي داود عن شيخه تقي الدين الدجوي بقراءته عليه، وقد سار العيني في هذا الشرح وفق منهج بدأ فيه ببعض الرموز للتفريق بين كلام المصنف وهو الأصل، وكلامه هو أثناء شرحه فقد "رمز بحرف "ص" قبل كتابة الحديث دلالة على أن من كلام المصنف، ورمز بحرف "ش" لشرحه ويبدأ أولا بشرح ترجمة الباب، وقد يطول في شرحها وقد يسلك مسلك الاختصار وهو الغالب على شرحه لتراجم أبواب الكتاب. ثم يترجم لرواة الحديث راويا راويا ترجمة مقتصرة على إسمه ونسبه وعمن رواه، ومن روى عنه، ومن أخرج له من أصحاب السنن مع بيان مرتبته في التجريح والتعديل. وإذا ترجم للصحابي فإنه يذكر عدد مروياته من الأحاديث وعدد ما أتفق الشيخان على إخراجها، ومن انفرد به أحدهما عن الآخر، ثم يشرع في شرح ألفاظ الحديث، وقد يستدل على شرحه بروايات أخرى تقوي ما ذهب إليه، ويضبط ألفاظ الحديث بالأحرف، وكذلك أسماء الرواة، ثم يذكر ما يستفاد من الحديث ومن أخرجه غير أبي داود.. وقد غلب على الشرح التوسع خاصة إذا تعلق الحديث بالأحكام فإنه يذكر الاعتراضات ويجيب عليها بما يقوي مذهب الحنفية. وهذا ظاهر في جميع شرحه لأحاديث الأحكام، وإذا كان الحديث قد سبق شرحه أو سيأتي في التفصيل فيه فإنه يقتصر في شرحه على ترجمة الرواة وتجريح الحديث، وبيان غريبه إن وجد. أما البلاغة والأعراب فحضهما قليل إذا ما قرره الأمر في شرحه لمعاني الآثار ولصحيح البخاري. وفي ها الشرح ظهرت الصنعة الحديثة قوية بخلاف شرحه للكلم الطيب وذلك أن العيني قد ترقى قبل تأليفه شيأ كثيرا عن علوم الحديث دراية ورواية."[1].

- **مباني الأخبار في شرح معاني الآثار:**

يعتبر الكتاب "شرح معاني الآثار للطحاوي" مرجعا مهما في فقه الحديث وخاصة عند الحنفية ولذلك اهتم به علماء المذهب وألفوا حوله كتب كثيرة مابين شروح ومختصرات وتراجم لرجاله وممن شرحه قيل العيني" محمد بن محمد الباهلي باسم "تصحيح معاني الآثار" وعبد القادر القرشي وسمى شرحه" الحاوي في بيان آثار الطحاوي" وألف العيني في شرحه كتابا سماه: "مباني الأخبار" ثم اختصره باسم "نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار" وأفرد رجاله في مجلد بخطه. وكتاب "شرح معاني الآثار" للطحاوي يشتمل على الأحاديث المتعارضة التي كانت سببا في اختلاف العلماء في الأحكام الفقهية وابتدأ العيني شرحه بعد مقدمة بسيطة ذكر فيها اسم الكتاب بإيراد مقدمة الطحاوي لشرح معاني الآثار في نحو نصف صفحة، ثم شرع في شرح البسملة والحمدلة وأفاض في ذلك، ثم شرح كلمة "الشيخ" في

[1] المرجع السابق، ص 184 – 185.، وينظر أيضا بدر الدين العيني، شرح سنن أبي داود ، دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ت)، ج 1 / 30.

نحو ورقة، ثم شرح لفظ السنة والحديث والرسول والنبي والفرق بينهما ومعنى الصلاة على(صلى الله عليه و سلم). ثم ابتدأ في شرح الأبواب فيشرح ترجمة الباب وعلاقته بالذي قبله وسبب تأخيره عنه، وعندما يسوق الأصل يقول:قال أحمد رحمه الله .. ويذكر الحديث وفي الشرح يقول : قال محمود عف الله عنه."[1]. ولذلك يعتبر هذا الشرح من الموسوعات التي ألفت في ذلك العصر فإنه لا يقل أهمية عن الموسوعات شروح البخاري، فإن العيني قد أطال النفس في تخريجه وشرحه وبيان رجاله، ولقد كان السبب الذي دفع بالعيني إلى تأليفه رد الفرية التي تتهم الأحناف بأنهم يأخذون بالرأي ويتركون الاحتكام إلى الآثار، لذلك أفرغ العيني فيه الوسع وبذل الجهد لنصرة المذهب ودفع الشبهات والأمثلة في الكتاب أكثر من أن تحصى.

- **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار:**

ويبدو أن هذا الكتاب منتخب من الكتاب السابق "مباني الأخبار" كما هو واضح من عنوانه لذلك يتشابهان في المنهج إلا أن فيه زيادات طفيفة " ويقع الكتاب في ثمانية أجزاء موجودة كاملة في دار الكتب المصرية، وقد فرغ العيني من تأليفه عام 819هـ وكان قد انتهى من تأليف كتابه: "مباني الأخبار" عام 810هـ. ويسمى أيضا "معاني الأخبار" وهو شرح لـ"معاني الآثار" للإمام الطحاوي ورغم أنه مختصر من "مباني الأخبار" إلا أن فيه زيادات عليه، وحين بدأ العيني بتأليفه وعمره ستة وأربعين سنة كان قد نضج علميا وأمضى فيه 10 سنوات، وانتهى المؤلف من الجزء الأول سنة 808هـ، ومن الأخير سنة 819هـ، ولما كان المشتهر بين الناس أن مذهب الأحناف هو مذهب أهل الرأي حتى أدعى عليم بأنهم يردون الأحاديث التي تتعارض مع مذهبهم تصدر الطحاوي لنصرة المذهب بالأحاديث والآثار، فأضحى هذا الكتاب أصلا أصيلا ومرجعا مهما لنصرة مذهب أهل الرأي بالأثر.. وقد عني العيني بتدريسه سنين طويلة في المدرسة المؤيدية، وكان الملك المؤيد شيخا ملما بالعلم يناقش العلماء فيه حتى جعل لهذا الكتاب كرسيا خاصا في جامعته كباقي أمهات كتب الحديث، وعين لهذا الكرسي البدر العيني فقام البدر بتدريس هذا الكتاب خير قيام مدة مديدة، وألف في شرحه كتابين ضخمين صورة ومعنى أحدهما: "نخب الأفكار في تنقيح معاني الآثار" والثاني: "مباني الأخبار في شرح معاني الآثار" وهو خال من الكلام عن الرجال حيث أفردهم في تأليف خاص سماه : معاني الأخيار في رجال معاني

[1] : نفسه، ص 193 – 194.

الآثار".[1].ويعد شرح العيني شرحا مميزا ظهرت فيه القدرة على تتبع الدقائق واستخراج الفوائد وظف فيه العيني علمه بالرجال ودرايته بالتصحيح والتضعيف، ومقدرته على الاستنباط والاستنتاج والرد على المخالفين انتصارا لمذهب الأحناف، وهو "شرح جميل منسق يذكر فيه مناسبة الحديث بالباب، ومناسبة الباب بما قبله من الأبواب، ويتكلم على رجال إسناده بإسهاب، ويبين فيه اللغات والإعراب، ووجوه المعاني والبيان، والأسئلة والاعتراضات والأجوبة وتخريج مواضع الحديث وما يستنبط منه من الأحكام، وقد قام المؤلف بوضع حرف "ص" قبل الجزء الذي يريد شرحه من كتاب "شرح معاني الآثار" دلالة على أنه من كلام المصنف أو إشارة إلى أن هذا الكلام هو صدر الكتاب، كما يضع حرف "ش" قبل الشرح."[2].

ويتفنن العيني في ضبط الأسماء والألفاظ المشتبهة إما بالشكل أو بالحروف ولا يترك غريب اللفظ إلا بينه، وتعرض لإعراب ما يشكل من الجمل والكلمات بإسهاب، وإذا تعرض إلى المسائل الفقهية فإنه يظهر براعته في بيان المسائل ومناقشتها في توسع مع الأدلة والرد عليها وغالبا ما يرجح مذهب أبي حنيفة ناقلا عن أمهات كتب الفقه والحديث، ويختم شرح الحديث ببيان فوائده التي يستفاد منه وإذا سكت الطحاوي عن ذكر بعض الأسماء بينها العيني، ويذكر الأحاديث التي لم يتعرض لها.

- **مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار:**

هذا الكتاب من جزئين، وتوجد نسخة من ثلاثة أجزاء "الأولي بدار الكتب المصرية، والثانية بمتحف بتركيا، وهذا الكتاب جعله المؤلف كالمقدمة لنخب الأفكار في شرح "شرح معاني الآثار" حيث أفرد فيه الرجال .. وذلك أن الطحاوي أخرج عن جماعة من الرواة لم يخرج لهم أحد من أصحاب الكتب السنة. وقد ألف العيني هذا الكتاب بعد تأليفه لمباني الأخبار ولنخب الأفكار، فقد انتهى من الأول سنة 810هـ ومن الثاني سنة 819هـ، وفرغ من الجزء الأول من هذا الكتاب في الثالث عشر من ذي الحجة سنة 821هـ.. وقد قدم العيني لكتابه هذا بمقدمة نحو ورقتين، ذكر فيها أنه أراد أن يبين ما فيه من المشكلات

[1] : بدر الدين العيني، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تح أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النوادر، سوريا، ط1، 2008م ج1/7-8-9.

[2] : المصدر السابق، ج 1 / 17 – 18.

و يكشف ما فيه من المعضلات، فيخرج رجاله من الرواة مظهرا بأن الحنفية هم متمسكون بالحديث والخبر، وأن مذهبهم هو الحديث النبوي في كل أمر حدد كيف لا وهم يقدمون خبر الواحد[1].

على القياس.[2]"[3]. وينسب هذا الكتاب إلى علم تراجم الرجال الذي يعد عمدة في علوم الحديث وقد برع فيه العيني براعة فائقة قال في مقدمة الكتاب: " ثم إن كتاب الرجال إذا أفرد يسمى"مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار".. وجعلت كتاب الرجال على مقدمة و خمسة عشر كتابا، أما المقدمة ففي ذكر نبذة من سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) على طريق الإنجاز، إذا لم يوضع لذلك ولكن لا تخلوا بركته من ذلك. وأما الكتب فكانت في أسماء الرجال من الرواة الصحابى والكنى والنساء الصحابيات وكناهن ..وأسماء التابعين وكناهم.. والتابعيات وكناهن.. وفي النسب إلى القبائل والبلدان والحرف والصنائع.. وهذه طريقة سلكتها قل من سلكها أحد من قبلي، ولا خبرها أحد غيري على هذا الفعل، بل لم يسلكها أحد قبلي على هذا المثال، ولم ينسجها أحد على هذا المنوال. وقد ألفته في مدة يسيرة مع تجرع الغصص ومقاساة الشدائد وتخلل الموانع والعوائق."[4].

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان:**

والكتاب في أربع وعشرين مجلدا يشهد لصاحبه بالبراعة والتبحر في معرفة التاريخ وقدرته على استقصاء حوادثه "والنسخة في دار الكتب المصرية في ثمانية وعشرين مجلد، والكتاب هو أشهر وأهم كتب العيني في التاريخ والتراجم وخاصة في الفترة الأخيرة التي عاصرها، وقد أعتمد فيه على البداية والنهاية لابن كثير كما ذكر فيه ترجمته.وقد استعمل العيني تاريخه بالمقدمة في التاريخ ومبدئه وأسماء النجوم العربية والرومية والقبطية والفرنسية، وتكلم عن الأنواء، ثم تكلم فيمن خلق أولا وتحدث عن السماوات والنجوم والأرضين، وأقاليم البلاد وحدودها مع ضبط أسماءها، وكل ذلك مرتب حسب حروف المعجم مع ذكر المصادر التي يستمد منها، وهو كتاب مهم في التراجم ذكر فيه الأعلام وتجرم لهم، لا توجد ترجمتهم عند مؤرخي تلك الفترة كالمغريزي وابن حجر وغيرهما، وذلك في ترجمة بعض شيوخه. وقد اعتمد

[1] : ويسمى خبر الأحاد وهو ما رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، آحاد لم يبلغ عدد التواتر كأن رواه واحد أو إثنان فصاعدا دون المشهور والتواتر في العصور الثلاثة الأولى، وأكثر الأحاديث قد ثبت بهذا الطريق، ينظر وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر ، سوريا، ط1، 1986م، ج454/1.

[2] : القياس عند الأصولين: إلحاق أمر غير منصوص على حكمه الشرعي بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم. ينظر وهبة الزحيلي أصول الفقه الإسلامي، ج603/1.

[3] : صالح يوسف معتوق، البدر العيني وأثره في علم الحديث، ص 255.

[4] : بدر الدين العيني، مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت)، ج 1/ 1 – 2.

على تاريخ العيني كل من كتب في تلك الفترة من بعده .. وبهذا الكتاب ارتقى العيني إلى المرتبة الأولى من المؤرخين. وقد اختصره مرتين: الأولى في كتابة: "التاريخ البدري" في ثمان مجلدات، والثانية في ثلاث مجلدات."[1].

وكتاب "عقد الجمان"كتاب في التاريخ العام يضاف إلى الكتب الموسوعة التي ألفها العيني وتوسع فيها وأبدع وتفرد فكان كتابه محط إعجاب كثيرا من المؤرخين، قال في المقدمة: "قد كنت جمعت في حداثة السنة وعنفوان شبابي تاريخ من مبدأ الدنيا إلى سنة خمس وثمانمائة حاويا لقصص الأنبياء عليهم السلام، وما جرى في أيامهم، وسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما جرى يعد بين الخلفاء والملوك في كل زمان، مع الإشارة إلى وفيات الأعيان، متوجا بذكر الملكوت العلوية، والملكوت السفلية، ثم بدا لي أن أنقحه بأحسن منه ترتيبا، و أوضح تركيبا، مع زيادات لطيفة، ونوادر شريفة، وضبط ما يقع فيه من المبهمات من أسامي الرجال والأمكنة المذكورات، وترجمته بعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان وفصلته على فصول، تسهيلا للحصول، متوجا بمقدمة تنبئ عن أصل التاريخ ومعناه، وعن سبب وضعه ومبناه."[2].والعيني قدم حوادث كل سنة على وفيات أعيانها، كما رتب أحداث ما بعد الهجرة النبوية على السنين وانتهى فيه إلى آخر سنة 850هـ أي قبل وفاته بخمس سنوات ولعله آخر كتبه قبل أن يقضي نحبه رحمه الله.

- **وسائل التعريف في مسائل التصريف:**

"بدأ العيني مختصره بالحمد لله الذي أصرف عنا الزيغ.. والصلاة على نبيه ورسوله ذي الجلال والجمال، ثم بين سبب تأليفه لهذا المختصر وهو جعل المبتدئ في فن التصريف إذا حفظه يترقى به إلى أعلى المطالب، وينتهي به إلى أسن المراتب، ثم بدأ بتعريف التصريف بأنه تصدر المصدر، وهو بذلك يشايع المذهب البصري في أصل المشتقات، وتقدم العيني تمهيدا مبسطا لعلم الصرف كأقسام الفعل وهي مجرد الثلاثي ومزيده، ومجرد الرباعي ومزيده، ثم يبين أبواب المجرد الستة، ثم أبواب الثلاثي المزيد فيه وهي خمسة عشر بابا، ثم الرباعي المجرد وله باب واحد، ثم الرباعي المزيد فيه وله ثلاثة أبواب، ثم يعقد فصلا في إسناد هذه الافعال إلى الضمائر المختلفة حسب الترتيب السابق، ثم فصلا في تصريفها في الأمر ثم مع النهي ثم مع النفي ثم مع الجحد، ثم يعقد فصولا عدة لأهم المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول

[1] : بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية، تح أيمن صالح شعبان، ج1 / 45- 46.

[2] : بدر الدين العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ج 11/1.

واسمي الزمان والمكان ثم فصولا في أقسام الفعل من حيث الصحة والاعتلال فيتكلم عن الفعل المهموز والمثال والأجوف والناقص واللفيف بنوعيه المقرون والمفروق، كما أحتج العيني بالقرآن في موضعين ولم يحتج بالشعر مطلقا ولا بالأحاديث النبوية، وكان أسلوب العيني في هذا المختصر سهلا بسيطا مع الإيضاح ببعض الأمثلة، ولا غرابة في ذلك لأنه يقدم مختصرا للمبتدئ في علم الصرف."[1].

وهذا المختصر المفيد يبين فكر البدر العيني الصرفي المتمثل في البساطة والبعد عن التعقيد والإبهام وهو بذلك يضيف عملا صرفيا جديدا، كما يعد بداية طيبة للمبتدئين في تعلم الصرف، يقول العيني في مقدمة هذا الكتاب: "الحمد لله الذي أصرف عنا الزيغ والضلال، وصرف فينا نعمه المختلفة الأمثال والأشكال، وأسبغها علينا من غير وزن ولا مكيال، والصلاة على نبيه ورسوله ذي الجلال والجمال، محمد الهادي المبعوث بالدين السالم عن علة الخبال، وعلى آله وصحبه أهل التقى والفضل والكمال، عدد ما وجد في الماضي، وما يوجد في الاستقبال وبعد: فإن العبد الفقير إلى الله تعالى أبا محمد محمود بن أحمد العيني عاملهم ربهم بلطفه الجلي والخفي يقول: هذا مختصر في فن التصريف صلته في المبتدئ فيه والمعتني بمعانيه مسمى: "بوسائل التعريف في مسائل التصريف" بحيث إذا حفظه يترقى به إلى أعلى المطالب وينتهي به إلى أسنى المراتب، والمسؤول منه أن يذكرني في صالح دعواته في أوقات صلواته، إن الله مجيب للدعاء بالقبول وهو خير مدعوا وأكرم مسؤول، إعلم أن التصريف تصرف المصدر مثل: نصر وإكرام ودحرجة وتدحرج إلى الأمثلة المختلفة، وهي الماضي والمضارع والأمر والنهي والنفي والجحد واسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان واسم الزمان واسم الآلة وذلك لأغراض مقصودة مختلفة لا تحصل إلا بهذه الأمثلة، ومبنى ذلك على معرفة أقسام الفعل."[2]والملاحظ في مقدمة العيني واستهلاله بالحمد والثناء على الله والصلاة على نبيه يستعمل مصطلحات شائقة في فن الصرف والتصريف وذلك من مثل: أصرف وصرف، والوزن والسالم والعلة، والماضي والاستقبال.. وهكذا تظهر ملامح الاقتدار منذ الوهلة الأولى والعبارات التي افتتح بها العيني رسالته في الصرف.

- **وسائل الفئة في شرح العوامل المائة:**

[1] كرم محمد زردنح، وسائل التعريف في مسائل التصريف لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني تحقيق، مجلة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، يونيه 2007م، ص 27.

[2] : المصدر السابق، ص31.

وكتاب "العوامل المائة النحوية" ألفه عبد القاهر الجرجاني قام العيني بشرحه. وقد ذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي أن لكتاب العوامل المائة للجرجاني ستة وثلاثون شرحا[1]. وقد خط العيني في شرحه منهجا " بدأ فيه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم بين سبب شرحه لكتاب العوامل المائة النحوية لعبد القاهر الجرجاني، ثم التزم بالترتيب الذي سلكه صاحب العوامل المائة إلا في موضعين هما: الأول عندما تحدث عن معنى "عن" وضعها في الترتيب السادس في حين جاءت عند الجرجاني في الترتيب الثامن، الثاني: قدم النوع الثالث عشر وهي أفعال الشك واليقين على النوع الثاني عشر وهي أفعال المدح والذم، كما اهتم العيني بالشرح اللغوي لنص الجرجاني فمثلا في تفسيره لكلمة التحقيق يقول: فإن قلت: ما معنى التحقيق في إن ؟ قلت: معناه أن يحقق مضمون الجملة وتثبت قدمها في الصدق كما ترى في قولك، زيد كاتب، وإن زيدا لكاتب ثم زيادة المؤكد بحسب اعتبار المقام وباعتبار حال المخاطب تقول: إن زيدا كاتب وإن زيدا لكاتب والله إن زيدا كاتب، والله إن زيدا لكاتب ، وقد يقوم العيني باختصار كلام الجرجاني فمثلا في شرحه لحرف الجر "اللام" ذكر عبد القاهر خمسة معاني "للام" في حين ذكر العيني معنيين فقط، وقد يشرح العيني بعض العبارات التي يكتبها كشرحه للبسملة وبيان فضل الابتداء بها، ويقوم العيني أحيانا بالشرح اللغوي للأبيات التي يستشهد بها، وقد يحتج بالقرآن والشعر في تقرير قاعدة نحوية."[2]. وعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على نبيه الكريم قال: " فإن العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني أبا محمد محمود العيني عامله ربه بلطفه الجلي الخفي يقول: قد سألني من لا يسعني رده، ولا يوافقني صده أن أشرح العوامل المائة التي لخصها الإمام الحبر المدقق الشيخ عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، فأجبته إلى سؤاله، ملتمسا في ذلك من خالص دعائه، فشرحتها بعون الله، بحيث يغني الناظر فيه عن بعض المطولات ويوقف على مسائل ونكات وسميته: وسائل الفئة في شرح العوامل المائة، والله يمتع الناظر فيه، والآخذ من معاينه أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير."[3].

- **ميزان النصوص في علم العروض:**

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، والسيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، 1959 -1977، ج 5 / 201 – 204.

[2] : محمود محمد العامودي، وسائل الفئة في شرح العوامل المائة لأبي محمد بدرالدين محمود بن احمد العيني تحقيق، مجلة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد الخامس، العدد الثاني، يونيه 1997م ، ص 9-10 .

[3] : نفسه، ص17.

يعد هذا الكتاب ميزانا للشعر العربي، وبه يعرف صحيح الشعر من مكسوره، وغثه من سمينه وقد أوضح فيه العيني خلاصة علمه بلا تطويل ممل ولا إيجاز مخل، كما جمع فيه كل بحور الشعر، وصوره النظرية والتطبيق عليها بالأبيات الشعرية "كما قام بتعريف كل مصطلحات علم العروض التي تعرض له أثناء حديثه عن بحور الشعر العربي، ولم ينس أن يعرف بالقافية وأنواعها وأحرفها وحركاتها وعيوبها، إن الكتاب يضع بين أيدينا حقيقة واضحة، وهي أن العيني عالم متمكن في هذا العلم كيف لا وقد قام بشرح أهم قصيدتين في علم العروض أسماهما:"مقصد الطالب شرح قصيدة ابن الحاجب" و" الحاوي في شرح قصيدة الساوي". هذا بالإضافة إلى بيان جميع بحور شواهد الشعر في كتابه "المقاصد النحوي"."[1]. وقد بدأ العيني بمقدمة حمد لله وصلى على نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ثم ذكر اسمه ونسبه وما وسم به كتابه وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: الأول : تحدث فيه عن دوائر العروض الخمسة وصورها. الثاني: بين فيه بحور الشعر العربي الستة عشر. الثالث: ذكر فيه القافية وأنواعها وأحرفها وحركاتها وعيوبها. وقد التزم العيني الترتيب الذي سار عليه العروضيون بعرض بحور الشعر العربي بدءا بالبحر الطويل وإنتهاءا بالبحر المتدارك. كما قام بعرض كل الصور النظرية لمحور الشعر العربي والتطبيق عليها بالأبيات " والأبيات التي استشهد بها العيني مجهولة النسبة، وهذا يدل على عدم اهتمام العروضيين بنسبة البيت إلى قائله، والأبيات التي وقفت عليها ونسبتها إلى أصحابها قليلة بالنسبة للأبيات مجهولة القائل، وجميع هذه الأبيات التي استشهد بها العيني هي أبيات الزمخشري في الفسطاس ما عدا ثمانية أبيات، وقد ينقل العيني بعض الفقرات عن الزمخشري دون عزو."[2]. وفي المقدمة افتتح العيني كعادته بهذا الأسلوب "الحمد لله حق حمده، والصلاة على نبيه وعبده محمد سيد الأنام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام بعد:فإن العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني أبا محمد محمود بن أحمد العيني عامله الله بظل لطفه الجلي والخفي يقول: هذا منتخب في علم العروض مغن عن غيره، غير ممل ولا مخل، كاف لمن يقطع أشعار الدواوين، واف لمن يروم في إنشاده الموازين مترجم بكتاب: ميزان النصوص في علم العروض. إعلم أسعدك الله أن الأشعار مشتملة على الدوائر الخمسة: المختلفة والمؤتلفة، والمشتبهة والمتفقة، وهي مشتملة على البحور،والبحور الممكنة إثنان وعشرون والمستعمل عند العرب خمسة عشر عند الخليل."[3].

2. مؤلفاته المخطوطة:

[1] : بدر الدين العيني، ميزان النصوص في علم العروض، تح محمود محمد العامودي، مطبعة المقداد، غزة، ط1، 1997، ص 3.

[2] : نفس المرجع السابق، ص 6.

[3] :نفسه، ص 13.

- **تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر:**

" وهو في ثماني مجلدات جمع فيه بين الحوادث والوفيات على السنوات وابتدأ من أول الخلق، ثم ذكر البر والبحر وما فيهما من المدن والجزر، ناقلا من كتب تقويم البلدان، ثم اعتمد في نقل الحوادث على البداية والنهاية لابن كثير. والكتاب اختصار لعقد الجمان الذي سمي بالتاريخ الكبير. يوجد منه جزءان في المكتبة الأحمدية بتونس، ومجلدان في معهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية."[1].

- **تحفة الملوك في المواعظ والرقائق:**

و هو شرح في الرقائق وأخلاق القلوب ذكره السخاوي والشوكاني وابن العماد عند ترجمتهم للعيني وإحصاء مؤلفاته.

- **الدور الزاهر في شرح البحار الزاخرة:**

"وهو في مجلدين، وهو كتاب في الفقه على المذاهب الأربعة، والبحار الزاخرة أرجوزة في الفقه لحسام الدين الرهاوي شيخ العيني، وقد شرحها بحل ما أعضل فيها من التركيب مع الإشارة إلى وجوه الإعراب، وذكر صور المسائل على وجه الإيجاز والاختصار، ونظم بعض المسائل التي أغفلها الناظم.. وقد انتهى العيني من تأليف الجزء الأول وهو في نحو 314 ورقة في 13 محرم من سنة 822هـ كما هو موضح في آخره، أما الجزء الثاني فيحوي على 241 ورقة."[2].

- **شرح خطبة مختصر الشواهد:**

"وهو شرح لخطبة فرائد القلائد الذي استعمل فيها حوشي الكلام وأخذ عليه ذلك، توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية."[3].

---

[1] : عبد الحفيظ منصور، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1969م. ج148/1 .

[2] : صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 100 – 101.

[3] : كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 6 / 196.

- **مباني الأخبار في شرح معاني الآثار:**

وهو شرح "لمعاني الآثار" للإمام الطحاوي في أحد عشر مجلدا وهو كتاب يضاف إلى ما ألفه العيني حول كتاب الطحاوي المذكور سماه:"نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار" الذي سبقت الإشارة إليه في عداد الكتب المطبوعة للعيني.

- **مجموع يشتمل على حكايات:**

ذكره بروكلمان[1] بأنه مخطوط يوجد في مكتبة الحلبي.

- **المسائل البدرية المنتخبة من الفتاوى الظهيرية :**

ذكره حاجي خليفة[2] في مجموع مؤلفات العيني. " والكتاب من مجلد واحد يضم 119 ورقة، وهو منتخب من كتاب الفتوى الظهيرية لظهير الدين محمد بن أحمد بن عمر البخاري المحتسب. والكتاب لا يشمل جميع مسائل الفقه وإنما هو ملخص وانتخاب ما تكثر الحاجة إليه، وحذف ما كثر الإطلاع عليه استغناء بما ذكر في المختصرات والإكتفاء بما دون في شروحها من المطولات. ولم يذكر العيني في المقدمة عمن تلقى هذا الكتاب، أو من أجازه بروايته كعادته في شروحه ومختصراته ... وقد فرغ منه في 12 جمادى الأولى سنة 840هـ."[3].

- **المستجمع في شرح المجمع:**

وكتاب المجمع هو شرح لكتاب مجمع البحرين وملتقى النهرين لأحمد بن علي بن تغلب المعروف بابن الساعاتي "توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية في جزأين الأول في 350 ورقة، والثاني في 220 ورقة، والكتاب في فقه الحنفية وقد ذكر السخاوي أن العيني ألفه وهو ابن إحدى وعشرين سنة في حياة كبار شيوخه فوقفوا عليه وقد انتهى منه عام 805هـ بحارة كتامة، وقد أخذ المجمع في مدينة عينتاب سنة 785هـ

[1] : نفسه، ج 6 / 195.

[2] : حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 2 / 1226.

[3] : صالح يوسف المعتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 104.

وختمه في سنتين كاملتين."[1]ولقد ذكرت آنفا أن العيني قد قرأ الكتاب (مجمع البحرين) على جبريل بن صالح البغدادي كما سمعه من ميكائيل بن حسين إسرائيل التركماني، وقيل أن العيني في شرحه للمجمع زاد على الأصل أقوال الأئمة الثلاثة الشافعي ومالك وأحمد مع بيان الأصح والأضعف من الأقوال رغم أن الكتاب في فقه الأحناف وفي ذلك دلالة على أن العيني لم يكن متعصبا لمذهبه الحنفي بل واسع الأفق لاستيعاب أقوال المذاهب الأخرى مطلعا على أشهر الأقوال فيها، والمعتمد من الآراء فيها."كما ذكر العيني آراء المحدثين في بعض المواضع، ونبه على المشكل من الإعراب، وعلى غرائب الفروع والمسائل."[2].

- **المقدمة السودانية في الأحكام الدينية:**

لم يذكرها أحد من الذين ترجموا للعيني غير أن بروكلمان أشار إليها "بأنها مخطوط في أياصوفيا."[3]

- **مقصد الطالب في شرح قصيدة ابن الحاجب:**

وهو كتاب في علم العروض شرح فيه العيني قصيدة ابن الحاجب لما رأى فيها من الفوائد مشتملة على أدق مسائل القوافي والأوزان.

- **منحة السلوك في شرح تحفة الملوك:**

لقد سبقت الإشارة إلى كتاب "تحفة الملوك" وهو كتاب في الرقائق والزهد، ولكن كتاب "تحفة الملوك" هذا " في فقه الأحناف، لأبي بكر محمد بن أبي بكر بن عبد المحسن الرازي من علماء القرن 7هـ، اقتصر فيه على عشرة أبواب من الفقه وهي: الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والصيد مع الذبائح

[1] :السخاوي، الضوء اللامع، ج 10 / 134.

[2] : بدر الدين العيني، البناية شرح الهداية، تح أيمن صالح شعبان، ج 1 / 49.

[3] :كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 6 / 196.

والكراهية والفرائض والكسب مع الأدب، وقد اعتنى العيني بكتابه هذا فخرج أحاديثه وزاده كثيرا من الفوائد."[1].

- **تكميل الأطراف:**[2]

ذكر هذا الكتاب محمد زاهر الكوثري ضمن مؤلفات العيني في مقدمته على عمدة القارئ فقال:" ومنها تكميل الأطراف في مجلد، كتاب يشهد له بالبراعة والتبحر."[3]. ويبدو من خلال العنوان أن الكتاب ترتيب لأطراف الكتب الستة على الحروف وهو اختصار لكتاب "أطراف المزي" وعمل العيني فيه أنه "يذكر عنوان الباب فيقول مثلا: حرف الكاف أو حرف الميم، ثم يورد الأحاديث التي تبدأ بالحرف المعنون له وفي آخر الحديث يرمز إلى من أخرجه من الكتب الستة بالرموز المعروفة وغالبا يذكر في أي باب ورد، كما أن في بعض الأحاديث إحالة إلى كتب غير الستة، وهي مرتبة على حروف العجم."[4]. ولم ينفرد العيني باختصار كتاب المزي، فقد أختصره آخرون وكان من أشهرهم: الذهبي[5] الذي اختصره في مجلدين، ثم اختصره أبو المحاسن الحسني في كتاب سماه:"الكشاف في معرفة الأطراف"، ثم اختصره أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر الحسيني الشافعي المعروف بابن قمر بعنوان:" ألطاف الإشراف بزهر الأطراف".

3. مؤلفاته المفقودة :

ذكر جل الذين ترجموا للإمام العيني أن له مؤلفات نسبت إليه، واشتهرت أنها من تصنيفه لكنها تعد من قبيل المفقود وهي كثيرة اكتفى بذكر عناوينها دون الخوض في بعض جوانبها كما أسلفت في كتبه المطبوعة والمخطوطة، وكان عدد المؤلفات المفقودة يفوق عدد كتبه المطبوعة والمخطوطة مجتمعة، وقد عرج عليها السخاوي وابن تغري بردي، والشوكاني والسيوطي وحاجي خليفة والتميمي وطاش كبرى زاد وابن العماد وغيرهم، وفيما يلي قائمة الكتب وقد نيفت على الثلاثين مؤلفا .

---

[1] : صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 107.

[2] : كتب الأطراف "هي التي يقتصر فيها على ذكر الدال على تقنية مع الجمع لأسانيده، إما على سبيل الاستيعاب أو على جهة التقييد بكتب مخصوصة." ،ينظر محمد جعفرالكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1400هـ.ج52/1.

[3] :بدر الدين العيني، عمدة القارئ، ج1/ 9.

[4] : صالح يوسف المعتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 262 – 263 – 264..

[5] : بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، مطبعة عيسى الباي الحلبي، القاهرة، ط1، 1976، ص 236.

- **تاريخ الأكاسرة .**
- **تذكرة نحوية .**
- **تذكرة متنوعة .**
- **الجوهرة السنية في الدولة المؤيدية .**
- **التذكرة في النوادر .**
- **الحواشي على تفسير أبي الليث .**
- **الحواشي على تفسير البغوي .**
- **الحواشي على تفسير الكشاف .**
- **الحواشي على التوضيح** :"والتوضيح هو كتاب أوضح المسالك لألفية ابن مالك" لابن هشام.

الحواشي على شرح الألفية لابن المصنف : وابن المصنف هو ابن صاحب الألفية (ابن مالك) واسمه محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك شرح ألفية والده وخطأه في بعض المسائل، وكان إماما في النحو والبيان والمعاني والعروض.

- **الحواشي على شرح الشافية للجاربردي .**
- **الحواشي على المقامات للحريري .**
- **زين المجالس** : ذكره السخاوي فقال: "وله تحفة الملوك في المواعظ والرقائق كتاب في ثمان مجلدات سماه "مشارح الصدور"، ورأيت بخطه أنه سماه "زين المجالس."[1]. ولكن العيني بين أنهما كتابان مستقلان حينما ذكر كلا منهما على حدة[2] والخلاف في اسم الكتاب موجود.
- **سيرة الأنبياء .**

[1] : السخاوي، الضوء اللامع ج 10 / 134.

[2] : بدر الدين العيني، كشف القناع المرنى، ص 587.

- **سيرة الأشرف برسباي** .
- **شارح الصدور** .
- **شرح تسهيل ابن مالك مطول** .
- **شارح تسهيل ابن مالك مختصر** .
- **شرح المنار في الأصول** : وهو لحافظ الدين النسفي صاحب "كنز ا لدقائق" .
- **طبقات الحنفية** .
- **طبقات الشعراء** .
- **غرر الأفكار شرح درر البحار**: "درر البحار" كتاب في الفتاوى على المذاهب الأربعة لشمس الدين القونوي الدمشقي[1].
- **الفوائد على شرح اللباب** : واللباب كتاب في النحو للسيد عبد الله العجمي النقركار يضم النون وسكون القاف[2].
- **الحاوي في شرح قصيدة الساوي**: وقصيدة الساوي في العروض لأمية تضاهي الحاجبية وهي لصدر الدين محمد بن ركن بن محمد الساوي[3].
- **شرح لأمية ابن الحاجب** : وهي قصيدة في العروض
- **كشف اللثام عن سيرة ابن هشام**: وهو شرح على السيرة النبوية لابن هشام ولم يكمله .
- **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر** .
- **مختصر مختصر عقد الجمان**: في ثلاث مجلدات ذكره ابن تغري بردي[1] وغيره

[1] : حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1 / 746.

[2] :السيوطي، بغية الوعاة، ج 1 / 70.

[3] : السخاوي، التبر المسبوك، ص 379.

- **مختصر وفيات لابن خلكان كتاب في التراجم** .

- **معجم الشيوخ**: وهو يقع في مجلد واحد ذكره العيني[2] وقد سار فيه على عادة العلماء المكثرين من الأخذ والسماع والتلقي عن الشيوخ أن يحظروا أسماء شيوخهم في معجم مرتب على الحروف، وكذلك فعل العيني .

- **مقدمة في التصريف**: ذكره الشوكاني[3] وغيره .

- **مقدمة في العروض**: ذكره الشوكاني[4] وغيره.

- **التذكرة في النوادر** : ذكره العيني[5] بهذا الاسم .

- **الوسيط في مختصر المحيط** : ويقع في مجلدين أورده جمع من أهل التراجم والسير منهم التميمي[6] وكتاب "المحيط" في فقه الحنفية لرضي الدين السرخسي.

- **كتاب مجموع من أحاديث متفرقة** : وقد تتبع فيه أحاديث "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي وحاول أن يزيل عنه ما روي فيه من أحاديث ضعيفة التي لا ينجبر ضعفها والأحاديث الواهية والموضوعة التي لا أصل لها، وقد قام بهذا العمل الجبار شيخه زين الدين العراقي الذي خدم الإحياء خدمة جليلة القدر حين قام بتخريج الأحاديث الواردة فيه وهو مطبوع بهامش الإحياء.

- **كتاب المناسك** .

- **تتريك القدوري** : أي ترجمه إلى التركية، والقدوري كتاب في فقه الحنفية كما سبقت الإشارة إليه.

---

[1] :ابن تغري بردي ، المنهل الصافي، ج 8 / 354.

[2] : العيني، كشف القناع المرنى، ص589.

[3] : الشوكاني، البدر الطالع ، ج 2 / 295.

[4] : نفسه ج 2 / 295.

[5] : البدر العيني، كشف القناع المرنى، ص 588.

[6] : عبد القادر التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح عبد الفتاح محمد الحلو، ج 819/3

- **منتخب من مسائل روضة العلماء** : وكتاب "روضة العلماء" لأبي علي الحسين بن يحي البخاري الزندويستي الحنفي، وقد انفرد العيني[1] بذكره.

- **ماه رامه في تتريك شاه نامه:** "وشاه نامه" كتاب فارسي منظوم لأبي القاسم حسن بن محمد الطوسي نظمه في مدة ثلاثين سنة آخرها سنة 384هـ، وجعله تذكرة للسلطان محمود بن سبكتكين وهو مشتمل على ستين ألف بيت."[2].

هذا أغلب ما اطلعت عليه من مصنفات العيني، وأحصيته ورتبته، ولا أستطيع أن أدعي الإحاطة بكل ما ألفه، ولكن حسبي أني جمعت ما أجزم أنه محل اتفاق بين جميع الذين ترجموا للعيني من الباحثين الذين اهتموا بتراثه. كما لا يفوتني أن أشير أن للعيني تقاريظ على مؤلفات سأضمها إلى الجدول الذي سأحاول أن ألخص فيه هذه الجولة الطويلة الماتعة مع مصنفاته مقسما بحسب العلوم التي برع فيها وله فيها كتاب أو مصنف أو رسالة سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة أم مفقودة .

[1] : العيني، كشف القناع المرنى، ص 588.

[2] : نفسه، ص 489.

ت	التفسير و علوم القرءان	السنة وعلوم الحديث	الفقه وأصوله	السيرة والتاريخ والتراجم	علوم اللغة والأدب	الوعظ والخطب والرقائق	التقاريظ
01	الحواشي على تفسير البغوي	عمدة القارئ: شرح صحيح البخاري	البناية شرح الهداية	عقد الجمان	المقاصد النحوية	زين المجالس	التقريظ على الرد الوافر
02	الحواشي على تفسير الكشاف	نخب الأفكار	رمز الحقائق	مختصر عقد الجمان	ملاح الأرواح	شارح الصدور	التقريظ على زهر الربيع في البديع
03	الحواشي على تفسير أبي الليث	مباني الأخبار	الدرر الزهراء	مختصر مختصر عقد الجمان	فرائد القلائد	تحفة الملوك	التقريظ على السيرة المؤيدية
04		شرح سنن أبي داود	المسائل البدرية	مختصر تاريخ دمشق	الحواشي على شرح الألفية	تذكرة متنوعة	تقريظ على كتاب السخاوي
05		العلم الهيب	المستجمع	كشف اللثام	شرح تسهيل ابن مالك (مطول)	النوادر	
06		كتاب مجموع من أحاديث متفرقة	منحة السلوك	سيرة الأشرف برسباي	الحواشي على التوضيح	ماه رامه في تتريك شاه نامه	
07		كشف القناع المرنى	غرر الأفكار	سيرة المؤيد شيخ المحمودي	الحواشي على الشافية		
08		تكميل الأطراف	الوسيط شرح المحيط	سيرة الأنبياء	الحاوي شرح قصيدة الساوي		

09		مغاني الأخيار	تتريك القدوري	شرح سيرة مغلطي	شرح لأمية ابن الحاجب		
10			كتاب المناسك	السيف المهند	مقدمة في العروض		
11			منتخب من مسائل روضة العلماء	الروض الزاهر	مقدمة في التصريف		
12			المقدمة السودانية	معجم الشيوخ	تذكرة نحوية		
13			شرح المنار	طبقات الحنفية	شرح العوامل الجرجانية		
14				طبقات الشعراء	الفوائد في شرح الباب		
15				مختصر وفيات الأعيان	ميزان النصوص		
16				الجوهرة السنية	الحواشي على المقامات		
17				تاريخ الأكاسرة	شرح تسهيل ابن مالك (مختصر)		
18				مجموع يشمل على حكايات	وسائل التعريف في مسائل التصريف		
19					شرح خطبة مختصر الشواهد		

وبعد هذا الجدول الذي يحصي ما صنفه العيني في مختلف العلوم والفنون يمكن أن نقرأ منه عددا من الملاحظات ونسجل بعض النتائج ومنها:

1. الثقافة الموسوعية التي كان يتمتع بها العيني .

2. تعدد العلوم التي كتب فيها العيني وتنوعها .

3. تفاوت عدد المصنفات من علم لآخر بين الإكثار والتوسط والإقلال وذلك من خلال ما يلي:

أ. غزارة التأليف في التاريخ (18 كتابا) وعلوم اللغة (19 كتابا) وعليه تكون اللغة قد أخذت حصة الأسد، تليها حصة التاريخ والتراجم.

ب. مؤلفاته في الحديث وعلومه، وفي الفقه وأصوله كانت نسبته متوسطة إذا ما قورنت بالتاريخ واللغة حيث كان العدد في الحديث وعلومه 9 كتب،وفي الفقه وأصوله 13 كتابا.

ج. الإقلال من التأليف في التفسير وعلوم القرآن (3كتب)، وفي الوعظ والرقائق (6 كتب) وأما التقاريظ ففيها أربعا.

4. مجموع ما ألفه الإمام العيني قدر بـ 72 مؤلفا، المطبوع منها 17 كتابا، والمخطوط 12 كتابا، والمفقود 39 كتابا، والتقاريظ أربعا.

5. لا يشكل المطبوع من الكتب سوى الثلث من مجموع المفقود، وعدد المفقود يتجاوز بكثير عدد المطبوع والمخطوط.

6. ضرورة النهوض بالتراث الذي خلفه الأوائل وذلك بالإلتفات الجماعي إلى المخطوطات وحسن العناية بها.

***نتائج الفصل:**

وفي ختام هذا الفصل أخلص إلى جملة من النتائج :

1. كثرة الرحلات و الأسفار العلمية التي كان لها الأثر الكبير على علم العيني و مكانته .

2. كثرة الشيوخ و تنوع المشارب التي نهل منها العيني و التي ساهمت في إمامته و نبوغه و عطائه .

3. غزارة الإنتاج و التأليف في علوم مختلفة جعلت العيني يتصدر علاماء عصره و يؤثر بتأليفه في عصره و العصور التي بعده .

4. المؤهلات والمواهب المتنوعة التي كان يتمتع بها العيني جعلته يباشر وضائف دينية وإدارية متعددة.

5. إستطاعة العيني أن يكون و يقيم علاقات حميمية مع الحكام والأمراء الذين عصرهم فمكنه ذلك من توسيع نشاطه الديني .

6. تأليف العيني في تأليف تراجم بعض السلاطين الذين عصراهم يعتبر شيئا نادرا في عصره و العصر الذي سبقه .

7. معانات العيني معاناة شديدة بسبب الوضائف التي تقلدها و التي صنعت له خصومات من بعض الحسدة حتى من بعض العلماء .

8. مساهمة العيني في نشر المذهب الحنفي و الدفاع عنه مع انفتاحه على المذاهب الفقهية الأخرى والتأليف فيها .

الفصل الأول : كتاب "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" مكانته ومنهجه

تمهيد

I. عمدة القارئ ومكانته العلمية.

II. منهج العيني في شرحه على صحيح البخاري.

تمهيد:

I. عمدة القارئ ومكانته العلمية:

يعد هذا الكتاب من أجل كتب الإمام العيني وأشهرها على الإطلاق، بل هو من أجل شروح صحيح البخاري وأوسعها وأشملها وأجمعها، حيث يعد بحق موسوعية حديثية بكل ما تحمله الكلمة من معنى وذلك بشهادة علماء عصره وما بعده، وهو " في إحدى وعشرين مجلدا على تجزئة المصنف وهو أوسع شروحه نقلا وتحقيقا، وأجمعها للفوائد بحثا وتمحيصا... والحاصل أنه شرح الأحاديث من جميع مناحيها ووفى حق إيضاحها من كل نواحيها، فمن أراد أن يتعلق بالمنقول ظفر في شرحه بآماله، ومن أراد أن يمس بالمعقول فاز بكماله، و قد جعل كل ذلك تحت عناوين خاصة ليسهل الكشف عنه ولم يحشد إلى كتابه ما هو أجدر بكتب المصطلح مما ليس له كبير مساس بشرح الحديث، ولا يطيل بتخريج طرق الحديث عن كتب المستخرجات والأطراف المختصة بذلك إلا ما يحتاج إليه في شرح الكتاب، أو ما يفيد ترجيح لفظ على لفظ في الروايات، ولا يفوته موضع الفائدة من ذلك، قلما يحيل بالمطالع إلى مواضع قد يتيه في تطلبها حرصا على وقته الثمين، بخلاف صاحبه الشهاب ابن حجر فإنه كثير الإحالة،وقد لا توجد الفائدة حيث أحال."[1].

إن ما امتاز به عمدة القارئ الإحاطة والشمول بكل المسائل والفوائد التي يمكن أن يحتوي عليها الحديث الواحد في الباب، وقد خط العيني في ذلك أسلوبا متميزا يلفت النظر، ويغري بالبحث لاكتشاف القدرة والتمكن أثناء الشرح والتحليل، وقد برع العيني في وضع عناوين أثناء شرحه للحديث تستوعب الشكل والمضمون وهذا ما سنفصله حينما نأتي إلى الحديث عن المنهج الذي رسمه العيني في شرح البخاري.

1. سبب تأليفه:

قدم العيني لكتابه بمقدمة عن أهمية السنة، ومكانة صحيح البخاري ذاكرا أهمية دراسة السنة الدراسة العلمية الوافية على اعتبار أنها "إحدى الحجج القاطعة، وأوضح المحجة الساطعة وبها ثبوت أكثر الأحكام وعليها مدار العلماء الأعلام، وكيف لا وهي القول والفعل من سيد الأنام في بيان الحلال والحرام، الذين عليهما مبنى الإسلام، فصرف الأعمار في استخراج كنوزها من أهم الأمور وتوجيه الأفكار في اكتشاف

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 17- 18.

رموزها من تعمير العمور، لها منقبة تجلت عن الحس والبهاء، ومرتبة حلت بالبهجة والسناء، وهي أنواع الهداية ومطالعها، ووسائل الدراية وذرائعها، وهي من مختارات العلوم عينها ومن منتقدات نقود المعارف فضها وعينها، ولولاها لما بان الخطأ عن الصواب ولما تميز الشراب من السراب."[1]. وبعد بيان عظيم الفضل في جمع السنة وفهمها ونقلها وشرحها وبيان مكانتها وهي دعوة إلى العناية بها بكل أشكال العناية رواية ودراية ينتقل العيني إلى بيان الأسباب التي دفعته إلى تأليف شرح بهذا الحجم رغم العوائق والعقابيل وما من عليه الله به من عظيم كرمه وواسع فضله لتجاوز محنه واحنه يقول: "ثم لما انجلى عني ظلامها وتجلى علي قتامها، في هذه الدولة المؤيدية والأيام الزاهرة السنية، ندبتني إلى شرح هذا الكتاب أمور حصلت في هذا الباب، **الأول**: أن يعلم أن في الزوايا خبايا، وأن العلم من منايح الله. **والثاني**: إظهار ما منحني الله من فضله العزيز، وإقداره إياي على أخذ شيء من علمه الكثير والشكر مما يزيد النعمة، ومن الشكر إظهار العلم للأمة . **الثالث**: كثرة دعاء بعض الأصحاب بالتصدي لشرح هذا الكتاب، على أني قد أملتهم بسوف ولعل ولم يجد ذلك بما قل وجل، وخادعتهم عما وجهوا إلي بأخداع الإلتماس وواعدتهم من يوم إلى يوم وضرب أخماس لأسداس.[2] هذه بعض الدوافع التي جعلت العيني يتصدى لشرح صحيح البخاري وهو يعلم يقينا أن ذلك مغامرة لا مناص منها، وعمل ليس باليسير سوف ينبرى لها، وأمانة عظيمة سوف يتحملها لكنه يمتلك جميع المؤهلات، ويتحلى بكل الصفات، وعنده مفاتيح ذلك، وامتدح أصحاب السنن الحفاظ، والنقاد الأفذاذ الذين تحملوا على أكتافهم جمع السنة والذود عن حياضها من زيغ المبتدعين، وضلال الجاهلين، وانتحال المبطلين فراح بذكر بعضا من مناقب الإمام البخاري وبذكر بعض من مزايا جامعه الصحيح "الذي شهدت بحفظه العلماء الثقات، واعترفت بضبطه المشايخ الأثبات، ولم ينكر فضله علماء هذا الشأن، ولا ينازع في صحة تنقيده اثنان ،الإمام الهمام، حجة الإسلام أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري أسكنه الله بحابيح جنانه بعفوه الجاري، وقد دون في السنة كتابا فاق على أمثاله، وتميز على أشكاله ووشحه بجواهر الألفاظ من درر المعاني، ورشحه بالتبويبات الغريبة المباني، بحيث قد أطبق على قبوله بلا خلاف... فحكموا بوجوب معرفته وأفرطوا في مدحته، ثم تصدى لشرحه جماعة من الفضلاء، وطائفة مكن الأذكياء من السلف النحارير المحققين، وممن عاصرهم من المهرة والمدققين."[3].

---

[1] - المصدر السابق ، ج 1 / 20.

[2] : نفسه ، ج 1 / 21.

[3] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 20.

ثم يتعمد العيني أن يذكر فضل الشراح من قبله لينضم إلى زمرتهم ويحدو حدوهم، وينسج على منوالهم في إخراج صحيح البخاري إلى العالمين لكنه يصنفهم إلى صنف أخذ جانب التطويل، وآخر لازم الاختصار وصنف ثالث كان من المتوسطين، ولكن العيني يقدم نفسه ليكون شرحه شرحا مميزا يستثمر فيه ما خصه الله به وبما فتح عليه من أصناف العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية وغيرها، وكان هذا الذي طبع شرح العيني لصحيح البخاري، " أي الشرح الذي يشفي العليل، ويبل الأكباد ويروي الغليل حتى يرغب فيه الطلاب، ويسرع إلى خطبته الخطاب، سيما هذا الكتاب الذي هو بحر يتلاطم أمواجا، رأيت الناس يدخلون فيه أفواجا، فمن خاض فيه ظفر بكنز لا ينفذ أبدا .. وقد كان في خلدي أن أخوض في هذا البحر العظيم، لأفوز من جواهره ولآلئه بشيء جسيم،ولكنني كنت أتهيب من عظمته أن أحول حوله، ولا أرى لنفسي قابلية لمقابلتها هوله، ثم إني لما رحلت إلى البلاد الشمالية الندية، قبل الثمانمائة من الهجرة الأحمدية مستصحبا في أسفاري هذا الكتاب لنشر فضله عند ذوي الألباب، ظفرت هناك من بعض مشايخنا بغرائب النوادر، وفوائد كاللآلىء الزواهر، مما يتعلق باستخراج ما فيه من الكنوز واستكشاف ما فيه من الرموز، ثم لما عدت إلى الديار المصرية ... شمرت ذيل الحزم، عن ساق الجزم وأنخت مطيتي، وحللت حقيبتي، ونزلت في فناء ربع هذا الكتاب لأظهر ما فيه من الأمور الصعاب وأبين ما فيه من المعضلات، وأوضح ما فيه من المشكلات، وأورد فيه من سائر الفنون بالبيان، ما صعب منه على الأقران، بحيث إن الناظر فيه بالإنصاف المتجنب عن جانب الاعتساف، إن أراد ما يتعلق بالمنقول ظفر بآماله، وإن أراد ما يتعلق بالمعقول فاز بكماله، وما طلب من الكمالات يلقاه، وما ظفر من النوادر والنكات يرضاه ...ثم إني قدحت أفكاري بزناد الذكاء حتى أوردت أنوارا انكشفت بها منشورات هذا الكتاب، وتصديت لتجليته على منصة التحقيق حتى كشفت عن وجهه النقاب، واجتهدت بالسهر الطويل في الليالي الطويلة، حتى ميزت من الكلام ما هي الصحيحة من العليلة، وخضت في بحار التدقيق سائلا من الله الإجابة والتوفيق حتى ظفرت بدرر استخرجتها من الأصداف، وبجواهر أخرجتها من الغلاف، حتى أضاء بها ما أبهم من معاينة على أكثر الطلاب، وتحلى بها ما كان عاطلا من شروح هذا الكتاب فجاء بحمد الله وتوفيقه فوق ما في الخواطر، فائقا على سائر الشروح بكثرة الفوائد والنوادر مترجما بكتاب: "عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري"."[1].

يشرح العيني بهذا الكلام عظم ما تحمل من أمانة في شرح الصحيح، وثقل ما تجشم من مشاق وكبير العناء الذي تكبده، ثم يطيل النفس في بيان مزايا شرحه على الشروح التي سبقته، والفوائد التي حواها

[1] : العيني ، عمدة القارئ، ج 1 / 21 – 22.

والفرائد التي جلاها، والنوادر التي كشفت عن خباياها، يعترف بتقصيره، ولا يدعي لنفسه العصمة من الزلل، ولا يزعم أن عمله في هذا الكتاب قد اكتمل، راجيا من القارئ إن بدا له خلل سده بإنصاف وإن رأى ما يسره ذكره باعتراف.

2. إسناد العيني في كتابه عمدة القارئ :

لم يكن العيني بدعا في ذكره للإسناد الذي يرفعه إلى الإمام البخاري كغيره من العلماء الذين تولوا شرح الصحيح من قبله الذين ينتمون إلى سلسلة الرواة وهو ما يدعو إلى الاعتزاز وشرف الانتساب وكن حظ العيني من هذا الإسناد إلى الإمام البخاري من طريقتين عن محدثين من عمالقة هذا الفن "الأول: الشيخ الإمام العلامة مفتي الأنام، شيخ الإسلام حافظ مصر والشام، زين الدين عبد الرحيم بن أبي المحاسن حسين بن عبد الرحمان العراقي الشافعي، أسكنه الله تعالى بحابيح جنانه وكساه جلابيب عفوه وغفرانه توفي ليلة الأربعاء الثامنة من شعبان من سنة ست وثمانمائة بالقاهرة، فسمعته عليه من أوله إلى آخره في مجالس متعددة، آخرها شهر رمضان المعظم قدره من سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بجامع القلعة بظاهر القاهرة المعزية، حماها الله عن الآفات، بقراءة شهاب الدين أحمد بن محمد بن منصور الأشموني الحنفي بحق سماعه لجميع الكتاب من الشيخين، أبي علي عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف الأنصاري وقاضي القضاة علاء الدين علي بن عثمان بن مصطفى بن التركاني مجتمعين الثاني: الشيخ الإمام العالم المحدث الكبير تقي الدين محمد بن معين الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمان بن حيدرة بن عمرو بن محمد الدجوي المصري الشافعي رحمه الله رحمة واسعة، فسمعته عليه من أوله إلى آخره في مجالس متعددة آخره شهر رمضان المعظم قدره من سنة خمس وثمانمائة بالقاهرة بقراءة الشيخ الإمام القاضي شهاب أحمد بن محمد الشهير بابن التقي المالكي."[1]. وقد ذكر العيني الإسنادين بجميع الرواة في مقدمة شرحه مما يغني عن الإطالة والتفصيل.

والجدير بالذكر أن العيني قد أتسم بالتواضع والخلق الرفيع شأنه في ذلك شأن العلماء المحققين الذين لا ينكرون فضل غيرهم، ولا يبخسون الناس أشياءهم حين أشار إلى الذين ألحوا عليه أن يؤلف لهم شرحا لصحيح البخاري ينتفع به الناس لما لمسوه من اقتدار وتمكن فرأى نفسه دون ما وصفوه به فقال: ".. على أنهم قد ظنوا في قوة لإبلاغهم المرام، وقدرة على تحصيل الفهم والإفهام، ولعمري ظنهم في معرض التعديل، لأن المؤمن لا يظن في أخيه إلا بالجميل، مع أني بالتقصير لمعترف ومن بحر الخطايا بالمغترف، ولكني أتشبه

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 22 – 23.

بهم متمنيا أن تكون لي حلية في ميادينهم، وشجرة مثمرة في بساتينهم على أني لا أرى لنفسي منزلة تعد من منازلهم، ولا لذاتي منهل مورود يكون بين مناهلهم، ولكني أرجوا والرجاء من عادة الحازمين الضابطين، والبأس من عادة الغافلين القانطين."[1].وقد أخذ تأليف العيني لكتاب العمدة وقتا طويلا من حياته، واستغرق زمنا لم يستغرقه كتاب أخر من مصنفاته المطولات، ولعل هذه المدة الطويلة كانت وراء هذا الإخراج الباهر للكتاب في حلته التي أدهشت العلماء. وجيرت عقول طلاب العلم في شتى أنحاء المعمورة، حيث تمكن العيني في هذه المدة من التدقيق والتمحيص والاستقراء والاستقصاء، وكانت البداية "في شرحه سنة إحدى وعشرين وثمانمائة (821 ه) وأتمه سنة سبع وأربعين وثمانمائة (847 ه) بعد فراغ ابن حجر من شرحه بخمس سنوات،واندهش ابن حجر وأصحابه من ظهور شرح البدر بهذا المظهر الباهر فابتدأ أصحابه يذيعون أعذارا لشيخهم مولدة، ويبخسون البدر حقه عدوانا .. ومما يزيد شرح العيني مزية على مزاياه أنه كان يطلع على شرح الشهاب ابن حجر جزءا فجزءا بواسطة البرهان ابن خضر أحد أصحاب الشهاب وينتقده في مواطن انتقاده على توافق بين الشرحين في النقول في بعض المواضع لتوافق مراجعهما، وقد يضن بعضهم أن الثاني أخذ ذلك من الأول وليس كذلك، ويظهر عند الكشف عن مواطن اتفاقهما في مراجعهما ما ذكرناه، وليس احدهما بأحق من الآخر في النقل عن كتب من تقدمهما."[2]. ولعل من الطبيعي أن تنتصر طائفة من الناس لشرح ابن حجر لصحيح البخاري، وأن ينحاز فريق منهم إلى شرح العيني، وكما وقع الخلاف بين صحيح البخاري وصحيح مسلم أيهما أفضل من الناحية العلمية والمنهجية والشكلية والمحتوى والمضمون، ظل الخلاف قائما إلى يوم الناس هذا، وكل أبدا وجهة نظره وقد المبررات التي استند إليها،وبقيت مكانة الكتابين في مكتبتنا الإسلامية وتراثنا الإسلامي محفوظة مصونة،كذلك بالنسبة لشرح لابن حجر العسقلاني، وشرح البدر العيني لصحيح البخاري كل منهما قد وفى بدين الشرح بحسب اجتهاده فلكل مجتهد نصيب ولكل أمريء ما نوى، ولكن لا مانع من المقارنة العلمية بينهما فكلاهما شرح حافل وذلك أن "شرح البخاري دين على الأمة لم يقم بوفائه أحد من العلماء حسبما يجب في نظر بعض المشايخ ولكنهم لو عاشوا إلى زمن ظهور الشرحين لربما حكم لهما بقضاء هذا الدين ويميل السخاوي إلى أن القائم بذلك هو شيخه ابن حجر، وصاحب كشف الظنون حكم لهما بوفاء الدين على حد سواء، لكن الظاهر أن للعيني الحظ الأوفر في ذلك عند من أنصف ولم يتجبر فمن خاض في بحار شرحه الفياض يرى نفسه أنه في ملتقى سبل العلوم، قام فطاحل العلماء من كل فن على مسالكها بتيار من الأنوار يضيؤون طرائق الفهم

[1] : نفسه، ج1 / 22.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 18.

من جميع المناحي: لغة، وإعرابا، وبلاغة، واستنباطا، وكشفا عن تراجم الرجال، وضبط كناهم، وألقابهم، وأنسابهم، وبيان لفوائد حديثية، ولطائف إسنادية، ومسائل أصلية وفرعية، ودقائق عقلية ونقلية، وتخريجا لأدلة الأحكام الخلافية مع المحاكمة بينهما، وبسطا لمذاهب العلماء في الصدر الأول، ويجد فرق بينهما فرق ما بين البدر والشهاب، ويحكم للعيني بأنه هو القائم بقضاء هذا الدين بلا ارتياب، وللناس فيما يعشقون مذاهب شكر الله سعيهما ونفع الأمة بهما."[1].وهذا كلام انحاز فيه صاحبه إلى شرح العيني وانتصر له، كما وقف السخاوي يؤيد شرح ابن حجر والسخاوي تلميذ ابن حجر وأرى أن من الطبيعي أن ينتصر التلميذ لشيخه كما أنتصر التلاميذ لشيوخهم على مر العصور وفي جميع الفنون ولا ضير أنما الذي لا نوافق عليه هو الانتقاص من جهود الآخرين، والتقليل من شأنهم، والله عز وجل ينهانا (**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**) هود 85 . ويأمرنا في قوله (**وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان**) الرحمن 9 .

إن المفاضلة بين الأئمة والعلماء لا تجوز في ديننا كأن نقول مالك أفضل من أبي حنيفة أو الشافعي أفضل من أحمد بن حنبل وهكذا لأنه لا طائل من ورائها، أما المقارنة بين مؤلفات العلماء ومصنفات الأئمة في الفن الواحد ومناهجهم فأمر جائز شريطة أن ينضبط بالقواعد العلمية، وتحكمه الضوابط الموضوعية، والمعايير الشرعية والفضائل الأخلاقية وذلك لأن الأمر لا يتعلق بحق أو باطل، إنما يتعلق براجح ومرجوح وللترجيح اعتباراته وأدواتها عند أهل العلم، ويحسن بي في هذا المقام أن أعرج ولو بشكل موجز على موضوع المقارنة بين شرح ابن حجر العسقلاني وشرح بدر العيني العيني للصحيح الجامع لاستثمار ما قيل حولهما في اكتشاف الخصائص والمزايا التي تميز بها كتاب: "عمدة القارئ" على وجه الخصوص.

3. بين عمدة القارئ وفتح البارئ:

إن موضوع المقارنة بين هذين الشرحين الكبيرين، و السفرين العظيمين أمر يحتاج غلى صفحات وصفحات، وسوف لا يعنيني في بحثي هذا الدخول في التفاصيل الدقيقة،والتوسع في جوانب هذه المقارنة إلا بالقدر الذي يمكنني من تحديد أهم الخصائص التي انفرد بها الشرحان، ورصد ابرز ما انفرد به شرح العيني عن سائر الشروح الأخرى، وجذور الخلاف بين الرجلين قديمة وقد أشرت إليها حينما تعرضت لعلاقة العيني بأقرانه من العلماء وكان ابن حجر في مقدمتهم حتى أن كلا منهما قد تعقب الآخر إلى حد التجريح والدوافع كثيرة لعل أهمها:اختلاف المذهب فالعيني حنفي وابن حجر شافعي، والخلاف بين الأحناف

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 18.

والشافعية قديم مشهود، ثم اشتراك كل منهما في كثير من الشيوخ وكثيرة هي المنافسة بين الطلبة التي تستمر إلى الكبر، وكذلك اشتراكهما في تقلد منصب القضاء ورغبة كل في الحصول على أكثر نصيب من الحضوة عند السلطان، ومما زاد الطين بلة اشتراكهما في شرح صحيح البخاري حيث بلغ الخلاف ذروته، ورغم ما قيل أو نقل من خلاف بين الرجلين إلا أنه استفاد كل منهما من الآخر واعترف أحدهما بفضل صاحبه، وهذا ما ألمحت إليه في صفحات خلت .

وليس غريبا أن تثار قضية كهذه بين الكتابين (**الفتح و العمدة**) فنقل المؤلفين بعضهم عن بعض شائع مشهور قبل العيني و بن حجر فهناك علماء اتهموا بنقل عن غيرهم، بل نسبة كتب غيرهم إليهم ولا غدو أن الوقوف عند هذه المسألة يكتسي أهمية قصوى، فكلاهما عالم متفنن فموضوع كتابهما واحد، و هو قبلة عقول العلماء و قلوبهم ، ومحط الأنظار الخاصة والعامة، ومن الواجب التزام جانب الإنصاف، والبعد عن الإجحاف عند الحكم بينهما، و الحق الذي لا خلاف حوله أن كلا من الرجلين بذل ثمرة فؤاده، و خلاصة علمه، و أغلى وقته لإخراج كتابه للناس و لا مجال لإطلاق لأحكام العامة التي يختلط فيها الحق بالباطل. ومن العدل أن نتعرض لمزايا كل من الشرحين، وموقف أحدهما من شرح الأخر .

أ. مزايا عمدة القارئ و فضائله :

اتبع العيني في شرحه أسلوبا تعليميا و توضيحيا مما مكنه من البسط والإسهاب، والتوسع والإطناب في كثير من المواضع، حيث أحاط بما يمكن أن يستوعب معظم جوانب الحديث الذي يتناوله بالشرح والتحليل فأوقف القارئ الباحث أمام مادة غاية في الغزارة والمنهجية، قلما نجد هذا الأسلوب عند المتقدمين، ويمكن تلخيص أهم المزايا في النقاط التالية:

1. الأسلوب المنظم في عرض المادة من خلال العناوين التي وضعها أثناء شرح الحديث والتزم في أجزاء متعددة من شرحه، والتي تيسر للقارئ الرجوع إلى أي مجال شاء سواء كان الجانب النحوي أو الصرفي أو البلاغي أو غير ذلك، وقلما نجد هذا الأسلوب عند المتقدمين، أما ابن حجر فقد كان يجمع أحاديث الباب في موضع واحد، ثم يتناول كل حديث بالشرح من غير عناوين محددة ولكنه يشرح كل مفردة أو عبارة ويذكر ما يتعلق بها من أحكام وفوائد.

2. عناية العيني برجال الحديث عناية تدل على باع الرجل في علم الرجال، وميدان الجرح والتعديل وقد جمع في ذلك مادة غزيرة عزيزة يصلح أن تفرد في بحث مستقل، بينما نجد ابن حجر لا يتوسع في ذلك إلا أن يبين المشكل في هذا الباب دون التعرض للتفاصيل.

3. العناية بتخريج الأحاديث وعرضها بطريق يسهل مناولته، واستيعاب طرق الحديث المتعددة وهذا له أهميته عند علماء هذا الشأن، لاسيما إذا علمنا أن البخاري قد تميز في تقطيع الأحاديث وتكريرها وقد فصلناه من قبل، وأسلوب العيني هذا يعين على المقارنة بين الأسانيد والموازنة بين الطرق واختلاف ألفاظ الحديث من طريق لآخر،والملاحظ أن ابن حجر قد اجتهد في ذلك أيضا ولكن العيني كان أكثر استيفاء وأوسع تحقيقا.

4. اهتمام العيني باستيعاب مواضع الحديث في سائر كتب الرواية والتفصيل في ذلك أكثر من ابن حجر.

5. غزارة التفسير اللغوي لألفاظ الحديث، والتوسع في التحليل المعجمي للكلمات وحشد أقوال أهل اللغة، والرجوع إلى أمهات المصادر مما جعل شرحه موسوعة لغوية لألفاظ صحيح البخاري ما يصلح أن يكون بحثا أو رسالة مستقلة، وهذا ما لا نجده في غيره من الشروح.

6. الاهتمام بالإشتقاقات اللغوية والتطورات الدلالية التي أغنت الشرح، وفتحت آفاق واسعة للمعاني التي يمكن أن تحتملها الألفاظ، حتى جاء الكتاب عامرا بالقضايا الصرفية والتي بدورها أيضا يمكن أن تكون بحثا حول الدرس الصرفي أو التحليل الصرفي في "عمدة القارئ" وهذا لا يوجد في كتاب ابن حجر.

7. عناية العيني بالتحليل النحوي كعنايته بالتحليل اللغوي والصرفي، فقد أغنى شرحه بالكثير من التوجيهات النحوية، والوجوه الإعرابية التي خدمت المعنى، وقدمت نموذجا فريدا في إعراب الحديث الشريف.

8. إهتمام العيني باللمسات البيانية، واللفتات البلاغية عند شرحه للحديث ما يعتبر لبنة مهمة في دراسة الجوانب البلاغية في البيان النبوي، والعيني وإن كان قليل النفس في الأجزاء الأخيرة من شرحه، ولكنه أسس تصورا، وخط الطريق لاكتشاف روعة البلاغة النبوية وهذا الذي انفرد به العيني يكاد يكون نادرا في شروح البخاري الأخرى.

9. التوسع الدقيق في استنباط الأحكام الفقهية، والفوائد الشرعية لاسيما أحاديث الأحكام بدءا من أبواب العبادات والمعاملات وأحكام الأسرة وغيرها مما جعل الكتاب مرجعا فقهيا يعرض أقوال المذاهب الفقهية قدر الإمكان رغم أن العيني من أتباع المذهب الحنفي وأنصاره.

10. تنوع المصادر التي رجع إليها العيني ونهل منها بوأت الشرح مكانة خاصة، وجعلته بحق موسوعة غنية بأقوال أهل العلم وآراء الأئمة في مختلف الفنون، وشتى الحقول لاسيما تلك المصادر النادرة أو المفقودة.

11. عرض العيني مادته في كثير من الأحيان مرفودة بمناقشات علمية غزيرة، ومناظرات عقلية غنية حينما يعرض للقضايا المختلف حولها فيناقش الآراء ويرد ما لا يقتنع به ويستدل على رأيه ويرجح ما يعتقد أنه الصواب في نظره، وهذا ما زاد في ثراء الشرح وأهميته، وهو ما لا نجده عند ابن حجر.

12. توسع العيني في تخريج الحديث أكثر من ابن حجر بحيث إذا أراد القارئ معرفة من أخرج الحديث فيعود إلى عنوان: "من أخرجه غير البخاري" في عمدة القارئ، أما في الفتح فإن على القارئ أن يقرأ جميع الشرح حتى يظفر بذلك، ومثاله حديث: ﴿ **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات...**﴾ الحديث قال العيني " ذكر من أخرجه غيره:أخرجه مسلم في الصلاة عن قتيبة عن ليث وبكر بت مضر عن ابن الهاد، وأخرجه الترميذي في الأمثال عن قتيبة، وأخرجه النسائي في الصلاة عن قتيبة عن الليث وحده به."[1]. أما ابن حجر فأخرجه من مسلم فقط[2] ،وحديث ﴿ **لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول لأتوها ولو حبوا**﴾ أخرجه العيني[3] من مسلم في الصلاة والترمذي فيه والنسائي فيه. وأخرجه ابن حجر[4] من مسلم ولم يذكر روايتي الترمذي والنسائي والأمثلة من هذا النوع كثيرة.

13. يذكر العيني عند شرحه للحديث المواضع التي ذكر فيها من صحيح البخاري وعمن أخرجه بينما يكتفي ابن حجر بالإحالة إلى موضوع آخر في الصحيح، ومثال ذلك حديث ﴿ **الصلاة كفارة** ﴾ قال العيني: " أخرجه البخاري أيضا في الزكاة عن قتيبة عن جرير، وفي علامات النبوة عن عمر بن حفص قاله المزي في الأطراف وهو وهم، وإنما أخرجه عن عمر بن حفص في الفتن، وفي الصوم عن علي بن عبد

[1] :العيني، عمدة القارئ، ج 5 / 15.

[2] :ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 2 / 11.

[3] :العيني، عمدة القارئ، ج 5 / 124.

[4] : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 2 / 96.

الله."[1]. بينما نرى ابن حجر لم يذكر أطراف الحديث في البخاري وإنما قال: " وسيأتي الكلام على فوائد هذا الحديث في علامات النبوة إن شاء الله."[2].

تلك هي أهم الخصائص التي يمكن استخلاصها من خلال استقراء هذا الشرح الكبير، والحديث عن هذه المميزات والخصائص لا ينقص من شرح ابن حجر شيئا، ولا يقدح في مكانته البتة فكما أن شرح العيني قد انفرد بمثل هذه الميزات، فإن "فتح الباري" قد تفرد هو الآخر بالعديد من المزايا.

ب. مزايا فتح الباري لابن حجر :

يعد هذا الشرح من أجل شروح البخاري وأهمها وأوسعها، شهد بذلك المتقدمون والمتأخرون وقد أثنى عليه كثيرون، واعترف العلماء بمكانة ابن حجر في شرحه للبخاري، وقد رصد بعض الباحثين جملة من الخصائص أجملها فيما يلي:

1. إمتاز "فتح الباري" بالمقدمة التي خطها ابن حجر مطولة سماها:"هدي الساري إلى صحيح البخاري" ومما جاء فيها: " فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام، الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدراها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم إما آلات لفهمها وهي لضالة المطلوبة، أو أجنبية عنهما وهي الضارة المغلوبة. وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من أنوارها البهية تقريرا واستنباطا، وكرع من مناهلها الروية ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق وتلقى كلامه في التصحيح بالسليم المطاوع والمفارق. وقد استخرت الله في أن أضم نبذا شارحة لفوائده،موضحة لمقاصده، كاشفة عن مغزاه في تقييد أوابده، واقتناص شوارده، وأقدم بين يدي ذلك كله مقدمة في تبيين قواعده، وتزيين فرائده، جامعة وجيزة دون الإسهاب وفوق القصور، سهلة المأخذ تفتح المستغلق، وتذلل الصعاب، وتشرح الصدور وينحصر القول فيها إن شاء الله في عشرة فصول."[3] وقد رأيت أن جل الشراح الذين أتوا من بعد ابن حجر قد أخذوا من هذه المقدمة بين مكثر ومقل واقتبسوا منها اقتباسا متفاوتا.

---

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 5/ 140.

[2] : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 109/2.

[3] :ابن حجر العسقلاني، هدي الساري، ص 03.

أما العيني فلم يقدم لشرحه بمقدمة إنما اكتفى بخطبة ذكر فيها دوافعه في تأليف الكتاب وإسناده إلى الإمام البخاري، ثم ساق جملة من الفوائد تتعلق بصحيح البخاري وقد عدها عشرا، ثم جاءت مقدمته في ورقة واحدة موجزة تحدث فيها أن كل علم له موضوع ومبادئ ومسائل وخص بذلك علم الحديث.

2. النسق المنظم الذي سار عليه ابن حجر من أول الشرح إلى آخره بخلاف العيني الذي اختل الترتيب الذي التزم به في أول الأجزاء عنه في أواخرها حيث غير العناوين حينا واختفى بعضها حينا آخر.

3. جاء شرح ابن حجر سلس العرض، سهل المأخذ، قريب العبارة، قد اعتنى بضبط اللفظ وأحاط باختلاف الروايات، وإيراد الأسانيد مع الدقة في التعبير، والإيجاز في القول دون إسهاب ممل أو اختصار مخل، خلافا للعيني الذي توسع في الشرح والتحليل فإذا قارناهما من حيث الحجم وجدنا أن شرح العيني يقع في 16جزءا طبعة دار الفكر 2005 م. ويقع الفتح في 13 جزءا طبعة دار المعرفة بيروت، ومن حيث المضمون والموضوع يشبع العيني أحاديث كثيرة بالشرح أكثر من ابن حجر، بالرغم من أن هناك أحاديث اعتنى بها ابن حجر أكثر من العيني.

4. عناية الحافظ ابن حجر بمسائل الشرح، ورد أوهام الشراح، وبيان خفايا الرجال وهو من مهمات الشرح، وقد فاقه في بعض الأحيان حسن الاستنباط ودقة التحقيق، والأمثلة على ذلك كثيرة خاصة في الأجزاء الأخيرة من الكتاب من ذلك: باب:إذا أنزل الله بقوم عذابا. حديث عبد الله ابن عثمان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري، أخبرني بن حمزة بن عبد الله بن عمر أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **إذا أنزل الله يقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم** ﴾[1]. بينما لا يتجاوز العيني[2] في شرحه لهذا الحديث بضعة أسطر، في حين توسع فيه ابن حجر.

5. جاء كتاب الفتح غنيا بأقوال العلماء والأئمة، وامتياز ابن حجر بالأمانة في النقل والاقتباس ونسبة الأقوال إلى أصحابها، فضلا على قدرته الفائقة على الجمع أو الترجيح عند التعارض من غير تعصب أو قدح، بينما يورد العيني أحيانا أقوالا ولا ينسبها إلى أصحابها.

[1] : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 13 / 60 – 61.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 16 / 367.

6. يختم ابن حجر كل كتاب ببيان ما اشتمل عليه من الأحاديث المرفوعة والمعلقة، مع بيان المكرر منها وما وافق البخاري مسلما على تخريجها، وتلك خاصية تدل على قدرة ابن حجر في استحضار ذلك كله وهذا ما لا نجده في شرح العيني.

7. فصل العيني بين الأحاديث في الباب الواحد أثناء شرحها بينما يوردها ابن حجر دون فصل ثم يشرع في شرحها، وهذه خاصية صاحبت الشرحين من أولهما إلى آخرهما.

8. إن في اختيار العناوين للكتابين فيه تناغم من حيث الوزن والشكل، فعدد الكلمات خمس: فتح/الباري/شرح/صحيح /البخاري/ – عمدة/القارئ/شرح/صحيح /البخاري/. وقد سايرا في ذلك عناوين السابقين من الشارحين للصحيح.

9. الحفاظ على نفس الروي في المقطعين وهو الراء، إلا أن الخلاف يكمن في أن ابن حجر تعلق عنوانه بالخالق الباري، والعيني خاطب فيه المتلقي القارئ.

ج. شبهة نقل العيني شرحه من فتح الباري :

اتهم العيني بأنه أخذ شرحه من كتاب فتح الباري، وردد كثيرون هذه الشبهة، ولعل القضية تعود إلى ما ذكره السخاوي في ترجمة العيني: " إنه شرح البخاري في أحد وعشرين مجلدا سماه "عمدة القارئ" انتقى فيه من شرح شيخنا – يقصد ابن حجر– بحيث ينقل منه الورقة بكاملها، وربما اعترض عليه لكن تعقبه شيخنا بمجلد حافل، بل عمل قديما حين تعرض في خطبته له جزءا سماه "الانتصار على الطاعن المعثار " بين فيه ما نسبه إليه مما زعم انتقاده في خصوص الخطبة، ووقف عليه الأكابر في سائر المذهب .. فبينوا فساد انتقاده وصوبوا صنيع شيخنا وأنزلوه منزلته، وطول البدر شرحه بما تعمد شيخنا حذفه من سياق الحديث بتمامه، وتراجم روايته، واستيفاء كلام اللغويين، ما كان القصد يحصل بدونه وغير ذلك وذكر لشيخنا عن بعض الفضلاء ترجيحه بما اشتمل عليه من البديع فقال: هذا شيء نقله من شرح لركن الدين (القرمي الحنفي) وكنت قد وقفت عليه قبله، لكن تركت النقل منه .. بخلاف البدر فإنه بعدها لم يتكلم بكلمة واحدة، وبالجملة فشرح البدر أيضا حافل لكنه لم ينتشر كانتشار شرح شيخنا ولا استدعت ملوك الأطراف

من صاحب مصر طلبه، ولا تنافس العلماء في تحصيله من حياة مؤلفه .. وذلك فضل الله يوتيه من يشاء."[1].

وأيد السخاوي الإمام السيوطي أن شرح العيني من فتح الباري في "رسالة سماها "البارق في قطع يمين السارق" ذكر فيها أسماء علماء ألفوا كتابا نسبوها لأنفسهم وهي منقولة ممن سبقهم."[2].ثم جاء القسطلاني شارح البخاري فذكر هذه الشبهة في مقدمة شرحه أن العيني "كان فيما قيل يستعيره من البرهان بن خضر بإذن مصنفه له، وتعقبه في مواضع وطوله بما تعمد الحافظ ابن حجر في الفتح حذفه من سياق الحديث بتمامه، وإفراد كل من تراجم الرواة بالكلام وبيان الأنساب واللغات والإعراب والمعاني والبيان، واستنباط الفوائد من الحديث والأسئلة والأجوبة وغير ذلك."[3].

وإذا جئنا نقدم أمثلة على هذا النقل وجدنا أكثر من مثال ولكن ذلك لا يطعن في شرح العيني أو ينتقص من مكانته، ولذلك هناك من جعل استفادة العيني من فتح الباري زيادة مزية في الشرح وأن " مما يزيد شرح العيني مزية على مزاياه أنه كان يطلع على شرح الشهاب ابن حجر جزءا فجزءا بواسطة البرهان بن خضر – أحد أصحاب الشهاب– وينتقده في مواطن انتقاده على توافق بين الشرحين في النقول في بعض المواضع لتوافق مراجعهما، وقد يظن بعضهم أن الثاني أخذ من الأول وليس كذلك بل ذلك كما قلنا،ويظهر عند الكشف عن مواطن اتفاقهما في مراجعهما كما ذكرنا، وليس أحدهما بأحق من الآخر في النقل عن كتب من تقدمهما."[4].

والحق إنه لا يمكن التسليم المطلق بكل ما قيل عن شبهة نقل العيني عن فتح الباري لابن حجر، ولا الاعتداد بجميع الأحكام التي صدرت في هذا الشأن وذلك في نظري لعدة اعتبارات:

الأول: الخصومة التي كانت بين العيني وابن حجر والتي تزايدت حدتها بعد ظهور شرح العيني على البخاري، وعندها قيل أن ابن حجر انبهر لهذا الشرح بعد اطلاعه عليه ولعله أحس بظهور منافس قوي.

[1] :السخاوي، الضوء اللامع، ج 10 / 133 – 134،الذيل على رفع الأصر ص 436.

[2] : صالح يوسف معتوق، بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث، ص 242.

[3] : القسطلاني، إرشاد الساري ج 1 / 42 – 43. ونقل عبارة القسطلاني حاجي خليفة في كشف الظنون ج 1 / 545.

[4] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 18.

الثاني: لا يمكن الاعتماد و لا التعويل على ما ذكره السخاوي في هذه الشبهة لأن ولاء السيخاوي لابن حجر أكثر من ولائه للعيني و التحيز ظاهر على اعتبار أن السخاوي تلميذ الأول لابن حجر ومن أكثر التلاميذ ملازمة له وأكثر الآخذين عنه، حتى أنه أفرد لابن حجر ترجمته خاصة في كتاب مستقل سماه "الجواهر الدرر في ترجمة ابن حجر" كل ذلك بمثابة القرائن التي ترجح التحيز و تدعوا إلى المبالغة في إصدار الأحكام.

الثالث: عدم اشتهار شبهة نقل العيني عن الفتح عند العلماء المحققين،و الأئمة المدققين، فلو كان العيني سارقا عن ابن حجر لما سكت عنه أهل الضمائر الحية من العلماء، و أولوا الألباب من أهل الإنصاف.

الرابع: النظر المتكرر في الأجزاء التي انتهى منها ابن حجر والذي اشتهر أمره عندما كان العيني يؤلف شرحه، و هو أمر طبيعي و لكنه عزز شبهة النقل

الخامس : نقل العيني عن ابن حجر في مواضيع متعددة من شرحه دون عزو مما أغضب ابن حجر، فو أن العيني نسب ما كان يستفيده من فتح البارئ، وأسناد به لما كانت هذه الحرب بين الرجلين.

السادس: ندرة الذين حاولوا الدفاع عن العيني والرد على هذه الشبهة، ولم أجد فيما اطلعت سوى الشيخ محمد زاهد الكوثري الذي تولى الرد على هذه الشبهة في مقدمة "عمدة القارئ" و قد أشرت إليها من قبل.و ذلك لأن للعيني أنصاره وأتباعه و طلابه الذين أحبوه و لازموه حبا منقطع النظير.

السابع:كثرة الذين طفقوا يبخسون العيني حقه عدوانا وحسدا نظرا لما حباه الله به من عقل ذكي وبصره نافذة، وعتم كثير وقد ذكر العيني أن معاناته من حساده نغصت عليه حياته، وأفسدت عليه رسالته في الحياة .

الثامن: وجود الكتابان اليوم بين أيدينا، وكفى بهما على الرجلين حسيبا، فلم يمكن التسليم لأحد الفريقين تسليما بعيد ا عن التحقيق، و هذا ما يفرضه المنطق العلمي السليم.

التاسع: شيوع ظاهرة السرقات والانتحال بين العلماء كثيرا ما كانت تكتشف بين اللاحقين والسابقين(المتأخرين و المتقدمين) وقلما كانت تحدث بين المتعاصرين وهذا ما يدعوني إلى القول بأن الشرحان قد تعاصر و تقاطعا في مدة زمنية لا تقل على عشرين سنة و ذلك أن ابن حجر قد بدأ شرحه

بثلاث سنوات قبل أن يباشر العيني للبخاري، وأنهاه قبله بخمس سنوات . وأخال العيني لا يقوم على السرقة من "فتح الباري "حفاظا على صمعته عند أهل عصره سيما و أن عصره مكتظ بالعلماء النحارير والصيارفة المرموقين، والنقدة الماهرين، وطلاب العلم الأذكياء المتميزين.

العاشر: وأخيرا الأخلاق العالية التي تميز بها العيني، و المكنة العلمية التي خص بها، والورع الشديد الذي يأبى عليه التورط في هكذا شبهة، سيما و أنه اختبر بالوظائف الحساسة التي تقلدها ،(الحسبة والقضاء و نظر الأحباس)، وتلك مناصب كثيرا ما تزل فيها أقدام، وتستغل في قضاء مآرب شخصية من ذوي النفوس الهزيلة المهزوزة.

لكن و مع ذلك كله ذلك كله يمكن الخلوص إلى جملة من النتائج تلخيصا لمل من شأنه أن يقال أو يثار في هذه المسألة بين العيني وابن حجر، و ذلك من خلال مايلي:

1. إن توافق الشرحان في بعض المواضع واضح لا يمكن إنكاره أو القفز عليه و الأدلة عليه موفورة دون عناء.

2. وقوف ابن حجر على تلك القول بنفسه و الإشارة إليها خاصة في رد على اعتراضات العيني وتعقيباته على فتح الباري، و من حق ابن حجر أن يدافع عن مصنفه وعصارة فكره، وجهده الذي أخذ من عمره الكثير وهو أمر لا غرابة فيه ولا غضاضة.

3. توافق العيني و ابن حجر في عدد مهم من المصادر التي رجعا إليها يشفع للعيني كما ذكره الإمام الكوثري و هو ما يمكن ان يفسر به تشابه الكتابين، سيا وأن الكتب في ذلك العصر الزاهر كانت موفورة متاحة على الأرجاء، فلا يجوز إذن إطلاق الحكم في اعتماد العيني على ابن حجر.

4. أرى أن العيني قد أعان على نفسه مدعيا ألا أحد سبقه إليها من الشارحين قبله.

5. عدم تهويل هذه القضية، والحكم على كتاب العيني برمته أنه مسلوخ من الفتح، و المبالغة في ذلك إلى أن يتهاوي شرح العيني في نظر الناس، فيحقروا من شأنه، ويعرضوا عنه بالرغم من مكانته المرموقة التي تبوأها في قائمة شراح البخاري.

6. امتلاك الإمام العيني جميع المؤهلات التي ترفعه و تمكنه أن يتولى شرح صحيح البخاري بهذا الحجم و بهذه الروح، و بهذه الغزارة و الإقتدار.

7. السؤال الملح هو: لماذا لم يطعن الناس في مصنفات العيني الأخرى خاصة الشروح الموسوعة منها كالمقاصد النحوية و عقد الجمان و البناية و غيرها؟ ثم ماذا تشكل مواطن التشابه من نسبة مقارنة بنسبة ما انفرد ما انفرد به العيني في شرحه الجليل ؟

8. إنني حينما أذكر مزايا شرح العيني ، و أقلل من هذه الشبهة التي أراد بها أصحابها النيل من العيني وشرحه لا أريد الإنقاص من مكانة ابن حجر وكتابه "الفتح الباري "بل التنويه بسبقه في الشرح و تفرده فيه و ليبق جانب ابن حجر محفوفا بأسباب التكريم و التفضيل .

9. ضرورة الإلتفات إلى عمل العيني في شرحه على البخاري وما تفرد به من فرائد ، وما تميز به من الفوائد وهي شاهدة على ذكاء اجتهاده، وروعة استنباطاته وتخريجاته .

10. ما ذكره القسطلاني منتقدا العيني في تطويله المواضيع التي تعمد ابن حجر حذفه، وهذا ما يحسب للعيني و ادعاء القسطلاني تعمد ابن حجر تركها فيه نظر فربما قصرت همته عن التطويل فيها، أو قال فيها بما فتح الله عليه، واستطاع العيني أن يطيل فيها النفس مفصلا و محللا و ذلك فضل الله يوتيه من يشاء.

11. ضرورة مراجعة أقوال الذين أشادوا بالشرحين معا، و أنصفوا الرجلين معا على جهد تنوء بجملة مجامع علمية أو فرق بحثية اليوم ومن هؤلاء المنصفين محمد أنور شاه الكشميري الحنفي الذي لم يتعصب لأحدهما فقال:"ثم شرح الحافظ أفضل الشروح باعتبار صنعة الحديث، والإعتبار وحسن التقرير واسباق النظم و بيان المراد ، و أما شرح العيني فأحسنها للألفاظ شرحا، و أتمها تفسيرا، و أكثرها لنقول الكبار جمعا، لكنه منتشر ليس في اتساق النظم كالحافظ رضي الله عنه."[1].

د. اعتراضات العيني على ابن حجر :

لقد تعقب العيني ابن حجر ورد عليه في مواضيع كثيرة من شرحه، واختلف معه في آراءه، وهذا أمر يحدث بين العلماء كثيرا، فقد تعقب بعضهم بعضا، وردوا أقوال بعضهم ولكن أحيانا يحكمها المنطق

[1] محمد أنور الكشميري، فيض الباري على صحيح البخاري، مطبعة الحجازي، القاهرة 1983م.

العلمي الرصين، وأحيانا يبدو الخلاف فيها شكليا أو وهميا، وأحيانا أخرى تشوبها حدة غير طبيعية فتفوح منها رائحة الانتقاص والتجريح. واعتراضات العيني على ابن حجر فيها أن العيني قد اطلع على شرحه من جلدته إلى جلدته، وأهتم به اهتماما خاصا مما أغضب ابن حجر فطفق يتتبع الاعتراضات من شرح العيني من ألفه إلى ياءه حتى جمعها في كتاب مشهور اسماه:" إنتقاض الإعتراض"، وهذا ما صد من نبره الخلاف بينهما، والكتاب وثيقة مدونة على الخلاف الذي كان موجودا بين الرجلين، إلا أن العيني في اعتراضاته كان لا يذكر اسم ابن حجر ولا يصرح به إنما يكتفي بالتعريض كقوله (وقال بعضهم) في الغالب، أو (قال بعض الشراح) أحيانا.

وحين جمع ابن حجر تلك الاعتراضات تولى الإجابة عن بعضها، واكتفى بذكر بعضها الآخر إما لوضوح ضعفها أو أنه أخرها ليراجعها في وقت لاحق بعد أن يعمل فيها نظره، ولكن المنية عاجلته فمات دون مراجعتها والرد عليها، ويرى بعض الباحثين أن هذه الاعتراضات التي تعقب بها العيني يمكن تصنيفها إلى خلاف لفظي يمكن معه الجمع بين ما أورده العيني وما ذكره ابن حجر، وهناك اعتراضات فيها نظر قد شابه ضعف بين، ومن الاعتراضات ما أصاب فيه العيني بقوة حجته ودقة نظره، والأمثلة في ذلك كثيرة اكتفى بذكر شيء منها:

1- أما ما كان الاعتراض من مرده إلى خلاف لفظي لكون ما ذهب إليه كل منهما له وجه يحتمله اللفظ ويعد من قبيل التنوع وزيادة فائدة، وغرض العيني في إيراده هو استبعاد رأي ابن حجر وإيثار ما ارتضاه ومال إليه، ومثال ذلك ما رواه البخاري في كتاب المغازي باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ﴿ حدثنا يحيا بن بكير، حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الحجر: ﴿**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابكم**﴾[1] فاختلفوا في معنى "**اللام**" في قوله (**لأصحاب الحجر**) فقال ابن حجر " قال الكرماني: أي قال لأصحابه الذين معه في ذلك الموضع، وأضيف إلى الحجر لعبورهم عليه، وقد تكلف في ذلك وتعسف وليس كما قال، بل اللام في قوله (**لأصحاب الحجر**) لمعنى "**عن**" وحذف المقول لهم ليعم كل سامع، والتقدير: قال لأمته عن أصحاب الحجر وهم ثمود وهذا واضح لإخفاء به."[2]. لكن العيني أورد معنى آخر محتملا وهو مقبول ورد قول ابن حجر بعد أن أورد اعتراضه على الكرماني" قلت: هو أيضا تكلف أكثر

[1] : البخاري ، صحيح البخاري، ج 6 / 9.

[2] : ابن حجر، الفتح الباري، ج 8 / 468.

منه، والمعنى الواضح الذي لا غبار عليه أن اللام في (**لأصحاب الحجر**) بمعنى "**عند**" كما في قولهم: كتبته لخمس خلون ، أي عند أصحاب الحجر، وهم المعذبون هناك: لا تدخلوا عليهم."[1]. ولكن تفسير اللام بمعنى "**عن**" أو بمعنى "**عند**" احتمالان لا يلغي أحدهما الآخر، بل كلاهما وجه وارد ولا يخفي ما في هذا من التنوع والفائدة وعدد من الاعتراضات على ابن حجر من هذا القبيل.

2. وأما ما كان من الاعتراضات التي أوردها العيني على ابن حجر وفيها ضعف لا تقوى به على المقاومة التي عقب عليها ابن حجر[2] بقوله (**أنظر وتعجب**) أو (**والجواب عن هذا موكول إلى إنصاف الناظر فيه**) أو (**أعرضت عن جوابه لوضوحه**) وغير ذلك من العبارات التي توحي بأن الاعتراض ليس مما يعتد به أو يلتفت إليه، ومثاله ما رواه البخاري في كتاب الصوم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نكتب ولا نحسب قال "حدثنا آدم قال:حدثنا شعبة قال: حدثنا الأسود بن قيس قال: حدثنا سعيد بن عمرو أنه سمع ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا**﴾."[3]. اختلفا في معنى لفظ (**أمية**) فقال ابن حجر " بلفظ النسب إلى الأم فقيل: أراد أمة العرب لأنها لا تكتب، أو منسوب إلى الأمهات أي أنهم على أصل ولادة أمهم، أو منسوب إلى الأم لأن المرأة هذه صفتها غالبا، وقيل: منسوب إلى أم القرى."[4].وابن حجر قد أتى على جميع المعاني الممكنة المحتملة، ولكن العيني حين اعترض عليه في هذا المعنى لم ينقل جميع هذه المعاني بل اجتزأ منها ما يريد أن يعترض عليه فقال: "وقال بعضهم: منسوب إلى الأمهات، قلت: من له أدنى شمة من التصريف لا يتصرف هكذا."[5].وهذا الرد لا يقوى على معارضة كلام ابن الحجر الذي استوفى المعاني والعيني متكلف في ذلك.

وقد يرجح العيني وجها ضعيفا يريد به مخالفة ابن حجر رأيه الراجح ومثاله: ما رواه البخاري في كتاب الوحي ﴿ **فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتثري الضيف، وتعين على نوائب الحق..**﴾.[6]. ووقع النزاع حول لفظ "**المعدوم**" فقال ابن حجر: " وفي رواية الكشميهني وتكسب بضم أوله، وعليها قال الخطابي: الصواب المعدم بلا واو، أي الفقير

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 12 / 381.
[2] : ابن حجر انتقاض الاعتراض، ج 1 / 32 - 136 ، ج 2 / 377، ج 1 / 52.
[3] : البخاري، صحيح البخاري، ج 3 / 35.
[4] : ابن حجر: فتح الباري، ج 4/ 126.
[5] : العيني، عمدة القارئ، ج 8 / 49.
[6] : البخاري، صحيح البخاري، ج 1 / 3.

لأن المعدوم لا يكسب، قلت: ولا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تصرف له، والكسب هو الاستفادة."[1] .وقد خطأ الكرماني الخطابي في حكمه على الكلمة الصحيحة بالخطأ ونقل ذلك العيني فقال: "وقال الكرماني التيمي: لم يصب الخطابي إذ حكم على اللفظة الصحيحة بالخطأ، فإن الصواب ما اشهر بين أصحاب الحديث ورواه الرواة – ثم نقل كلام ابن حجر المذكور– وقال: قلت: الصواب ما قاله الخطابي."[2]. ولا تخفى شهرة الرواية بلفظ "المعدوم" وضعف ما ذهب إليه الخطابي ولا يترجح على ما أجمع عليه الرواة، وتبدو مخالفة العيني لابن حجر من أجل المخالفة فقط.

وأما ما كان من الاعتراضات التي أوردها العيني على ابن حجر فيها قوة الصواب ودقة النظر وليس لابن حجر فيها إلا التسليم، ومثال ذلك ما رواه البخاري في كتاب الوضوء باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، قال: ﴿**حدثنا عثمان، قال: حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة– أو مكة– فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما...– إلى أن قال–:ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة..**﴾[3]. ذهب ابن حجر في شرح الحديث إلى احتمال ألا يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد باشر ذلك بنفسه بل أمر به فقال: " وليس في السياق ما يقطع على أنه باشر الوضع بيده الكريمة، بل يحتمل أن يكون أمر به."[4]ولا يقوى هذا الاحتمال البعيد أمام ما ذهب إليه العيني، والغريب أن ابن حجر استدل بالسياق وهو خلاف ما رآه وهذا الذي عول عليه العيني في الاعتراض وهو الأقوى، قال: "هذا كلام واه جدا وكيف يقول ذلك، وقد صرح في الحديث، ثم دعا بجريدتين فكسرهما فوضع على كل فبر منهما كسرة وهذا صريح في أنه (صلى الله عليه وسلم) وضع بيديه الكريمة ودعوى احتمال الأمر لغيره به بعيدة."[5]. ومثاله أيضا ما رواه البخاري في كتاب الجمعة باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة. قال: "حدثنا معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة عن حصين عن سالم بن أبي الجعد، قال: حدثنا جابر بن عبد الله قال بينما نحن نصلي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها، حتى ما بقي مع النبي

[1] : ابن حجر، فتح الباري، ج 1 / 36.
[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 90.
[3] :البخاري، صحيح البخاري، ج 1 / 64.
[4] : ابن حجر ، فتح الباري، ج 1 / 427.
[5] : العيني ، عمدة القارئ، ج2 / 602.

(صلى الله عليه وسلم) إلا اثني عشر رجلا."[1]. قال ابن حجر في قوله: "**التفتوا**": "و في قوله : (**فالتفتوا**) إلتفات لأن السياق يقتضي أن يقول فالتفتنا، و كأن الحكمة في عدول جابر عن ذلك أنه هو لم يكن ممن التفت."[2].و تعقبه العيني في ادعائه الالتفات فقال : "قلت: ليس فيه التفات لأن جابر كان من الإثني عشر على ما جاء أنه قال : و أنا فيهم، فيكون هذا إخبارا عن الذين انفضوا، فلا عدول فيه عن الأصل."[3].و الظاهر أو جابرا قد أخبر أن القوم قد التفتوا، و لم يكن من الذين التفتوا معهم فلا وجه لوجود الالتفات من الناحية البيانية، و يبدوا أن ابن حجر قد توهم الالتفات ولم يذكر دوره في المعنى على غير عادته فيمثل هذه المواضيع.

تلك هي وقفة عامة عند اعتراضات العيني على الحافظ ابن حجر، والتي تبين من خلالها المنافسة العلمية وما نتج عنها من مناقشات جريئة وهذا ما يعطي صورة حية عن الجدل العلمي الذي كان بين العلماء حين يرد بعضهم على بعض، أو يخطئ بعضهم بعضا، أو حين ينصف كل منهم صاحبه، ولا يخلوا ذلك كله من الفوائد التي يستخلصها الباحثون، والمناهج التي يكشفها الدارسون، وفي نظري يمكن أن تجمع هذه المسائل الخلافية بين العيني وابن حجر في بحث مستقل لغوية كانت أو شرعية فقهية كحال تلك الكتب التي ألفت في الموازنات أو المحاكات بين الشعراء و الأدباء أو بين النحاة والفقهاء والتي من أهم ثمارها:

1. إنصاف العلماء بعضهم من بعض وبيان المواطن التي أصابوا فيها والمواطن التي تكلفوا فيها.
2. اكتشاف مناهجهم في مناقشة القضايا وتحليل المسائل .
3. نشر ثقافة التعامل العلمي مع كتب الخلاف والمسائل الخلافية .
4. معرفة الاعتبارات العلمية في ترجيح رأي على آخر، أو وجهة نظر على أخرى .
5. علاج ظاهرة التعصب لرأي دون آخر أو مذهب على مذهب لأن التعصب أحيانا يكون مبعثه الهوى أو الحسد الحاقد.

[1] البخاري، صحيح البخاري، ج 1 / 16.
[2] ابن حجر الفتح الباري ج 3 / 92.
[3] العيني، عمدة القارئ، ج 5/ 122.

6. نشر ثقافة البحث عن الحقيقة العلمية من غير اعتبارات شخصية طائفية أو مذهبية أو غيرها والتجرد من جميع هذه الأدواء المعتقة لأي نهضة علمية واعدة.

7. الوقوف على تحرير محل النزاع، ومنشأ الخلاف ومبرراته وأهم ثماره.

II. منهج العيني في شرحه على صحيح البخاري:

بدأ العيني شرحه كغيره من الشراح بخطبة ومقدمة، بين في الخطبة سبب تأليفه للكتاب، وإسناده فيه ثم توسع في الحديث عن فوائد تتعلق بصحيح البخاري وجعلها عشر فوائد، ثم جاءت مقدمة مختصرة بين فيها مبادئ كل علم وموضوعه ومسائله، ولما شرع في الشرح سلك فيه مسلكا متميزا لم يسبق إليه اتسم بالبسط والإيضاح، ونهج فيه منهجا علميا تعليميا مدرسيا كان غاية في الدقة والشمول والاستيعاب، يستطيع الباحث أن يجد ضالته وينال مآربه من الكتاب في يسر وسهولة وجاءت عناوينه التي وضعها متسلسلة منظمة تستوعب أهم جوانب الحديث الذي يتناوله بالشرح والتحليل، هذه العناوين بعضها يتعلق بالسند وبعضها متعلق بالمتن، وأستطيع القول بعد الفحص والنظر أن كل عنوان منها يمثل أو يحيل إلى علم من العلوم أو فن من الفنون، كان العيني قد وظفها توظيفا ذكيا في شرح الأحاديث، واستثمر ثقافته الموسوعية في ذلك، وغزارة علمه في حشد الأقوال،واستحضار الأوجه ومناقشة الآراء وإيراد الأدلة واستنباط الأحكام وبيان الفوائد وذلك بلغة سلسلة وأسلوب ممتع لا يشعر القارئ بملل أو كلل، كيف وقد سماه "عمدة القارئ" وفي اختيار العناوين اهتمام لافت بالمتلقي وتلك مسائل أصبحت محل بحث ضمن ما عاد يعرف اليوم "بنظرية القراءة".

وعلى هذا الأساس جاءت المادة مبوبة على الشكل التالي:

1. تبويب العيني لمادة الشرح:

1. **البدء بمناقشة تراجم البخاري وأبوابه** : والتعليق على الكتب ومناسبتها في مواضعها، ثم الكلام على عنوان الباب ومناسبته للحديث، فضلا عن بيان تناسب الكتب مع بعضها، وذكر تناسب الأبواب، مع عناية بألفاظ التراجم وتحليلها لغويا وإعرابها، ومثاله: ما رواه أنس في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرأ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف**

في النار ﴾".[1] علق العيني على الباب ووجه مناسبته لما قبله "هذا باب في حلاوة الإيمان وارتفاعه على الخبرية للمبتدأ المحذوف، وجه المناسبة بين البابين من حيث أن الباب الأول مشتمل على أن كمال الإيمان لا يكون إلا إذا كان الرسول صلى الله علية وسلم أحب إليه من سائر الخلق، وهذا الباب يبين ذلك من جملة حلاوة الإيمان، ولأن هذا الباب مشتمل على ثلاثة أشياء، والباب الذي قبله جزء من هذه الثلاثة وهذا أقوى وجوه المناسبة."[2].

2. **بيان رجال الحديث بضبط اسمائهم وألقابهم وأنسابهم** : بحيث يغني الباحث عن الرجوع إلى كتب التراجم والرجال. ومثاله ما رواه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم "حدثنا محمد بن علاء قال: حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن ابن موسى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ﴿ **مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا** ...﴾.[3] وذكر الحديث. وفي بيان رجاله فصل العيني فقال: " وهم خمسة:الأول: محمد بن العلاء بالمهملة وبالمد ابن كريب الهمداني بسكون الميم والدال المهملة المكنى بأبيه كريب بضم الكاف، مصغر كرب بالموحدة وشهرته بالكنية أكثر، وروى عن الجماعة و آخرون، وهو صدوق لا بأس به، وهو مكنى قال أبو العباس بن سعيد: ظهر له بالكوفة ثلاث مائة حديث، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين. الثاني: أبو أسامة حمد بن أسامة ابن زيد الهاشمي القرشي الكوفي، مولى الحسن بن علي أو غيره، وشهرته بكنيته أكثر. روى عن يزيد وغيره وأكثر عن هشام بن عروة له عنه ستمائة حديث، وعنه الشافعي وأحمد وغيرهما وكان ثقة ثبتا صدوقا وحافظا حجة إخباريا، روي عنه أنه قال: كتبت بأصبعي هاتين مائة ألف حديث. مات سنة إحدى ومائتين وهو إبن ثمانين سنة، فيما قيل : وليس في الصحيحين من هو بهذه الكنية سواه.. روى له الجماعة. الثالث: بريد بضم الباء الموحدة وفتح الراء، وسكون الياء آخر الحروف والذال المهملة: ابن عبد الله بن أبي بريدة بن أبي موسى الأشعري والمكنى بأبي بريدة الكوفي وقد تقدم. الرابع: أبو بردة بضم الباء الموحدة وسكون الراء عامر بن أبي موسى الاشعري وقد تقدم. الخامس: أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري وقد تقدم."[4].

---

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 225.

[2] : نفسه، ج 225/1.

[3] : نفسه،ج 2 / 106.

[4] : العيني، عمدة القارئ،ج 2 / 106 – 107.

3. **بيان لطائف الإسناد** : وفيه يبدع العيني في قراءة الإسناد قراءة يستخرج بعض الميزات التي انفرد بها السند، ويشير إلى جملة من الفوائد في علم الرواية والرواة. ومثاله : حديث أبي موسى الأشعري المذكور فبعد أن ذكر رجال السند – الذين أشرت إليهم – بين لطائف السند فقال: " منها أن فيه تحديث والعنعنة. ومنها: أن بريدا يروي عن جده . وجده عن أبيه وهذه لطيفة، ومنها: أن رواتهم كلهم كوفيون، ومنها: أن فيه عن أبي بردة عن أبي موسى ولم يقل، عن أبي بردة عن أبيه."[1]

4. **بيان المواضع التي ذكر فيها الحديث من صحيح البخاري في الكتب والابواب**: ويروي أسانيدها وأحيانا متونها ثم يقارن ويوازن بينها، ومثاله ما رواه البخاري في كتاب الغسل باب: إذا احتلمت المرأة. " عن أمي سلمة أم المؤمنين أنها قالت: جاءت أم سليم إمرأة ابي طلحت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ﴿ **يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذ هي احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله علية وسلم: نعم إذا رأت الماء**﴾.[2] ثم ذكر تعدد موضعه من البخاري فقال: " أخرجه البخاري في ستة مواضع، في الغسل ههنا عن عبد الله ابن يوسف، وفي الأدب عن إسماعيل،وعن محمد بن المثنى، وعن مالك بن إسماعيل، وفي خلق آدم عن مسدد، وفي العلم عن محمد بن سلام.."[3].

5. **بيان من أخرجه غير البخاري ومواضعه في كتب السنن والصحاح والمسانيد وكتب الرواية**. ومثال ذلك ما رواه البخاري في كتاب الآذان، باب بدء الآذان، قال: " حدثنا عمران بن مسيرة قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس قال: ﴿**ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة.**﴾...أخرجه البخاري أيضا في ذكر بني إسرائيل عن عمران بن مسيرة وعن محمد بن سلام، وعن علي بن عبد الله، وعن سليمان بن حرب وأخرجه مسلم في الصلاة عن خلف بن هشام، وعن يحي بن يحي وعن اسحاق بن إبراهيم، وعن محمد بن حاتم وعن عبيد الله بن عمر، وأخرجه أبو داود فيه عن سليمان بن حرب وعبد الرحمان بن المبارك، وعن موسى بن إسماعيل، وعن حميد بن مسعدة. وأخرجه الترميذي فيه عن قتيبة عن عبد الوهاب ويزيد بن زريع، وأخرجه النسائي أيضا عن قتيبة، وأخرجه ابن ماجه فيه عن عبد الله بن الجراح، وعن نصر بن علي."[4].

---

[1] : نفسه، ج 1 / 107.

[2] : نفسه، ج 3 / 66.

[3] : نفسه، ج 3 / 67.

[4] : العيني، عمدة القارئ، ج 4 / 144 – 145.

6. **دراسة الإختلاف الوارد في الرواية الواحدة سندا ومتنا:** ومثاله ما أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: مايصلى بعد العصر من الفوائت وغيرها. قال: "حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا عبد الواحد بن أيمن قال: حدثني أبي أنه سمع عائشة قالت: ﴿**والذي ذهب به ما تركهما حتى لقي الله وما لقي الله تعالى حتى ثقل عن الصلاة، وكان يصلي كثيرا من صلاته قاعدا – تعني الركعتين بعد العصر– وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يثقل على أمته وكان يحب أن يخفف عنهم** ﴾... وفي لفظ البخاري (**ما ترك السجدتين بعد العصر عندي قط**) وفي لفظ: (**ركعتان لم يكن يدعهما سرا ولا علانية: ركعتان قبل الصبح، وركعتان بعد العصر**). وفي لفظ: (**ما كان يأتيني في يوم بعد العصر إلا صلى ركعتين**) وعند مسلم: (**كان يصليهخما قبل العصر ثم إنه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما. وكان إذا صلى صلاة أثبتها.**) وعبد الدار قطني: (**كان لا يدع ركعتين قبل الفجر وركعتين بعد العصر.**) وفي لفظ: (**دخل عليها بعد العصر فصلى ركعتين، فقلت: يا رسول الله أحدث بالناس شيء؟ قال: لا، إلا أن بلالا عجل الإقامة فلم أصل الركعتين قبل العصر فأنا أقضيهما الآن، قلت: يا رسول الله افنقضيهما إذا فاتتا ؟ قال: لا.**) وفي لفظ: (**كان يصلي الركعتين بعد العصر وينهى عنهما**) وفي لفظ: (**ولم أره عاد لهما**)."[1]. فانظر هذا التنوع في بيان اختلاف الألفاظ للحديث الواحد.

7. **بيان اللغات** وذكر شرح واف لألفاظ الحديث بالتحليل اللغوي مستعينا أحيانا بالقرآن أو بروايات الحديث ناقلا أقوال أصحاب المعاجم من القدامى ثم يحقق ويرجح، ومثال ذلك ما رواه البخاري في كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء و تعليمهن ﴿ **أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يسمع النساء، فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه** ﴾.. قوله (**بالصدقة**) وهي ما يبذل من المال لثواب الآخرة، وهي تتناول الفريضة والتطوع لكن الظاهر أن المراد بها هنا هو الثاني. قوله: (**القرط**) بضم القاف وسكون الراء: ما يعلق في شحمة الأذن. وقال ابن دريد: كل ما في شحمة الأذن فهو قرط سواء كان من ذهب أو غيره .و في اليارع القرط

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 4 /118.

يكون فيه حبة واحدة في حلقة واحدة. وفي العباب: والجمع أقراط وقروط وقرطة وقراط مثال: برد وأبراد وبرود.. و(**الخاتم**) فيه أربع لغات: كسر التاء وفتحها وخيتام وخاتام الكل لمعنى واحد."[1].

8. بيان الأنساب :ورفع الإبهام الواقع فيها، والتعرض لذكر القبائل والأماكن وما يتعلق بها ومثاله ما رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: من الدين الفرار من الفتن من حديث " أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**﴾... **القعنبي** : هو عبد الله بن مسلمة، شيخ البخاري،ونسبته إلى جده قعنب، والقعنب في اللغة الشديد، ومنه يقال للأسد القعنب، ويقال القعنب الثعلب الذكر. و**المازني** في قبائل: ففي قيس بن غيلان: مازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان، وفي قيس بن غيلان أيضا: مازن بن صعصعة، وفي فزارة، وفي ضبة: مازن بن كعب، وفي مذحج : مازن بن ربيعة، وفي الأنصار: مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وفي تميم: مازن بن مالك، وفي شيبان بن ذهل: مازن بن شيبان، وفي هذيل: مازن بن معاوية، وفي الأزد: مازن بن الأزد و**الخدري**: بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة إلى خدرة أحد أجداد أبي سعيد، وقال ابن حيان في ثقاته في ترجمة أبي سعيد: إن خدرة من اليمن ومراده أن الأنصار من اليمن فهم بطن من الأنصار، وهم نفر قليل بالمدينة.."[2].

9. بيان الإعراب :وفيه تظهر الثقافة النحوية التي يتمتع بها العيني فيبين الوجوه الإعرابية المحتملة خدمة للمعنى والإفاضة في مباحث نحوية مهمة، وتوجيهات إعرابية جديرة بالبحث واختيارات انفرد بها ومناقشات أبدع فيها ومثال ذلك ما جاء في كتاب الغسل، باب: هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها. "حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: أخبرنا أفلح عن القاسم قالت: ﴿ **كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد تختلف أيدينا فيه** ﴾.. قوله: (**والنبي**) بالرفع عطف على الضمير المرفوع في كنت. وأبرز الضمير أيضا ليصح العطف عليه، ويجوز فيه النصب على أنه مفعول معه فتكون الواو للمصاحبة. قوله (**تختلف أيدينا فيه**) جملة في محل النصب لأنها حال من قوله (**من إناء واحد**) والجملة

[1] : نفسه، ج 2 / 172.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 245 – 246.

بعد المعرفة حال، وبعد النكرة صفة، والإناء هنا موصوف."[1]. والإعراب الذي اهتم به العيني كلما سنحت المناسبة هو إعراب الكلمات وإعراب الجمل وسيأتي التفصيل في الصفحات التالية.

10. بيان الصرف وقد أبدع العيني في إيراد الكثير من المسائل الصرفية واشتقاقات المفردات حتى أصبح شرحه غنيا بالدرس الصرفي، ومن الأمثلة على ذلك "حدثنا عبد الله بن موسى قال: أخبرنا حنظلة بن أبي عكرمة بن خالد عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: ﴿ **بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا اله و أن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**﴾ قوله : (**بني**) فعل ماضي مجهول، قوله (**وإقام الصلاة**) أصله: إقوام لأنه من أقام يقيم، حذفت الواو فصار: إقاما، ولكن القاعدة أن يعوض عنها التاء فيقال: إقامة، وقال أهل الصرف، لزم الحذف والتعويض في نحو إجارة واستجارة، فإن قلت: فلم لم يعوض ههنا ؟ قلت: المراد من التعويض هو أن يكون بالتاء وغيرها نحو الإضافة، فإن المضاف إليه ههنا عوض عن المحذوف، وفي التنزيل ﴿**وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة** ﴾**الأنبياء 73**، قوله :(**وإيتاء**) من: آتى بالمد."[2].

11. بيان البيان وفيه بحوث مهمة في علم البلاغة، واستنباطات بيانية ترفد المعنى وتزينه وأحيانا يقسمها إلى محاورها الثلاث، البيان والمعاني والبديع وأحيانا بذكرها مجتمعة دون تفصيل ولا يخفى ما في ذلك من تذوق للبلاغة النبوية، والإعجاز البياني في الحديث الشرف، ومثاله:حديث أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ﴿**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة.**﴾ قوله: (**إن الدين يسر**) فيه تأكيد: بأن ردا على منكر يسر هذا الدين على تقدير كون المخاطب منكرا، وإلا فعلى تقدير تنزيله منزلة المنكر، وإلا فعلى تقدير المنكرين غير المخاطب، وإلا فلكون القضية مما يهتم بها. قوله: (**ولن يشاد الدين**) فيه:حذف الفاعل للعلم به، قوله (**فسددوا**) فيه: حذف أي في الأمور. و كذالك في قوله: (**وقاربوا**) أي في العبادة. وكذالك في قوله: (**وأبشروا**) أي في الثواب على العمل، وأبهم المبشر به للتنبيه على التعظيم والتفخيم وفيه استعارة الغدوة والروحة وشيء من الدلجة لأوقات النشاط، وفراغ القلب للطاعة. وكأنه عليه السلام خاطب مسافرا يقطع طريقه إلى مقصده فنبهه على أوقات نشاطه التي ترك فيها عمله، لأن هذه الأوقات أفضل أوقات المسافر، والمسافر إذا سار الليل والنهار جميعا عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة

[1] : نفسه، ج 3 / 30.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 188.

أمكنته المداومة من غير مشقة، وقال الخطابي: معناه الأمر بالاقتصاد في العبادة أي: لا يستوعبوا الأيام ولا الليالي كلها بها، بل اخلطوا طرف الليل بطرف النهار، وأجمعوا أنفسهم فيما بينهما لئلا ينقطع بكم."[1].

12. الأسئلة والأجوبة وهي عبارة عن إشكالات يثيرها العيني ويستشير بها المتلقي ثم يتولى الإجابة عنها وكأنه يضع نفسه موضع القارئ فعندما يتصور مثل هذه الأسئلة الافتراضية التي يمكن للمتلقي أن يطرحها، ثم يدقق في الجواب عنها وهذا ما لم يسبق إليه، ولكن لا نجد هذا اللون في الأجزاء كلها إنما نجده قد اختفى في أغلبها، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتاب العلم باب: رفع العلم وظهور الجهل من حديث أنس قال:"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ **من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل،ويظهر الزنا،وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد** ﴾...**الأسئلة والأجوبة: منها ما قيل**: إن قلة العلم يقتضي بقاء شيء منه، وفي الحديث السابق (**يرفع العلم**) والرفع عدم بقائه فبينهما تناف. **أجيب** بأن القلة قد تطلق ويراد بها العدم، أو كان باعتبار الزمانين، كما يقال مثلا: القلة في ابتداء أمر الإشراط والعدم في انتهائه، ولهذا قال ثمة: (**يثبت الجهل**) وههنا (**يظهر**).. **ومنها ما قيل**: ما فائدة التعريف في قوله (**القيم**)، وكان حق الظاهر أن يقال: قيم واحد ؟ **أجيب**: بأن فائدته الإشعار بما هو معدوم من :(**الرجال قوامون على النساء**) فاللام للعهد فافهم. **ومنها ما قيل**: ما فائدة تخصيص هذه الأشياء الخمسة بالذكر؟ **أجيب**: بأن فائدة ذلك أنها مشعرة باختلال الضرورات الخمس الواجبة رعايتها في جميع الأديان التي يحفظها صلاح المعاش والمعاد ونظام أحوال الدارين: وهي: الدين والعقل والنفس والنسب والمال، فرفع العلم مخل بحفظ الدين، وشرب الخمر بالعقل والمال أيضا، وقلة الرجال سبب الفتن بالنفس وظهور الزنا بالنسب وكذا بالمال، **ومنها ما قيل**: لم كان اختلال هذه الأمور من علاماتها .**أجيب**: لأن الخلائق لا يتركون سدى ولا نبي بعد هذا الزمان فتعين خراب العالم وقرب القيامة، قال القرطبي:(في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصا في هذه الأزمان والله المستعان)."[2]. وكأن هذه الأسئلة بمثابة الأسئلة الاختبارية التي يؤكد عليها خبراء التربية والتعليم، والتي من الضروري إثارتها لاختبار درجة استيعاب الدرس لدى التلاميذ، وهي تقابل الأسئلة التمهيدية التي يثير بها الأستاذ انتباه التلاميذ حين يطرح إشكالا يستهل به للشروع في الدرس، ويفسح

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 354.

[2] : العيني: عمدة القارئ، ج 2 / 118.

المجال للتلاميذ صياغة درسهم بأنفسهم ليصل الأستاذ إلى تحقيق كفاءة معينة كان قد وضعها ضمن أهدافه المسطرة، ومذاهب التربية وعلومها مشغولة اليوم بمثل هذه القضايا للنهوض والتطور .

13. استنباط الأحكام الفقهية وبيان المأمورات والمنهيات الشرعية وفيها يعرض العيني لفقه المذاهب كلما سنحت له الفرصة مدافعا أحيانا عن المذهب الحنفي الذي ينتمي إليه، لاسيما أحاديث الأحكام في باب العبادات والمعاملات وغيرها، وقد ظل العيني محافظا على هذا العنوان من بداية الشرح إلى آخره ومثال ذلك ما رواه " معاوية قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ﴿**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله** ﴾..**بيان استنباط الأحكام، الأول**: فيه دلالة على حجية الإجماع، لأن مفهومه أن الحق لا يعدو الأمة، وحديث (**لا تجتمع أمتي على الضلالة ضعيف**)، **الثاني**: استدل به البعض على امتناع خلو العصر عن المجتهد. **الثالث**: فيه فضل العلماء على سائر الناس. **الرابع**: فيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله تعالى والتزام طاعته. **الخامس**: فيه اخباره عليه السلام بالمغيبات، وقد وقع ما أخبر به ولله الحمد فلم تزل هذه الطائفة من زمنه وهلم جرا، ولا نزول حتى يأتي أمر الله تعالى."[1] وفي بعض المواضع من الشرح يعبر العيني بقوله:"**ذكر ما يستفاد منه**" وهو يريد الأحكام، وأحيانا يجمع بينهما في عنوان واحد.

2. عرض المادة من غير تبويب :

عند استقراء المنهج الذي اعتمده العيني في الشرح وجدته قد لجأ إلى أسلوب آخر في عرض المادة وهو عدوله عن التبويب الذي انتهجه في بداية الشرح إلى ذكر المعنى وفيه قد يتعرض لبعض المسائل النحوية أو الصرفية أو البلاغية وبشكل سريع قد فعل ذلك مع طائفة كبيرة من الأحاديث بالرغم من أنه قد توسع في شرحها ومن السهولة إخضاعها للتبويب. وكان يستعمل مع هذا النوع من الشرح عبارات مختلفة منها: "الكلام فيه على الوجوه" و"الكلام فيه على أنواع". وعند فحصي لأجزاء الشرح بحسب الطبعة التي بين يدي لاحظت أن التبويب قد اختفى تمام ابتداء من الجزء الثاني عشر بعد أن قل وروده ابتداء من الجزء العاشر والحادي عشر، وهيمن على الشرح لون من الاختصار والإيجاز، واختفت تلك اللطائف والنكت التي كان يستنبطها العيني من بعض الأحاديث، وقد حاولت أن أدرس المنحنى البياني لهذا الشرح الجليل

[1] : نفسه، ج 2 / 73.

وكيف تألق فيه صاحبه تألقا مشهودا، ثم كيف تغير مستوى التناول للأحاديث تقريبا من بداية الكتاب 64 "كتاب المغازي" إلى آخر كتاب 96 "كتاب التوحيد" أي بداية من حديث رقم 3949 إلى آخر حديث رقم 7563 والعدد الذي لم يحظ بنفس المنهج في التفسير والتحليل هو ما يقرب من 3614 حديثا وهو رقم يتجاوز تلك الأحاديث التي جمعها البخاري في صحيحه تقريبا، فيا ترى هل يوجد تفسير لهذا الأمر؟ وهل توجد هناك مبررات لهذا التغير؟ وبعد النظر والتدقيق يمكن تفسير ذلك بما يلي:

1. كثرة العناوين التي أبدع فيها العيني أثناء دراسة الأحاديث وتحليلها تعطي مؤشرا أنه لا يمكن اعتمادها والدوران في فلكها مع جميع الأحاديث فمنها ما يبقى قارا كمعرفة رجال الحديث واستنباط الفوائد والأحكام والإعراب والصرف، أما القضايا البلاغية فلا يمكن أن تكون قارة نظرا لأن بعض الأحاديث لا تحمل أي صورة من الصور البلاغية.

2. الروح العالية والهمة القوية التي لمسناها في الإمام العيني من خلال المستوى العالي الذي بدأ به الشرح غير الهمة والروح التي أنهى بهما مشواره مع الكتاب وهذا ليس عيبا أو نقصا بل هو أمر طبيعي يشعر به جميع المؤلفين والكتاب.

3. اختلاف الظروف التي صاحبت الشرح خلال سنواته الطويلة فهي ليست على حال واحدة حيث كان فيها استقرارا أحيانا ، و توترا أحيانا أخرى.

4. المناصب الحساسة التي تقلدها العيني، و المعاناة والمشاق التي كابدها من جرائها كان لها أثر على عطائه الفكري وإنتاجه الثقافي بوجه عام.

5. الاستعدادات والظروف النفسية والأحوال الشخصية لا تبقى على حال واحدة والتي تؤثر سلبا وإيجابا على قلم الكاتب وعطائه، وقد رأينا علاقاته المتوترة مع الخصوم والأقران.

6. طول المدة التي استغرقها الشرح والتي بلغت 27 عاما ولكنها غير متواصلة لأن العيني لم يتفرغ لشرحه تفرغا تاما.

7. انقطاع العيني عن الشرح مددا تطول وتقصر تبعا للظروف والأحوال وهو ما يؤثر على الإلتزام بنفس النهج الذي سطره، والخطة التي وضعها.

8. الأحاديث المتكررة وعددها لا يستهان به تلجئ العيني أن يمر عليها مرورا عابرا حتى لا يعيد نفسه وقد فصل فيها القول وسبط فيها الحديث ولا يمكنه أن يدرسها بنفس العناوين التي اعتمدها في الشرح من قبل.

ومع هذا كله من الواجب أن نتفق أن العيني قد منهجا فريدا في تناوله لأحاديث البخاري يمكن النسج عن منواله والأخذ به وتعميمه على أغلب ما جاء في الصحيح نظرا لأنه يستوعب أهم الجوانب في دراسة الحديث التي يمكن أن تساهم في الإيضاح وبيان المعاني واستخراج الفوائد والأسرار.وعلى كل فإني لا أستطيع أن أعذر إمامنا العيني على هذا الخلل التي حدث فأثر على الوتيرة المنسجمة التي سار عليها الشرح في بدايته، وكم وددت ألا ينقطع هذا النفس وغطى مساحة أكبر من كتاب العمدة.

3. منهج العيني في دراسة أحاديث البخاري سندا ومتنا :

لقد ظهرت براعة العيني في شرحه لصحيح البخاري وذلك من خلال الوقوف على أدق التفاصيل التي لم يعطها شراح آخرون اهتماما، وذلك بناء على المنهج الذي يرسمه كل شارح لنفسه في شرح الحديث ولكن العيني أبدع في دراسة الأحاديث من جهة السند، ومن جهة المتن، وأفرد لكل منهما عناوين تغوص أحيانا في التفاصيل الدقيقة، وتنبئ عن التمكن والاقتدار اللذين كان يتمتع بهما العيني وفيما يلي بيان لمنهج العيني في شرحه وعنايته بالسند والمتن معا.

أ. منهج العيني في دراسة السند :

إهتم العيني بسلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث اهتماما خاصا، حيث استثمر جميع معارفه في علم الرجال أسماؤهم وألقابهم وكناهم، ووظف إحاطته بعلم الجرح والتعديل فأشار إلى بعض أحوالهم وشيوخهم ومراتبهم، ولم يغفل بيان المشكلات وإيضاح المبهمات. ولكن أود أن أشير أنه لا يمكن التعرض لهذه المسائل الإسنادية بالتفصيل وذلك للكم الهائل الذي وجدته والتفاصيل الكثيرة التي تصلح أن تكون بحثا مستقلا، ولعل من المفيد أن أقتصر على ذكر بعض القضايا التي ظهرت فيها عناية العيني الدقيقة بالسند مع الإشارة إلى الأمثلة التي توضح ذلك، وكان المنهج المعتمد منهجا تعليميا تفصيليا في شرح سلسلة السند عند الإطلاع على القراءة العلمية التي يقدمها للإسناد والملاحظ أن ذلك قد حافظ عليه العيني من بداية الشرح لآخره ولكنه كان في الأجزاء الأولى أظهر وأبدع، ففي باب بدأ الوحي أخرج البخاري فقال: " حدثنا عبدان قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرني يونس عن الزهري (ح) وحدثنا بشير بن محمد قال: أخبرنا عبد الله

قال: أخبرنا يونس ومعمر عن الزهري نحوه، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس .. علق العيني إن البخاري حدث الحديث هذا عن شيخين عبدان وبشير وكليهما عن عبد الله بن المبارك والشيخ الأول ذكر لعبد الله شيخا واحدا وهو يونس، والثاني ذكر له الشيخين يونس ومعمرا أشار إليه بقوله: ومعمر نحوه، أي نحو حديث يونس."[1].

كما اهتم العيني بتوضيح ما كان في السند من عطف حتى يزيل أي لبس محتمل في معرفة تسلسل الرواة، وأنواع الإشكال متعددة والتي يساهم في رفعها بيان العطف الذي يتفنن العيني في بيانه والأمثلة كثيرة منها ما جاء في كتاب الوضوء باب: لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن. "حدثنا علي قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا الزهري عن السعيد ابن المسيب، وعن عباد بن تميم عن عمه ... قوله: وعن عباد معطوف على قوله: عن السعيد ابن المسيب لأن الزهري يروي عن السعيد وعباد كليهما، وكلاهما يرويان عن العباد المذكور، قوله عن عمه يتعلق بهما. فإن قلت : وقع في رواية كريمة، عن سعيد ابن المسيب عن عباد بدون واو العطف، قلت: هو غلط قطعا، لأن سعيدا لا رواية له عن عباد أصلا فتنبه لذلك."[2].

ويدقق العيني في بيان عود الضمير رفعا لأي التباس محتمل، وحسما للخلاف ومثال ذلك ما جاء في كتاب الصلاة ، باب: الصلاة على الحصير "حدثنا عبد الله قال: أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)... فيه اختلاف في الضمير الذي في جدته، فقال ابن عبد البر وعبد الحق وعياض: يعود على اسحاق وصححه النووي ويؤيده ما رواه أبو داود: حدثنا مسلم بن غبراهيم، حدثنا المثنى بن سعيد: حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يزور أم سليم، وأم سليم هي أم أنس، وأمها مليكة بنت مالك بن عدي..."[3]. وينوه العيني بأمانة البخاري في النقل عن شيوخه مراعاة لألفاظهم سواء في المتن أم في السند ومثاله ما ورد في كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي (صلى الله عليه وسلم) "حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم، أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة .. إن إسماعيل بن إبراهيم قد ذكره البخاري في باب: حب الرسول من الإيمان. بنسبته إلى أمه حيث قال: حدثنا يعقوب ابن إبراهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز،

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 124.

[2] : نفسه، ج 2 / 356.

[3] : العيني، عمدة القارئ، ج 3 / 337.

وذكره ههنا باسم أبيه، وهذا دليل على كمال ضبط البخاري وأمانته حيث نقل لفظ الشيوخ بعينه، فأداه كما سمعه."[1].

والأمثلة في ذلك كثيرة يشرح فيها العيني السند ويقرأ ما فيه من خصويات، وينبه غلى ما فيه من نكت ولطائف، ويعتني بما يرد في بعض الأسانيد من عبارات يستعملها البخاري، فيفك رموزها، ويرفع غموضها بما أوتي من بعد نظر ونفاذ بصيرة ومن هذه العبارات: "غير كذوب"، "زعم"، "أشهد"، "قال لي"، وغيرها من الصيغ التي تحمل دلالة لم يكشف عنها صاحب الصحيح مما فسح المجال لبعض الشراح قراءات متعددة فاختلفت أقوالهم فيها، فمثلا عبارة "**زعم**" التي يوهم ظاهرها الشك والتردد في صحة النقل، فقد وردت في عدة مواضع منها ما جاء في كتاب صفة الصلاة باب: ما جاء في الثوم النيئ والكراث. " حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب: زعم عطاء أن جابر بن عبد الله زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال... قال الخطابي لم يقل (**زعم**) على وجه التهمة لكنه لما كان أمرا مختلفا فيه أتى بلفظ (**زعم**) ، لأن هذا اللفظ لا يكاد يستعمل إلا في أمر يرتاب فيه، أو يختلف فيه. وقال الكرماني: زعم أي قال، لأن الزعم يستعمل في الأمر المحقق، وفي رواية الأصيلي: عن عطاء وفي رواية لمسلم من وجه آخر: عن ابن وهب حدثني عطاء، وفي رواية أحمد بن صالح الآتية عن جابر ولم يقل زعم.. دلت هذه الروايات أن زعم ههنا بمعنى قال كما ذكره الكرماني."[2]. وبنقل العيني في تفسير هذا اللفظ عن غيره ويوافق الكرماني فيما ذهب إليه، وطريقة اكتشاف المعنى هو ضم الروايات بعضها إلى بعض، وتلك جزئية هامة في المنهج الذي يحاول بعض الشراح البخاري ومنهم العيني إزالة الإبهام الذي تثيره مثل هذه العبارات.

وقد يستعمل البخاري لفظ "**قال لي**" ومن عادته التصريح بالتحديث (**حدثني، حدثنا**) فيما سمعه من شيوخه، ووقد يستعمل في الحديث الواحد الصيغتين معا فبرويه بحدثنا، ويرويه بقال لي والصيغتان عند علماء الحديث مختلفتان فالأقوى"**حدثنا**"وأحط منها"**قال لي**"قال الكرماني:" والفرق بين قال لنا وحدثنا أن القول يستعمل إذا سمع من شيخه في مقام المذاكرة والمحاورة، والتحديث إذا سمع في مقام التحميل والنقل."[3] ففي كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم**﴾ روى البخاري " وقال لي

---

[1] :نفسه، ج 1 / 451.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 4 / 634. وينظر أيضا القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تح محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت،ط1، 1971م، ص505 – 506.

[3] : الكرمتاني، صحيح البخاري شرح الكرماني، ج 6 / 114.

علي بن عبد الله حدثنا يحي بن آدم قال: حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن ابي القاسم عن عبد المالك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس... فيه القول في أول السند، وفي آخره أنه ذكر الحديث عن أبن المديني كذا بغير سماع، فإما أن يكون أخذه من مذاكرة أو عرضا، أو يكون محمد بن أبي القاسم ليس بمرضي عنده ... وقيل: عادته أنه إذا كان في إسناد الحديث أو كان موقوفا يعبر بقوله: قال لي." [1].ويبدو أن العيني ذكر تعليل ابن حجر وعبر عنه بـ **(وقيل)** إشارة إلى أنه لا يؤيد هذا الرأي وقد ذكره ابن حجر في الفتح وأن البخاري حين " يعبر بقوله **(وقال لي)** في الأحاديث التي سمعها، لكن حيث يكون في إسنادها عنده نظر، أو حيث تكون موقوفة، وأما من زعم أنه يعبر بها فيما أخذه في المذاكرة أو بالمناولة فليس عليه دليل."[2].

ويقف العيني عند رواة الحديث وقفة العارف بأحوالهم مستثمرا حسه التاريخي، وثقافته النقدية فيتتبع أسماء الرواة بالضبط والتعريف حتى إن جهده لو جمع في كتاب لأصبح يضاهي كتب التراجم التي اهتمت بعلم الرجال، فلا يخفى ما للبدر من طول باع في علوم التاريخ، وبراعة في علم الحديث. فاهتم بالألقاب والكنى والأنساب وأزال الغموض والمتشابه فيها، وقد ازدحمت الأجزاء الأولى بمادة ضخمة ولكننا نراه لجأ إلى الاختصار في أواخر الكتاب. ففي ضبط الأسماء قيل الكثير لخطورة هذا الفن في ضبط المرويات وتحقيق النصوص والتدقيق في المنقولات فقد " روى عن مجاهد بن موسى قال: أتيت خالد بن القاسم المدائني فحدث فقال: حدثني ليث بن سعد عن محمد بن يحي بن حبان فقلت حبان فقال حبان وحبان شيء واحد فقمت وتركته."[3]. وكأنه أنزعج من مجلس لا تضبط فيه أسماء الرجال، فقام وغادر المكان مغاضبا، وقال أبو إسحاق النجيري: " أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس، لأنه لا يدخله القياس ولا قبله ولا بعده شيء يدل عليه."[4]. ويسلك العيني مسلك علماء التراجم في الضبط والتدقيق إلا أنه تفوق باستطرادات لغوية في بعض الأحيان، فكان يضبط حروف الإسم ومثال ذلك إسم كريب: "بضم الكاف وفتح الراء،وسكون الياء آخر الحروف، وفي آخره باء موحدة."[5] وإذا اختلف في حركات الإسم فإنه يشير إلى

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 10 /72.

[2] : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 5 / 515.

[3] : الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري تصحيفات المحدثين، تح محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية ، القاهرة، ط 1، 1402هـ،

[4] : طاهر الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تح عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1996م، ص 352.

[5] : العيني، عمدة القارئ، ج 2 / 251.

ذلك سواء اختلاف اللغات أو الشراح كاسم سمرة " وقال الغساني بسكون الميم تخفيفا .. وهي لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يقولون بضمها."[1].

ويستغل العيني درايته بالتصريف في ضبط الأسماء لبيان شكله وأصله فيدقق في اسم الراوي على ضوء الصيغ والأبنية، وهو ما لا يوجد عند غيره، والأمثلة على ذلك موفورة منها: " محمد بن مقاتل بصيغة الفاعل من المقاتلة."[2] و " محمد بن المنكدر بوزن اسم الفاعل من الانكدار"[3] و" مخول بلفظ اسم المفعول من التخويل."[4] و " زيد بن أسلم على وزن أفعل التفضيل."[5]. وكان العيني يجتهد في بيان الاسم الذي جاء جاء على صورة النسبة ولا يقصد بها كذلك مثل: المكي والحرمي والأعرابي يقول: " ولفظ المكي اسمه على صورة النسبة وليس بمنسوب إلى مكة، وهو من أهل بلخ."[6]. وقوله " الحرمي بن عمارة ليس هو بمنسوب إلى الحرم أصلا لأنه بصري الأصل والمنشأ والمسكن والولادة."[7] وقوله: "عوف بن أبي جميلة المعروف بالأعرابي، وليس بأعرابي."[8].

كما يستطرد العيني في بيان ما يتصرف من الأسماء وما لا يتصرف، ويجتهد في بيان سبب المنع من الصرف مفصلا في الأصل والاشتقاق والأوزان مثل اسم "**حيان**" فيقول: " وحيان إن أخذ من الحين ينصرف، وإن أخذ من الحياة لا ينصرف."[9] وفي "**أبان**"قال: " **أبان** وزنه فعال كغزال، فعلى هذا فهو منصرف، والهمزة فاء الكلمة أصلية والألف زائدة، وهو الصحيح المشهور، وقول الأكثرين."[10].

ويسهب في بيان الأسماء الأعجمية والتي توارد ذكرها في صحيح البخاري ويفصل في أصلها ومعناها من التصريف كما فعل ذلك في إسم "**يوسف**"[11] فذكر الخلاف في أن هذا الاسم أصله عبراني أو عربي ورجح

---

[1] : نفسه، ج 3 / 181.
[2] : نفسه، ج 2 / 40.
[3] : نفسه، ج 4 / 170.
[4] : نفسه، ج 3 /20.
[5] :: نفسه، ج 6 / 579.
[6] : نفسه، ج 7 / 234.
[7] : نفسه، ج 1 / 270.
[8] : نفسه، ج 11 / 134.
[9] : نفسه، ج 1 /306.
[10] : نفسه، ج 1 / 385.
[11] : نفسه ، ج 1 / 69 – 70.

عجمته، مشيرا إلى أن فيه ثلاث لغات: ضم السين وكسرها وفتحها، كما اعترض على من حكم بعربيته بحجة اشتقاقه من الأسف وهو الحزن، والأسيف هو العبد وقد اجتمعا في يوسف، ورده على اعتبار أن يعقوب حين سماه كذلك لم يلاحظ هذا المعنى، والصحيح أن يوسف عبراني وهو جميل الوجه في لغتهم، ولكن هذه التفاصيل تخبو في الأجزاء الأخيرة فيكتفي بذكر معنى الاسم إما معناه المعجمي أو مرادفه أو بضده ومثال ذلك" ربعي بن حراش جمع الحرش وهو الأثر."[1] و " أبو الغيث مرادف المطر"[2]و "ابن أبي كثير كثير ضد القليل"[3].

ومن منهج العيني في العناية بالأسماء عنايته بالكنى والأنساب والألقاب فقد تختلط الأسماء بالكنى وتزدحم الألقاب وتتشابه فلم يمر العيني على هذا الموضوع الخطير مرور الكرام، ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك "**أبو عوانة**" وهو " اسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري."[4] و" سليم بن الأسود أبو الشعثاء، وشهر بكنية أكثر من إسمه."[5] وفي الألقاب مثلا "**الأعرج**" " وهو أبو داود عبد الرحمان بن هرمز."[6] وأحيانا يبين يبين معنى اللقب وسببه نحو "**غندر**" وهو " محمد بن جعفر المعروف بغندر لقب له، لقب به ابن جريج لما قدم البصرة وحدث عن الحسن، فجعل محمد بن يكثر التشغيب عليه، فقال: أسكت يا غندر، وأهل الحجاز يسمون المشغب غندرا."[7].

واهتم العيني ببيان أسباب الرواة، حيث أفرد لها عنوانا خاصا عند التفصيل في رجال الحديث، فوقف عند أنواع النسبة سواء كانت لبلد أو قبيلة أو صنعة، كما بين المنسبين إلى غير آبائهم كمن نسب إلى أمه، ويذكر الاختلاف في النسب يرجح ما يراه قويا مستخدما في ذلك معرفته بالبلدان والأوطان ومن الأمثلة على ذلك :" الصلت بن محمد الخاركي البصري ونسبته إلى خارك بالخاء المعجمة والراء والكاف، وهو من سواحل البصرة."[8] وذكر العيني "**القرشي**" و "**الأنصاري**" في النسبة إلى القبيلة، وفي النسبة غلى الصنعة ذكر

---

[1] : نفسه، ج 2 / 208.

[2] : نفسه، ج 10 / 51.

[3] : نفسه، ج 2 / 133.

[4] : نسه، ج 1 / 194.

[5] نفسه، ج 2 / 473.

[6] : نفسه، ج 225.

[7] : نفسه، ج 1 /318.

[8] : العيني، مدة القارئ، ج 3 / 354.

ذكر " **أبو الصالح الزيات**."[1] وهو السمان الزيات المدني، كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة. ومن النسبة إلى أمهاتهم كثير منهم " **ابن علية** بضم العين المهملة وفتح اللام وتشديد الياء آخر الحروف وهو إسماعيل وعلية أمه، وأبوه إبراهيم بن سهل بن مقسم البصري الأسدي."[2] ودقق في بعض النسب رفعا للغموض نحو " أحمد بن عيسى التستري مصري الأصل، ولكنه كان يتجر إلى تستر فنسب إليها."[3].

وكان من أهم ما ميز منهج العيني في تمحيص الرواة بيان المهمل والمبهم من الأسماء ومثاله في الأول: حدثنا محمد دون تمييز لأن هذا الاسم أكثر من أن يحصى في كتب السنة وهو في البخاري بأعداد هائلة فقد روى البخاري " حدثنا محمد قال: أخبرنا أو تميلة يحي في واضح عن فليح بن سليمان عن سعيد ابن الحارث عن جابر..محمد كذا وقع للأكثرين غير منسوب، وفي رواية أبي علي بن السكن حدثنا محمد بن سلام، وكذا للحفصي، وجزم به الكلاباذي، وكذا ذكره أبو الفضل بن طاهر، وكذا الكرماني في شرحه، وذكر في أطراف خلف أنه وجد حاشية هو محمد بن مقاتل."[4].ومثال الثاني: "حدثنا مسدد حدثنا حماد عن الزبير بن عربي قال: سأل رجل ابن عمر... الرجل مجهول ظاهرا، ولكن هو الزبير بن عربي الراوي، كذا وقع في رواية ابن داود الطيالسي عن حماد، حدثنا الزبير، سألت ابن عمر."[5]. ولكن السؤال الذي يثير التعجب: لماذا يفعل البخاري ذلك في بعض رواته فيروي عن محمد أو أحمد أو عبد الله وفلان دون بيان ويترك ذلك لتنافس الشراح واختلافاتهم ؟ ولكن ذكر بعضهم أن هذا مما أخذ على البخاري وانتقد فيه من طرف كثيرين لم يجدوا مبررا لهذا الإبهام أو ذاك الإهمال، واللافت للنظر أن العلماء قد تفننوا في ابتكار طرق يزال بها هذا الإشكال، ولا يسع المقام للتفصيل في هذه الطرق.

وكان اعتناء العيني بتواريخ الرواة وطبقاتهم بأحوالهم غاية في الدقة، وآية في الشمول، فقد شاع في كتاب النفيس عند ترجمته لرواة البخاري ذكر تاريخ ولادتهم و وفاتهم حتى أنه انفرد عن غيره ببعض التوسع حول استشهاد فلان أو مقتل فلان والأمثلة لا تحصى ومنها: ما ذكره العيني عن شيخ البخاري "عبد الله بن يوسف" " مات بمصر سنة ثمان عشرة و مائتين، قال البخاري: لقيته بمصر سنة سبع عشرة ومائتين."[6] وميز

---

[1] : نفسه، ج 1 / 194.

[2] : نفسه، ج 1 / 224.

[3] : نفسه، ج 6 / 151.

[4] : نفسه ج 5 / 205.

[5] : نفسه ج 7 / 187، وينظر سليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج 1 / 254.

[6] : نفسه، ج 1 / 69.

وميز البدر بين طبقات الرواة فبدأ بطبقة الصحابة فبين أحوالهم وأفاض في ذكر مناقبهم ومروياتهم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ما بين مكثرهم في الرواية ومقلهم، وتحدث عن صغارهم وكبارهم قال ابن الصلاح في بيان الطبقات " والباحث الناظر في هذا الفن يحتاج إلى معرفة المواليد والوفيات، ومن أخذوا عنه ومن أخذ عنهم، ورب شخصين يكونان من طبقة واحدة لتشابههما بالنسبة إلى جهة، ومن طبقتين بالنسبة إلى جهة أخرى لا يتشابهان فيها ... فالصحابة بأسرهم طبقة أولى والتابعون طبقة ثانية، وأتباع التابعين طبقة ثالثة، وهلم جرا."[1]. وكان يحرص على بيان المختلف في صحبته، وتحديد الراوي وإلى أي طبقة من الطبقات ينتمي، حيث أنه يهتم أحيانا بذكر القرابة التي تربط الرواة بعضهم ببعض، ورواية الأقران أو الكبار عن الصغار ومثال ذلك رواية صالح بن كيسان عن الزهري قال فيها العيني "فيه رواية الأكابر عن الصغار فإن صالحا ابن كيسان أكبرسنا من الزهري."[2].ويعتني بذكر رواية الابن عن أبيه والعكس والإبن عن جده، والبنت عن الأم، والرجل عن عمه أو خاله وغيرها من القرابات نحو: " وأم إبراهيم بن يزيد النخعي مليكة ابنة يزيد، وهي أخت الأسود وعبد الرحمان ابن يزيد."[3].

وقد تولى العيني كغيره من الشارحين للبخاري بيان الرواة وأحوالهم خاصة الذين تكلم فيهم أو وصفوا بأوصاف توحي بجرح أو طعن في عدالتهم، وأحصى ابن حجر في مقدمته[4] جميع الرواة الذين طعن فيهم وأجاب عن جميع الاعتراضات، وأما العيني فكان يفعل ذلك عند شرحه للحديث وقد اعتمد في ذلك على أقوال أئمة الجرح والتعديل، وأصحاب التصانيف في علم الرجال وما أكثرهم.هذه وقفة سريعة موجزة حول أهم القضايا الإسنادية التي تميط اللثام عن منهج العيني في دراسة الإسناد، وبقيت قضايا كثيرة تفصيلية لا يسع المقام لذكرها وحسبي هذا القدر الذي يسهم في إيضاح معالم هذا المنهج.

ب .منهج العيني في دراسة المتن :

[1] : ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 399.

[2] : العيني،ة القارئ، ج 6 / 249.

[3] : نفسه، / 320، وينظر أيضا ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1984، ج 3 / 125.

[4] : ابن حجر العسقلاني، هدي الساري، ص 544 وما بعدها (فصلا مطولا)

لم يقل اهتمام العيني بدراسة متون الأحاديث عن عنايته الفائقة بدراسة دقائق الأسانيد، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة يمكن أن تساهم في بيان المعاني، وإيضاح الدلالات إلا وأعطاها ما تستحق من التحليل والتفصيل، ولا أريد هنا أيضا أن أحيط بجميع التفاصيل، كما فعلته من قبل مع السند ولكن غرضي أن أتقدم أهم القضايا المتعلقة بشرح المتون والتي تساهم في إجلاء منهج العيني في دراستها، وقد أشرت فيما سبق إلى التبويب الذي رسمه العيني وسار عليه في الشرح والذي كان من شقين أساسين: شق اهتم بسلسلة الرواة (السند) ، وشق اهتم فيه باستخراج المعاني واستنباط الأحكام (المتن) وكان من منهجه في دراسة الشق الثاني الوقوف عند عدد من القضايا أحاول أن أختصر منها الأهم والمطرد الذي شاع في أغلب أجزاء الشرح.

ومن أول ما أهتم به العيني بيان التراجم ومناسباتها حيث قدم على شرح الحديث كلاما وافيا عن عناوين الكتب والأبواب وما تحتويه من معان ظاهرة أو خفية، وعلاقة الأبواب مع بعضها، ولم ينفرد البخاري بدراسة التراجم في صحيح البخاري، فقد تولى شرحها وفك رموزها عدد من أهل العلم الذين أفردوا لها تصانيف خاصة وقد ذكرت بعضها في الفصل الأول، هذه التراجم التي قال عنها ابن حجر في مقدمته[1] أنها حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، ولقد اغتنى كتاب العمدة بلفتات ولطائف وتأويلات دقيقة للتراجم تبين مناسبة كل حديث لبابه، ومناسبات الكتب، ومناسبات الأبواب لبعضها في كثير من المواضع، ففي مناسبة الكتب قال: " وكما كان باب: كيف بدء الوحي كالمقدمة في أول الجامع لم يذكره بالكتاب بل ذكر بالباب، ثم شرع بذكر الكتب على طريقة أبواب الفقه، وقدم كتاب الإيمان لأنه ملاك الأمر كله، إذ الباقي مبنى عليه مشروط به، وبه النجاة في الدارين، ثم أعقبه بكتاب العلم لأن مدار الكتب التي تأتي بعده كلها عليه، وبه تعلم وتميز وتفصل، وإنما أخره عن الإيمان لأن الإيمان أول واجب على المكلف، أو لأنه أفضل الأمور على الإطلاق وأشرفها... فإن قلت: فلم قدم بابا الوحي ؟ قلت: قد ذكرت أن باب الوحي كالمقدمة في أول الجامع ومن شأنها أن تكون أمام المقصود..ثم ذكر بعد ذلك كتاب الصلاة لأنها تالية الإيمان، وثانيته في الكتاب والسنة، ولأنها عماد الدين .. ثم أعقبها بالزكاة لأنها ثالثة الإيمان وثانية الصلاة فيهما ولاعتناء الشارع بها لذكرها أكثر من الصوم والحج في الكتاب والسنة، ثم أعقبها بالحج لأن العبادة إما بدنية محضة أو مالية محضة أو مركبة منهما فرتبها على هذا الترتيب...ثم أعقب الحج

[1] : نفسه،14.

بالصوم لكونه مذكورا في الحديث المشهور مع الأربعة المذكورة."[1] لم يلتزم العيني ببيان مناسبات الكتب كلها، فقد قل الحديث عنها بعد الأجزاء الأولى إلى غاية الجزء التاسع، ولم يشر إليها إلا نادرا جدا.

كما اعتنى ببيان مناسبة الأبواب المتوالية، ولم ينتشر كثيرا في الشرح ومثاله بيان المناسبة بين باب: "حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان"، وباب: "حلاوة الإيمان" فقال: " وجه المناسبة بين البابين من حيث أن الباب الأول مشتمل على أن كمال الإيمان إلا إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من سائر الخلق، وهذا باب يبين أن ذلك من جملة حلاوة الإيمان، ولأن هذا الباب مشتمل على ثلاثة أشياء والباب الذي قبله جزء من هذه الثلاثة، وهذا أقوى وجوه المناسبة."[2] وبذكر العيني كذلك وجه المناسبة بين الحديثين في الباب الواحد ولم يوجد إلا في مواضيع قليلة جدا، وقد تفرد به ولم يسقم له لأنه قد يفضي إلى التكلف لذلك تركه واعتنى بمناسبة الحديث لبابه، وقال في ذلك: " والمقصود وجود المناسبة بين الترجمة وحديث الباب لا وجود للمناسبة بين الحديثين."[3]. ومثال ذلك حديث الحارث بن هشام، سأل رسول الله: ﴿ **يا رسول الله كيف يأتيك الوحي**.. ﴾ بعد حديث: ﴿ **إنما الأعمال بالنيات**.. ﴾ قال: ".. قدم حديث الأعمال بالنيات تنبيها على أنه قصد من تصنيف هذا الجامع التقرب إلى الله تعالى، فإن الأعمال بالنيات، وأيضا فأنه مشتمل على الهجرة، وكانت مقدمة النبوة في حقه عليه الصلاة والسلام هجرته إلى الله تعالى وإلى الخلوة بمناجاته في غار حراء."[4] .

ولكن المناسبات التي حضيت بعناية العيني وغيره ممن ألفوا في تراجم البخاري ومنهم الإمام الدهلوي والإمام ابن جماعة وغيرهما وهي مناسبة الحديث بترجمة الباب، وقد قسموها إلى نوعين، فكان منها الظاهر الذي لا يحتاج إلى كثر عناء في بيانه، وكان منها الخفي الذي يحتاج إلى إعمال العقل لاكتشافه واستنباطه، ومثال ذلك: باب "الدين يسر" وفيه حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه...﴾ قال العيني: "مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وهي أنه أخذ جزءا منه وبوب عليه."[5] ومنها أيضا في باب:"الوضوء من النوم" من كتاب الوضوء قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله

---

[1] : العيني، القارئ، ج 1 / 162.

[2] : نفسه، / 220.

[3] : المصدر السابق ، ج 4 / 408.

[4] : نفسه، ج 69/1.

[5] : العيني، عمدة القارئ،، ج 1/ 349.

يستغفر فيسب نفسه.﴾ أوضح العيني المناسبة استنباطا من المعنى فقال: "مطابقة هذا الحديث والذي بعده للترجمة تفهم من معنى الحديث، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما أوجب قطع الصلاة، وأمر بالرقاد دل ذلك على أنه كان مستغرقا في النوم، فإنه علل ذلك بقوله: (فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري..) وفهم من ذلك أنه إذا كان النعاس أقل من ذلك ولم يغلب عليه فإنه معفو عنه ولا وضوء فيه."[1] وأحيانا يورد العيني بعض المناسبات التي ذكرها غيره ويوافق عليها، وأحيانا يناقش بعضها ويعترض عليه ويرجح ما يطمئن إليه والأمثلة كثيرة، وقد يدافع عن تراجم البخاري وقد يعترض عليه ويعقب بأن الحديث لا يطابق الترجمة في شيء.

وفي شرح المتون وبيان معانيها، واستخراج فوائدها يعمل العيني منهجا ظهرت فيه عين اللغوي الفاحص وحس الفقيه المحقق، وبما امتاز به من نفس طويل في بيان المعاني للمفردات ومقاصدها وذلك من خلال عناوينه التي اختارها لهذا الفرض وهي تتجلى في عنوانين: "بيان اللغات" و"بيان المعاني" فيتناول المفردات بالشرح اللغوي الموسع متبعا طريقة المعجميين باستقراء أقوالهم والموازنة فيما بينها. ومنهج العيني في التحليل اللغوي قائم على أمور منها:

الأول: تفسير الحديث بالقرآن حيث استعان في شرحه للألفاظ بآيات من القرآن لتقريب المعنى ومثاله حديث " ﴿**إنتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا الإيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة..**﴾ قوله (**انتدب الله**) أي سارع بثوابه وحسن جزائه، وقيل: أجاب وقيل: تكفل، وقال ابن بطال، أوجب وتفضل، أي حقق وأحكم، أي ينجز ذلك لمن أخلص، قلت: كأنه يريد ما وعده بقوله تعالى: ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**﴾."[2]

الثاني: تفسير الحديث بالحديث وقد سلك العيني في ذلك طرقا شتى ومنها: إيراد الروايات المختلفة للحديث المشروح إذ الأحاديث يفسر بعضها بعضا ببيان المجمل أو توضيح المشكل، مما كان محط عناية العيني وكان خطه من ذلك وافرا، وعلمه بالروايات الواردة واسعا ومثال ذلك حديث المعرور بن سويد قال "﴿ **لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلا فعيرته بأمه**... ﴾ قوله (فعيرته بأمه): فإن قلت: ما كان تعييره بأمه ؟ قلت: عيره بسواد أمه على ما جاء

[1] : نفسه، ج 1 / 586.

[2] : نفسه، ج 1 / 339 – 341.

في رواية أخرى، قلت له: يا ابن السوداء. وفي روايته في الأدب: وكانت أمه أعجمية فنلت منها والأعجمي من لا يفصح باللسان العربي سواء كان عربيا أو عجميا."[1].

الثالث: بيان سبب ورود الحديث لبيان المعنى كحديث ابن عباس قال: ﴿ **ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:اللهم علمه الكتاب.**﴾ .. فإن قلت: ما سبب هذا الدعاء لابن عباس ؟ قلت: بين ذلك البخاري ومسلم في الرواية الأخرى عن ابن عباس قال: دخل النبي عليه الصلاة والسلام الخلاء فوضعت له وضوءا، زاد مسلم (فلما خرج) ثم اتفقا.قال: (من وضع هذا ؟ فأخبر) ولمسلم: (قالوا: ابن عباس.) وفي رواية أحمد وابن حبان من طريق سعيد بن جبير عنه أن ميمونة هي التي أخبرته بذلك."[2].

الرابع : قد يقارن بين ألفاظ الروايات بما يخدم المعنى ويلجأ كثيرا إلى إيراد روايات غير البخاري ومسلم ليغنى اللفظ بدلالات جديدة ومثاله حديث عائشة في باب "بدء الوحي" قالت: ﴿ **أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم**...﴾قوله (**الصالحة**) وفي صحيح مسلم (**الصادقة**)، وكذلك في رواة البخاري في كتاب التعبير أيضا، ووقع هنا أيضا (**الصادقة**) في رواية معمر بن يونس، وكذا ساقه الشيخ قطب الدين في شرحه، ومعناهما واحد وهي التي لم يسلط عليه فيها ضغث ولا تلبس شيطان.."[3].

ومن منهج العيني في شرح المتون تفسيره أسماء الأعلام والأماكن والقبائل الواردة فيها، ويزيل ما قد يعتيرها من إبهام أو اشتباه، مستعينا في ذلك بما روى من طرق الحديث الواحد في صحيح البخاري أو في غيره ومثال ذلك حديث جابر بن عبد الله في كتاب الجمعة، باب "إذا رأى الإمام رجلا جاء وهو يخطب". ﴿**جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس** ...﴾ قوله: (**جاء رجل**) هذا الرجل هو سليك بضم السين المهملة وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفي آخره كاف، ابن هدية الغطفاني..وكذا وقع في رواية مسلم:﴿**جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله قائم على المنبر..** ﴾."[4] وقد

---

[1] : نفسه، ج 1 / 306 – 310.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 2 /94.

[3] : نفسه، ج 1 / 93 – 94.

[4] :نفسه، ج 5 / 100 والحديث ينظر أيضا في أبي داود سليمان بن الأشعث السحستاني، سنن أبي داود، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، (د.ت)، ج 1 / 291 وينظر ابن ماجة محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، سنن ابن ماجة، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (د.ت) ج 3 / 353 وينظر أيضا أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمان السلمى النسائي، السنن الكبرى، تح عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، ط 2 1986، ج 1 / 183.

تختلف في تحديد الاسم المبهم فيورد الأقوال من غير ترجيح، وأحيانا يرجح ويقوي ما يراه صوابا بحسب ما توفر لديه من الأدلة ففي كتاب الصلاة، باب "**الصلاة من الإيمان**" حديث البراء بن مالك ﴿..**فخرج رجل ممن صلى معه**...﴾قوله : (**فخرج رجل**) وهو عباد بن نهيك بفتح النون وكسر الهاء بن اساف الخطمي.. قاله ابن عبد البر، وقال ابن بشكوال: هو عباد بن بشير الأشهلي ذكره الفاكهي في أخبار مكة عن خويلد بنت أسلم وكانت من المبايعات، وفيه قول ثالث: إنه عباد بن وهب رضي الله عنه."[1] .وأحيانا يستطرد في ذكر بعض الوقائع التاريخية المحيطة بالمذكور بعد ضبط اسمه ونسبه كما نقل مع خديجة بنت خويلد وورقة بن نوفل، وكسرى وغيرهم.

ومما فعله العيني في الإحاطة بألفاظ الحديث اهتمامه بأسماء القبائل مستعينا دائما بثقافته الواسعة ومثاله ما روى في كتاب: مواقيت الصلاة باب: "تضييع الصلاة عن وقتها"، حديث الزهري يقول: ﴿**دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي** ... ﴾قوله :(**بدمشق**) بكسر الدال المهملة، وفتح الميم بعدها شين معجمة ساكنة، وزعم الكلبي في كتاب أسماء البلدان إنما سميت بذلك لأنه بناها دماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح .. وقال أهل الأثر: سميت بدماشق بن نمرود بن كنعان، وهو الذي بناها وكان مع إبراهيم .. كان دفعه النمرود إليه بعد أن نجاه الله من النار، وعن إسحاق بن أيوب: الشيطان الذي بناها كان اسمه جيرون وكان من أبناء سليمان .. وقال ابن عساكر قيل: إن نوحا اختطها، وقيل بناها العازر، واسمه دمشق بن إبراهيم، وكان حبشيا وهبه له نمرود .. وقال: هي إرم ذات العماد .. وقال أهل اللغة اشتقاق دمشق من قولهم: ناقة دمشق اللحم إذا كانت خفيفة اللحم والدمشقة الخفة."[2] وقال عن لفظ البصرة " بتليث الباء ثلاث لغات، وذكرها الأزهري، والمشهور الفتح، وحكى الخليل فيها ثلاث لغات أخرى: البصرة والبصرة والبصرة، الأولى بسكون الصاد، والثانية بفتحها، والثالثة بكسرها، وقال السمعاني: يقال لها قبة الإسلام وخزانة العرب بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر،ولم يعبد الضم قط في أرضها، وكان بناؤها في سنة سبع عشرة، وطولها فرسخان في فرسخ، وقال الرشاطي: البصرة في العراق، والبصرة أيضا مدينة في المغرب بقرب طنجة وهي الآن خراب، والبصرة هي الحجارة الرخوة تضرب في البياض، وسميت

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 364.

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 4 / 24 – 25.

البصرة بهذا لأن أرضها حجارة."[1] انظر إلى هذه التفاصيل الدقيقة في الإحالة بمثل هذه الأماكن والتي من المؤكد أنها تعين على فهم المعاني واستنباط الأحكام، وبغض النظر عن صحة بعض الأخبار.

ومن منهج العيني في دراسة المتون عنايته باستنباط الفوائد الفقهية والأحكام العملمية، وهي فوائد ثمينة قد لا توجد عند غيره من الشارحين، واستنباطاته الدقيقة جاءت تحت عناوين مختلفة وهي: "الأسئلة والأجوبة" أو "استنباط الأحكام" أو" ما يستفاد من الحديث". وبالنظر إلى منهج العيني في شرح الأحاديث نجده لا يعاملها بنفس الأسلوب وذلك إذا كانت الأحاديث في مسائل العقيدة والأخلاق والآداب مثلا اجتهد ليستخرج منها الفوائد والإرشادات مبينا مكانتها وأهميتها، وإن كانت الأحاديث تتعلق بالأحكام العملية كأن تكون في أبواب الفقه المعروفة في العبادات أو المعاملات والتي اصطلح على تسميتها "بأحاديث الأحكام" فإننا نرى العيني يتفنن في استنباط القضايا الفقهية التي تهم المكلفين مستطردا في ذكر المذاهب مستعرضا أدلتها، وبما أن العيني حنفي المذهب كما أسلفت فإنه لا يتردد في بسط مسائل المذهب مدافعا ومرجحا في أحيان كثيرة وهو بهذا المنهج يفرق بين "فوائد الحديث" و"فقه الحديث" بأسلوبه التعليمي المعهود الذي تميز فيه بإثارة التساؤلات لتكون أجوبته هي الأحكام المستنبطة من النصوص وذلك حين يستخدم باستمرار عبارة "**فإن قلت**...؟ **قلت**..."أو قوله "**ما قيل**..**قلت**.." ولا يخفى ما في هذا الأسلوب العلمي التعليمي من أهمية في تحليل المعاني، وجلب انتباه المتلقي وإثارة حسه كي ينتبه إلى المعاني الدقيقة والأسرار الكامنة دون الإكتفاء بـ ظاهر العبارة والإنشغال بها وسأكتفي بمثال واحد لا أذكره بنصه لطوله ولكن أوجز منه المراد، وهو حديث عائشة في كتاب الوحي أنها قالت: ﴿ **أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم**...﴾ الحديث، فقد ذكر فيه 16 سؤالا وأجاب عنها تفصيلا، ثم استنبط منه 13 حكما، وسأذكر نص الأسئلة التي أثارها فقط لنكون فكرة عن طبيعتها ونوعيتها ودورها في صناعة المعنى وصياغة الدلالة وكانت أسئلته كالآتي: "1- ما قيل: لم ابتدئ عليه السلام بالرؤيا أولا.. ؟ 2- ماقيل:ما حقيقة الرؤيا الصادقة ؟..3- ماقيل:لم حبب إليه الخلوة ؟.. 4- ماقيل:إن عبادته عليه السلام قبل البعث هل كانت شريعة أحد أم لا ؟ ..5- ما:قيل: ما كان صفة تفيده ؟.. 6- هل كلف النبي بعد النبوة بشرع أحد من الأنبياء؟.. 7- ما قيل: متى كان نزول الملك عليه؟.. 8- ما قيل: ما الحكمة من غطه ثلاثة مرات ؟.. 9- ما قيل: ما الحكمة فيه من رواية ابن إسحاق أن الغط كان في النوم؟.. 10- ما قيل: ما الخشية التي خشيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:

[1] : نفسه ج4 / 511.

لقد خشيت على نفسي؟.. 11- ما قيل: من أين علم رسول الله أن الجائي إليه جبريل لا الشيطان ؟.. وبم عرف أنه حق لا باطل ؟.. 12- ما قيل: ما الحكمة من فتور الوحي مدة ؟ .. 13- ما قيل: ما كان مدة الفترة ؟.. 14- ما قيل: ما الحكمة من تخصيصه عليه السلام التعبد بحراء من بين سائر الجبال؟ ..15- ما قيل: إن قوله (ثم لم يشب ورقة أن توفى) يعارضه ما روى في سيرة ابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب لما أسلم؟.. 16- ما قيل: ما وجه تخصيص ورقة بن نوفل ناموس النبي بالناموس الذي أنزل على موسى دون سائر الأنبياء مع أن لكل نبي ناموسا ؟.."[1]. وقد فصل العيني فبي الإجابة عن هذه التساؤلات بأجوبة فيها من التفريع الذكي والوجوه الدقيقة المحتملة والتي تعطي رؤية شاملة للحديث تستوعب أهم المسائل الفرعية التي يمكن استنباطها وبناء الأحكام عليها وذلك بلغة سهلة، وأسلوب سلس قد بلغ غايته في الإحكام.

4. منهج العيني في دراسة اللهجات واللغات :

ومن القضايا التي أغنى بها العيني شرحه لصحيح البخاري عنايته الشديدة باللهجات كلما انفسح له المجال، وراق له الأمر مستعينا في ذلك بأشهر كتب المعاجم العربية التي توفرت لديه، واللهجات كما هو معروف مباحثها مبثوثة في كتب اللغة والأدب والتفسير والقراءات القرآنية، فضلا عن كتب الحديث والأثر والتاريخ والنحو والصرف. وقد نهل منها العيني أوفر الحظ والنصيب وظهر إطلاعه وعلمه باللهجات اطلاعا واسعا، حتى اعتبر كتابه "العمدة" مصدرا غنيا من مصادر اللهجات العربية لاشتماله على كم هائل من الألفاظ التي وقف العيني على وجوهها المتعددة في لغات العرب وقبائلها المختلفة، ولا يخفى ما لهذا المبحث المهم من فوائد جمة في اكتشاف التغيرات اللغوية على المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي، فضلا عن خدمة النص النبوي وإظهار الفصاحة النبوية، وما نلاحظه على العيني إيثاره في الاستعمال للفظ "**لغة**" على "**لهجة**" أسوة بغيره من علماء العربية، ولا أريد الخوض في تفاصيل الفروق بين اللهجة واللغة بيد أن المفهوم العلمي الحديث لمصطلح اللهجات أنها "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضها ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1/ 104 – 105 – 106.

اللهجات."[1]. وقد تعددت مسالك البحث اللهجي عند الإمام العيني ولا يمكن الإحاطة بكل التفاصيل، ولعل ابن فارس أجمل هذه الوجوه اللهجية فقال: "اختلاف لغات العرب من وجدوه أحدها: الاختلاف في الحركات نحو : نستعين ونستعين بفتح النون وكسرها. والوجه الثاني: الاختلاف في الحركة والسكون نحو: معكم ومعكم، ووجه آخر وهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو أولئك وأولالك ومنها قولهم: أن زيدا وعن زيدا ومن ذلك الاختلاف في الهمز والتليين نحو: مستهزؤون ومستهزون، ومنها الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: صاعقة وصاقعة، ومنها الاختلاف في الحذف والإثبات نحو: استحييت واستحيت ومنها الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفا معتلا نحو: أما زيدٌ وأيْما زيدٌ، ومنها الإختلاف في الإمالة والتفخيم مثل: قضى ورمى، فبعضهم يفخم وبعضهم يميل، ومنها الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله: فمنهم من يكسر الأول، ومنهم من يضم نحو: اشتروا."[2] وفي كتاب العيني ظواهر لهجية لا حصر لها ومنها ما ورد في كتاب الجنائز باب "موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله لفظ "**الأجداث**" قوله: " والأجداث جمع جدث وهو القبر وقد قالوا: جدف بالفاء موضع الثاء المثلثة إلا أنهم لم يقولوا في الجمع أجداف بالفاء وأشار بهذا إلى أن المراد من الأجداث في الآية: القبور..وفي المخصص قال الفارسي: اشتقاق الجدف بالفاء من التجديف وهو كفر النعم، وفي الصحاح: الجدث القبر والجمع أجدث وأجداث ، وقال ابن جني: وأجدث موضع، وقد نفى سيبويه أن يكون أفعل من أبنيه الواحد، فيجب أن يعد هذا مما فاته، إلا أن، يكون جمع الجدث الذي هو القبر على أجدث، ثم سمي به الموضع، وفي المحجاز لأبي عبيد: بالثاء لغة أهل العالية، وأهل نجد يقولون جدف بالفاء."[3]. ومثلها "**سخب وصخب**"[4] بالسين وبالصاد، وقد يختلف المعنى للفظ الواحد من قبيلة إلى أخرى ومثاله ما ورد في كتاب الإيمان: "باب دعاؤكم إيمانكم" لفظ (**الصوم**) " قوله ﴿**وصوم رمضان**﴾ الصوم في اللغة الإمساك عن الطعام..وصام النهار إذا قام قائم الظهيرة واعتدل، والصوم ركود الريح، والصوم السكون، والصوم شجر في لغة هذيل.. "[5]

[1] : إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطبعة لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2 ، 1952م، ص 13.

[2] : أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1963م، ص 52.

[3] : العيني، عمدة القارئ، ج 6 /256، وينظر أبو عبيد معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) ج 2 / 163.

[4] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 140.

[5] : نفسه، ج 1 / 188.

ولا يفوت العيني أن يحدد أنواع التغير الطارئ على اللهجات فقد يكون مرده إلى تباين البنية الصرفية في الأفعال أو في المصادر، وقد يكون على المستوى النحوي فمثاله في الأول (**هلك يهلك**) قال العيني: "هلك الشيء يهلك بالكسر..وهلك يهلك مثال: شرك يشرك لغة فيه."[1]وفي بيان مصدر (**رضع**) قال العيني: "رضع الصبي أمه رضاعا، مثل سمع يسمع سماعا، وأهل نجد يقولون: رضع يرضع رضعاً، مثال: ضرب يضرب ضرباً، وكذلك الرضاع والرضاعة."[2]. وفي بيان المستوى النحوي لفظ (**يغزونا**) قال: " ويروى: لا يغزونا بإسقاط نون الجمع بدون ناصب ولا جازم، وهي لغة فاشية عند العرب."[3]. وإذا كثرت اللغات في اللفظ الواحد بين يدي العيني فرق بين مستوياتها وفاضل فيما بينها ليختار منها الأفصح والأليق بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم حدد انتماءها بالرغم من أن اختلاف اللغات كله حجة وفي ذلك يقول ابن جنى:" ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال "**ما**" يقبلها القياس، ولغة الحجازيين من إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به.. وليس لك أن ترد أحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها ، فاما رد إحداهما بالأخرى فلا، أولا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ **نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف**﴾ هذا حكم اللغتين إذا أكانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين، فإن قلت إحداهما جدا، وكثرت الأخرى جدا أخذت بأوسعهما رواية وأقواهما قياسا."[4] ومن كلام ابن جنى يتضح أن اللهجات تتفاوت فيما بينها، والتفاضل بينها لا بد أن يخضع لمقاييس علمية أشار إلى بعضها ولا يكون الأخذ والترك عشوائيا وهذا الذي شاع في كتب اللغة والنحو بوصف لهجات بأنها فصيحة أو ضعيفة أو كثيرة مشهورة، أو شاذة قليلة وهلم جرا، وقد أشار بعض الباحثين في اللهجات إلى ذلك عند تحديد مسوغات المفاضلة والترجيح وهي: "كثرة الاستعمال وقلته، وموافقة القياس ومخالفته ولغة أهل الحجاز في مقابل لغة غيرهم وورود اللغة في القرآن وعدم ورودها فيه."[5]. وكان العيني قريبا من هذه المعايير يأخذ بها حين يريد أن يرجح بين اللهجات المختلفة، وكان اهتمامه بلغة

---

[1] : نفسه، ج 2 / 79.

[2] : نفسه، ج 2 / 142 وينظر محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1964م، ج 1 / 472 – 473.

[3] : العيني، عمدة القارئ، ج 7 / 388.

[4] : أبو الفتح عثمان بن جنى، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، (د.ت) ج 2 / 10 وينظر أبو الفتح عثمان بن جنى، الخصائص، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003م، ج 2 / 24.

[5] : محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، عالم الكتب، القاهرة، 1981م، ص 63.

القرآن في فصاحته وإعجازه يقيس عليه اللغة فإن وافقته قدمها على غيرها بلا تردد، والأمثلة كثيرة منها: لفظ (**قَصَرَ**) فقال: "يقال: قصرت الصلاة بفتحتين قصراً، وقصرتها بالتشديد تقصيراً، وأقصرتها إقصاراً، والأول أشهر في الاستعمال وأفصح وهو لغة القرآن."[1]. وهي في قوله تعالى: ﴿ **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**﴾ النساء 101.

ولم يكتف العيني بترجيح ما ورد في القرآن من لهجات، بل كان يعتمد على الفصيح منها فيقدمه ويدعمه كما فعل في لفظ (**بعير**) فقال: "يقال للجمل بعير وللناقة بعير، وبنو تميم يقولون بعير وشعير بكسر الباء والشين، والفتح هو الفصيح."[2].وكان لا يهمل حتى اللغات الشاذة الضعيفة أيضا كقوله في "سُبُوع بمعنى أسبوع..وسبُوع بدون الهمز لغة قليلة فيه."[3].

ويجتهد العيني في تحديد انتماء اللهجة، ونسبتها إلى أصحابها مستعينا بما أورده أهل اللغة في كتبهم إلا نادرا منها، ويمكن أن تستثمر إحاطته باللهجات في تتبع حيوية اللغة وتطورها، وذلك كتحديده للهجة أهل الحجاز مثلا في قولهم: "برأت من المرض برءا بالفتح."[4] ولهجة طيء في "رقي بكسر القاف، ويجوز فتحها على لغة طيء."[5]. ولغزارة المصادر التي رجع إليها العيني في باب اللهجات والتي أغنى بها شرحه فإنه ينقل عن السابقين ولا يبالي أن يتسع القول في اللفظ الواحد ولهجاته المختلفة ولعل ذلك مما كان يهدف إليه العيني ويقصده ليميز شرحه عن بقية الشروح فيكون الأوسع والأشمل والأضخم في مادته وفحواه ومحتوياته ومثال ذلك قوله في لغات "رُبَ" ناقلا ما ذكره ابن هشام: "قلت: فيها ست عشرة لغة: ضم الراء وفتحا وكلاهما مع التشديد والتخفيف، والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث الساكنة أو المتحركة، و مع التجرد منها، فهذه إثنتا عشرة والضم والفتح مع إسكان الباء وضم الحرفين مع التشديد ومع التخفيف."[6] وهذا تفريع معهود من العيني في كثير من المواضع من شرحه كقوله في الإصبع والفم "وفي الإصبع عشر لغات"[7]

---

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 5 / 369. وكتب تقصير الصلاة، باب: ما جاء في التقصير..

[2] : نفسه، 3 / 583. كتاب الصلاة، باب: الصلاة إلى الراحلة والبعير والشجر والرحل.

[3] : نف 7 / 203. كتاب الحج، باب: صلى النبي لسبوعه ركعتين.

[4] : نفسه، ج 1 / 432.

[5] : نفسه، ج 3 / 405.

[6] : نفسه، ج 2 / 49، وينظر أيضا جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط 5، 1979م، ص 184.

[7] : العيني عمدة القارئ، ج 4 / 188 وينظر كتاب الآذان باب الأذان قبل الفجر.

و"في الفم تسع لغات."[1].وغيررها من النماذج التي لا نراه يرجح فيها لغة على أخرى بحسب المسوغات التي مضت من قبل أو يعين الأفصح من هذه اللغات، كما مزج العيني بين إسهابه الماتغ في الحديث عن اللهجات وبين حديثه الواسع عن القراءات القرآنية، وذلك أن كثيرا من الباحثين قد أفردوا للهجات والقراءات بحوثا مشتركة على اعتبار أن القراءات قد مثلت أهم مظاهر اختلاف اللهجات، بل إن القراءات هي أوثق المصادر اللغوية لدراسة اللهجات.

5. مصادر العيني في شرحه على البخاري ومنهجه في النقل منها:

لقد استقى العيني مادة شرحه على البخاري من موارد كثيرة، تعكس خصب الحياة العلمية في عصره من جهة، وعبقرية العيني من جهة، ومدى الجهد الذي بذله في إخراج هذا الصِفر للناس وتشعب العلوم التي اشتمل عليها، والمصادر التي رجع إليها أكثر من أن تحصى، حتى أحصى منها بعض الباحثين تسعمائة وسبعين مصنفا (970)، والإحتمال الأقرب إلى الصواب هو ألا يكون العيني قد رجع بنفسه إلى كل هذا الكم الهائل من غزارة المصادر، ولكنه رجع إلى أغلبها، وبعضها قد نقلها عن غيره، وإن غزارة المادة في عمدة القارئ من غزارة المصادر التي اجتهد العيني في الأخذ منها والإفارة مما فيها في خدمة شرحه، وإثراء موسوعته، والملاحظ أن العيني كان أمينا في النقل، حريصا على الدقة في نسبة الأقوال إلى أصحابها ، وكان لا يتبع أسلوبا واحدا في النقل من الموارد و إنما تنوعت طريقته في ذلك على أمرين أساسيين:

أ. النقل المباشر:

وهو السمة البارزة في شرح العيني عندما نجده ينقل النص بالحرف، أو ينقله بالمعنى وهناك عشرات الأمثلة في ذلك، وسأحاول أن تكون النماذج المختارة لغوية في الأغلب ومن ذلك ما أورده العيني في (**فعيل**) بمعنى (**مفعول**) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **لعل الساعة تكون قريبا**﴾ الأحزاب 63 قال:"إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبة، وإذا جعلته ظرفا أو بدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث وكذلك لفظها في الواحد والإثنين والجمع للذكر والأنثى..و"**قريبا**" على وزن فعيل، وفعيل إذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث كما في قوله: ﴿ **إن رحمت الله قريبا من المحسنين**﴾ الأعراف 56 ...وقال الزمخشري في قوله: (**قريبا**) (شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمن قريب)... وقال

[1] : نفسه، ج 6 / 536، كتاب الزكاة باب أخذ صدقة التمرعند صرام النخل.

أبو عبيدة:(مجازه مجاز الظرف ههنا ولو كان وصفا للساعة لكان قريبة، وإذا كان ظرفا فإن لفظها في الواحد والإثنين والجميع من المذكر والمؤنث واحد بغير الهاء، وبغير تثنية، وبغير جمع.)"[1] وإذا رجعنا إلى تفسير الكشاف والزمخشري[2] وإلى كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة[3] وجدنا أن العيني قد نقل النص من الكتابين بمقامه دون تصرف.

وفي إعراب **"غدوة"** ينقل العيني عن الجوهري نصه فيقول:"وقال الجوهري: يقال: أتيت غدوة غير مصروفة لأنها معرفة مثل (**سحر**) إلا أنها من الظروف المتمكنة، تقول: سير فرسك غدوةَ وغدوةً، وغدوةُ غدوةٌ، فما نون من هذا فهو نكرة، وما لم ينون فهو معرفة، والجمع غُدًا، ويقال: أتيتك غداةَ غد والجمع: الغدوات، انتهى."[4].وهذه أمانة النقل التي تعد من الأخلاقيات الأساسية للباحث والشروط الضرورية فيه.و قد ينقل العيني من مصادره الكثيرة بالمعنى متصرفا في النص بحسب ما يراه مفيدا له في سياقه ومحل الإستشهاد به، محتفظا بالمعنى الأساسي الذي يؤديه، فيقدم ويؤخر، ويحذف ويضيف والنماذج في ذلك كثيرة منها: ما ذكره في إعراب "(**أبان**) أن وزنه فعال كغزال فهو لهذا ينصرف، والهمزة فاء الكلمة أصلية والألف فيه زائدة، وهو قول الأكثرين، وهو الصحيح المشهور، وقال ابن مالك: **أبان** لا يتصرف لأنه على وزن أفعل منقول من أبان يبين، ولو لم يكن منقولا لوجب أن يقال فيه أبين بالتصحيح. "[5] وبالرجوع إلى ما ذكره ابن مالك نجد أن العيني قد تصرف فيه، ولم يذكره بالحرف ولكنه يحافظ على المعنى الأساسي، وهذا قول ابن مالك: " ليس فيه إشكال لأن **أبان** علم على وزن أفعل، فيجب ألا ينصرف، وهو منقول من أبان ماضي يبين، ولو لم يكن منقولا لوجب أن يقال فيه، أبين بالتصحيح."[6].

وفي إفادة المضارع الحال والاستقبال ذكر العيني في شرحه للحديث"﴿**ويدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقول الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان** ﴾ أن الفعل (**يدخل**) فعل مضارع وقد علم أنه صالح الحال والاستقبال، فقيل: حقيقة في الحال، مجاز في الاستقبال، وقيل: بالعكس، وقال ابن الحاجب: الصحيح أنه مشترك بينهما لأنه يطلق عليهما بالتسوية

---

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 19 / 121.

[2] : جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه لالتأويل، دار المرعفة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ج 3 / 275.

[3] : أبو عبيدة التيمي، مجاز القرآن ، تح فؤاد سركين مطبعة السعادة، مصر، ط 1 ، 1962م ، ج 2 / 141.

[4] : الجوهري، الصحاح، ج 6 / 2444 (لفظ غدا)

[5] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 261

[6] :ابنمالك، شواهد التوضيح، تح طه محسن، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، 1985م، ص 213.

وهو دليل الاشتراك، وفي قوله: على التسوية نظر لا يخفى، ثم إنه لا يخلص للاستقبال إلا بالسين ونحوه وكان القياس أن يذكر بأداة مخلصة للإستقبال، لأن دخول الجنة والنار إنما هو في الاستقبال ولكنه محقق الوقوع ذكره بصورة الحال."[1] وكلام ابن الحاجب نقله العيني بالمعنى محافظا فيه على ما يريد قال ابن الحاجب: "ويشترك فيه (**أي المضارع**) الحاضر والمستقبل، هذا هو المذهب المشهور، ومنهم من زعم أنه ظاهر في الحال مجاز في الاستقبال، ومنهم من عكس والصحيح أنه مشترك ويطلق عليهما إطلاقا واحدا كإطلاق المشترك، فوجب القول به كسائر المشتركات."[2].

ب. النقل غير المباشر:

كذلك اعتمد العيني في مصادره التي كثرت وتنوعت، والتي اصبحت محط اهتمام بعض الباحثين فكان منها طائفة واسعة عمد إليها العيني ينقل منها ولكن نقلا غير مباشر، حيث ينقل أقوال العلماء وآرائهم عن طريق علماء آخرين استشهدوا باقوالهم، وتعرضوا لمذاهبهم فكان العيني يتخذ من الناقلين عنهم واسطة، ولا يعود إلى الأصل فينقل منه والامثلة من هذا اللون في عمدته كثيرة أذكر منها: استعمال (رُب) عند شرحه لحديث: "﴿ **رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** ﴾. جاءت بروايات متعددة ففي رواية سفيان (**فرب كاسية**)، وفي رواية ابن المبارك (**يارب كاسية**)، وفي رواية هشام (**كم من كاسية**)... وهذه الرواية تؤيد ما ذهب إليه ابن مالك في مجيء (**رب**) للتكثير كثيرا..وقال سيبويه في باب (**كم**)، (واعلم أن (**كم**) في الخير لا تعمل إلا ما تعمل فيه (**رب**) لأن المعنى واحد، إلا أن كم إسم ورب غير إسم.)[3]."[4]. وفي هذا المثال نقل العيني كلام ابن مالك الذي نقل بدوره عن سيويه في حكم "**رب**" ومعناها، ولم ينقل عن الكتاب مباشرة إنما اعتمد على شواهد التوضيح لابن مالك . والمادة العلمية التي جمعها العيني فأغنى بها شرحه لا تكاد تحصى، نجده في أغلب أحواله ينسب الأقوال إلى أصحابها متحريا الدقة والثبت والأمانة، ومثال ذلك عند شرحه لحديث: "﴿ **بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض..**﴾.كلمة (**إذا**) ههنا للمفاجأة وهي تختص بالجمل الإسمية ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال نحو: خرجت فإذا

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 259.

[2] : ابن الحاجب النحوي، الغيضاح في شرح المفصل، تح موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1982م، ج 2 / 6.

[3] : سيويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، ج 2 / 161.

[4] :العيني، عمدة القارئ، ج 24 / 186.

الأسد بالباب، وهي حرف عند الأخفش واختاره ابن مالك، وظرف مكان عند المبرد واختاره ابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج واختاره الزمخشري، فإذا قلت: ما الفاء في (**فإذا**) ؟ قلت: زائدة لازمة عند الفارسي والمازني وجماعة، وعاطفة عند أبي الفتح، وللسببية المحضة عند أبي إسحاق."[1]فالعيني حريص على نسبة الأقوال إلى أهلها مبينا ما اختاروه ورجحوه، ولكنه أحيانا يذكر الآراء ولا يحدد أصحابها ويكتفي بقوله: (**قيل أو قالوا، أو قال**

بعضهم). ومن منهجه أيضا إشارته إلى المصدر الذي أخذ منه واستشهد به كذكره لصاحب النص الذي أورده أثناء بسطه لمسالة من المسائل اللغوية أو الفقهية أو النحوية وغيرها كقوله: (وقال في الكشاف ونقله في المفصل، وذكر في المقتضب..) وغيرها، وأحيانا يغفل العيني عن ذكر المصدر كما في شرحه لقوله تعالى: ﴿ **قلن حاش لله**﴾ يوسف 51 "اعلم أن **حاش** على ثلاثة أوجه **أحدها** :أن تكون فعلا متعديا متصرفا تقول حاشيته بمعنى استثنيه، **الثاني**: أن تكون للتنويه نحو: حاش لله وهي عند المبرد وابن جنى والكوفيين فعل لتصرفهم فيها بالحذف والصحيح أنها إسم مرادف للتنزيه بدليل قراءة بعضهم **حاشا** لله بالتنوين، كما يقال: **براءة** لله من كذا. وزعم بعضهم أنها إسم فعل ومعناها: أتبرأ أوتبرات. **الثالث**: أن تكون للاستثناء، فذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنها حرف دائما بمنزلة إلا لكنها تجر المستثنى وذهب الجرمي والمازني والمبرد والزجاج والأخفش وأبو زيد والفراء وأبو عمر والشيباني إلى أنها تستعمل كثيرا حرفا جارا، وقليلا فعلا متعديا جامدا لتضمنها معنى إلا."[2] .وهذا كلام ابن هشام في المغني[3] ولم يشر إليه العيني.

ولم يقف العيني إزاء هذه الآراء التي يحشدها، والأقوال التي يجمعها موقف المسلم بها، الجامد أمامها، فلم يكن عقله عقلا تابعا، ولم تكن شخصيته شخصية مقلدة، بل وقف موقف الناقد البصير والناظر الحصيف، والمجتهد المستقل، فنجده أحيانا يوازي بين الآراء فيرجح بعضها على بعض، وأحيانا يرد بعضها ويضعفه، وأحيانا يصحح ما يقع فيها من وهم، ويختار ما هو الأصح والأفصح والأمثلة في ذلك كثيرة منها: ما ذكره في بيان استعمال (**يا**) من قوله (**يا أيها**) فقد بسط فيها أقوال العلماء "فقيل أنه حرف نداء للبعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادي به القريب توكيدا، وقيل هي مشتركة بين البعيد والقريب، وقيل بينهما وبين المتوسط، وهي أكثر حروف النداء استعمالا، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو: "﴿ **يوسف أعرض**

[1] :العيني، عمدة القارئ، ج 1 / 67، كتاب: بدء الوحي.

[2] : نفسه، ج 13 / 73 كتاب: تفسير القآن، باب : قوله (فلما جاء الرسول)

[3] : إبن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ص 164 – 165.

عن هذا ﴾ يوسف 29. ولا ينادي اسم الله تعالى والاسم المستغاث وأيها وأيتها إلا بها، ولا المندوب إلا بها، أو "**بوا**" وقول من قال: إن الياء مشتركة بين القريب والبعيد هو الأصح، لأن أصحاب اللغة ذكروا أن : "**يا**" حرف ينادي به القريب والبعيد، فإن قلت: ما تقول في قول الداعي: يا الله وقد قال تعالى: ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ ق 16؟ قلت: هذا استقصار منه لنفسه، واستبعاد عن مظان القبول لعمله."[1].

وبعد أن أورد العيني الآراء المختلة في حرف النداء (**يا**) رجح أصح الأقوال فيها عند أهل اللغة وقد يعرض لآراء كثيرة فيرد مها الأضعف من الأوجه والاحتمالات نحو مناقشته "لباب: النداء بالصلاة جامعة في الكسوف" أي: هذا باب في بيان قول المنادي لصلاة الكسوف: الصلاة جامعة بالنصب فيها على الحكاية في لفظ الصلاة، وحروف الجر لا يظهر عملها في باب الحكاية، ومعمولها محذوف، تقديره: باب النداء بقوله الصلاة جامعة، أي حال كونها جامعة، وقال بعضهم: أي أحضروا الصلاة في كونها جماعة، قلت: لا يصح هذا لأن الصلاة ليست بجامعة، وإنما هي جامعة للجماعة، ويقدر: أحضروا الصلاة حال كونها جامعة للجماعة، وهو من الأحوال المقدرة ويجوز أ ترفع الصلاة وجامعة أيضا فالصلاة على الابتداء وجامعة على الخبر على تقدير جامعة للجماعة، وقال بعضهم: وقيل جامعة صفة والخبر محذوف أي أحضروا، قلت: هذا أيضا لا يصح لأن الصلاة معرفة، وجامعة نكرة، فلا يصح صفة للمعرفة لإشتراط التطابق بين الصفة والموصوف."[2]. فرد القولين وبين الإعتبارات في ذلك، واختار الأصح. وفي مسائل أخرى يصحح العيني ما يقع فيه بعضهم من وهم في توجيه بعض الأحكام كما فعل في شرح حديث "﴿ **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يقول أحدهما لصاحبه اختر**﴾قوله:(**أو يقول أحدهما**) معناه أن يقول أحد البيعين لصاحبه: اختر بلفظ الأمر من الاختيار، ولفظ يقول: منصوب بأن وقال بعضهم:في إثبات الواو في (**يقول**) نظر لأنه مجزوم عطفا على قوله (**ما لم يتفرقا**). قلت: ظن هذا أن كلمة (**أو**)للعطف وليس كذلك، بل بمعنى:إلا أن، ولم ينحصر معنى (**أو**) للعطف بل تأتي لإثني عشر

معنى كما ذكره النحاة منها: أن تكون بمعنى **إلى**، وينتصب المضارع بعدها بأن مضمرة نحو: لألزمنك **أو** تقضيني حقي. والعجب من هذا القائل أنه لم يكتفي بما تعسف في ظنه، ثم وجهه بقوله: فلعل الضمة

[1] : العيني، عمدة القارئ، ج 2 / 319، كتاب الوضوء، باب: ما جاء في الوضوء

[2] : العيني، عمدة القارئ، ج 5 / 311 – 312. كتاب الكسوف، باب: النداء بالصلاة جامعة في الكسوف.

أشبعت كما أشبعت الياء في قراءة من قرأ: "﴿ **إنه من يتق ويصبر** ﴾ يوسف 90. وترك المعنى الصحيح وذكره بالإحتمال فقال: ويحتمل أن يكون بمعنى: إلا أنْ."[1].وأحيانا ينقل الآراء ولا يسلم لها، ويوجه بعضها التوجيه الذي يراه صحيحا كاختياره في إعراب كلمة (**حمص**) لما ذكر الخلاف الوارد فيها في انصرافها وعدم انصرافها فقال: "**حمص** مفتوح في موضع الجر لأنه غير منصرف للعلمية والتأنيث والعجمة، وقال بعضهم: يحتمل أن يجوز صرفه، قلت: لا يحتمل أصلا لأن هذا القائل إنما غره فيما قاله سكون أوسط (**حمص**)، فإن ما لا ينصرف إذا سكون أوسطه يكون في غاية الخفة، وذلك يقاوم أحد السببين فيبقى الإسم سبب واحد فيجوز صرفه، ولكن هذا فيما إذا كان الاسم فيه علتان فبسكون الأوسط يبقى سبب واحد، وأما إذا كانت فيه ثلاث علل مثل:جور فإنه لا ينصرف البتة لأن بعد مقاومة سكونه أحد الاسباب يبقى سببان، وحمص كما ذكرنا فيها ثلاث علل."[2]. بمثل هذا العمق يناقش العيني الآراء، ويوجهها أو يختار منها الأصح أو يدقق في قيمتها في شمولية واستقراء وذلك ينم عن مكنة واقتدار، ولم يسمح لنفسه أن يكون مجرد جماعة للآراء يحشدها حشدا كحاطب ليل. هذا شيء يسير عن منهج العيني في التعامل مع المصادر ومادتها التي أثرى بها شرحه النفيس، ولما كانت المصارد بهذا العدد الضخم، فلا يمكن الإحاطة بها جميعا إنما تجدر الإشارة إلى أهمها وأشهرها وأكثرها دورانا في شرحه، كما يمكن تصنيفها وترتيبها بحسب العلوم المنتمية إليها، فكان منها في التفسير وعلوم القرآن، و في السنة وعلومها، وفي اللغة والنحو، وفي الفقه وعلومه، وفي التاريخ والتراجم وغيرها وسأجمع ذلك في جدول يلخص هذه القائمة الواسعة من تلك المصادر :

نوع المصادر	اسم الكتاب	اسم الكاتب
1. التفسير وعلوم القرآن	-نوادر التفسير	-مقاتل بن سليمان (150هـ)
	-تفسير عبد بن حميد بن نصر	-عبد بن حميد بن نصر (249هـ)
	-تفسير الطبري	-أبو جعفر أحمد بن جرير الطبري (310هـ)
	-تفسير القرطبي	-محمد ابن أحمد القرطبي
	-تفسير ابن مردوية	-أبو بكر أحمد بن موسى الأصفهاني (410هـ)

[1] : نفسه، ج 8 / 385، كتاب البيوع، باب: إذا لم بوقت في الخيار هل يجوز البيع

[2] : نفسه، ج 6 / 71.

			-تفسير الثعلبي (الكشف والبيان في تفسير القرآن)	-أو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النسابوري (427هـ)
			-أسباب النزول	-أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (468هـ)
			-التسيير في التفسير(تفسير النسفي)	-نجم الدين ابن حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي (537هـ)
			-تفسير الكشاف	-أبو القاسم جار الله محمود بن محمد الزمخشري (538هـ)
2- الحديث وعلومه	أ. كتب الرواية – السنن . – المسانيد . – المصنفات . – المستخرجات	الصحاح	- صحيح مسلم	-مسلم بن الحجاج النسيابوري (261هـ)
			- صحيح ابن خزيمة	-محمد ابن إسحاق النسيابوري (307هـ)
			- صحيح أبي غوانة	-أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني (316هـ)
			-صحيح ابن حان	-أبو حاتم محمد بن حبان البستي (354هـ)
			-المستدرك على الصحيحين	-أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ)
			- المنتقى	-ابن الجارود عبد الله بن علي النيسابوري (307هـ)
			-الجمع بين الصحيحين	-أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الفتوح الحميدي (488هـ)
		السنن	-سنن أبي داود	-أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني (273هـ)
			-سنن ابن ماجه	- ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (273هـ)
			-الجامع (سنن الترمذي)	-أبو محمد بن عيسى الترمذي (279هـ)
			-سنن البزار	- أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (292هـ)
			-سنن أبي مسلم الكجي	-أبو مسلم الكجي إبراهيم بن عبد الله بن مسلم البصري (292هـ)
			-سنن سعيد بن منصور	-سعيد بن منصور الخرساني (227هـ)
			-السنن الكبرى	-أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي (303هـ)
			-المجتبى	النسائي
			-سنن الدرا القطني	-أبو الحسن علي بن عمر البغدادي (385هـ)
			-سنن البيهقي الكبير	-أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (485هـ)
		المسانيد	-مسند الإمام الشافعي	-محمد ابن إدريس الشافعي (204هـ)
			-مسند الحميدي	-عبد الله بن الزبير المكي (213هـ)
			-مسند مسدد	-مسدد بن مسرهد (228هـ)
			-مسند إسحاق بن راهويه	-إسحاق بن راهويه (238هـ)
			-مسند أحمد	-أحمد بن حنبل (241هـ)
			-مسند الحارث	-الحارب بن أبي أسامة (282هـ)

			-مسند أبي يعلى	-أحمد بن علي الموصلي (308هـ)
			-زوائد المسند	-عبد الله بن أحمد بن حنبل (290هـ)
			-مسند أبي العباس	-أبو العباس السراج محمد بن إسحاق النيسابوري (313هـ)
		المصنفات	-مصنف عبد الرزاق	-عبد الرزاق بن همام الصنعاني (211هـ)
			-مصنف ابن أبي شيبة	-أبو بكر بن أبي شيبة (235هـ)
		المستخرجات	-مستخرج أبي عوانة	-أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرايني (316هـ)
			مستخرج أبي نعيم	نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (430هـ)
		الأطراف	-الأطراف	- أبو مسعود الدمشقي
			- الأطراف	- جمال الدين ابي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (744هـ)
	ب. كتب العلل		-العلل الكبير	-محمد بن عيسى الترميذي
			-العلل	-ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (328هـ)
			-علل الدار قطني	-علي بن عمر الدار القطني
			-العلل المتناهية	-أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (597هـ)
	ج. كتب غريب الحديث		-غريب الحديث	-أبو عبيد الله القاسم بن سلام (224هـ)
			-غريب الحديث	-إبراهيم ابن إسحاق الحربي (285هـ)
			-الدلائل	-أبو محمد قاسم بن ثابت السرقسطي (302هـ)
			-الغريبين	-أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (401هـ)
			-الفائق في غريب الحديث	-الزمخشري .
			-مشارق الأنوار	-أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)
			-مطالع الأنوار	-ابن قرقول إبراهيم بن يوسف (569هـ)
			-المغيث	-أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني (581هـ)
			-النهاية في غريب الحديث والأثر	-أبو السعادات مبارك بن أبي المكارم بن الأثير الجزري
	د. شروح الحديث		-شرح الموطأ	-ابن حبيب عبد المالك المالكي(239هـ)
			-معالم السنن	-ابو سليمان حمد بن أحمد الخطابي البستي(388هـ)
			-شرح صحيح البخاري	-ابي الحسن بن بطال علي بن خلف المغربي المالكي(449هـ)
			-المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم	أبو العباس احمد بن عمر القرطبي (656هـ)
			-شرح صحيح مسلم	-أبو زكرياء يحي بن شرف النووي الشافعي (676هـ)
			-شرح صحيح البخاري	-قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي الحنفي(735هـ)

		-شرح صحيح البخاري	-علاء الدين بن قليج التركي مغلطاي المصري الحنفي(792هـ)
		-شرح صحيح البخاري	-شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني(796هـ)
		-شرح سنن الترميذي	-زين الدين العراقي(806هـ)
		-فتح الباري شرح صحيح البخاري	-ابن حجر العسقلاني
2. علم الرجال والتراجم		-الطبقات الكبرى	-ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري(230هـ)
		-التاريخ	-محمد ابن إسماعيل البخاري
		-المعارف	-أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (267هـ)
		-معجم الصحابة	-عبد الله بن محمد البغوي (317هـ)
		-الثقاف	-ابن حيان البستي (354هـ)
		-الكامل في ضعفاء الرجال	-ابن عدي عبد الله بن محمد الجرجاني (365هـ)
		-معرفة الصحابة	-ابن منده أبو عبد الله محمد ابن إسحاق الأصفهاني (395هـ)
		-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	-أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (430هـ)
		-الاستيعاب في معرفة الأصحاب	-ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (463هـ)
		-معرفة الصحابة	-أبو موسى المديني الاصفهاني (581هـ)
		-تهذيب الكمال	-جمال الدين يوسف بن الزكي المزي (742هـ)
		-تجريد الصحابة	-شمس الدين الذهبي (748هـ)
		-الكاشف في أسماء الرجال	-شمس الدين الذهبي
3. التاريخ والسير		-المغازي	-ابن إسحاق (151هـ)
		-سيرة ابن إسحاق	-ابن إسحاق
		-الإكليل في أنساب حمير وأيام ملوكها	-الهمداني أبي محمد الحسن بن أحمد اليمني (334هـ)
		-تاريخ أصبهان	-أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني
		-تاريخ بغداد	-أبو بكر محمد بن علي الخطيب البغدادي (483هـ)
		-تاريخ دمشق	-أبو الحسن علي بن حسن بن عساكر الدمشقي (571هـ)
		-الروض الأنف	-أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (581هـ)
4. كتب اللغة		-العين	-الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)
		-النوادر	-أبو عبيد الله محمد بن زياد (ابن الأعرابي) (231هـ)
		-الفصيح	-ثعلب أبي العباس أحمد بن يحي (291هـ)
		-الجمهرة	-ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن اللغوي (321هـ)
		-الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس	-أبو بكر محمد ابن القاسم الأنباري النحوي (328هـ)
		-صحاح اللغة	-أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي (393هـ)
		-تهذيب اللغة	-أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (370هـ)
		- مجمل اللغة	-أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (395هـ)
		-المنتهى	-أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي اللغوي (411هـ)
		-الجامع	-أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز (412هـ)
		-الموعب	-أبو غالب تمام بن طالب القرطبي (436هـ)

	-المحكم والمحيط الأعظم	-أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة اللغوي (458هـ)
	-المخصص	-ابن سيدة.
	-الباهر في اللغة	-ابن عديس أبي حفص عمر بن محمد البلنسي (507هـ)
	-مجمع الغرائب	-عبد الغافر ابن إسماعيل الفارسي (529هـ)
	-الواعي	-عبد الحق الإشبيلي (582هـ)
	-المعرب	-أبو الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي (610هـ)
	-العباب الزاخر في اللغة	-حسن بن محمد الصنعاني.
	-الكامل	العباس المبرد (285 هـ)
5. كتب النـحو	-الكتاب	-سيبويه عمرو بن عثمان (هـ)
	-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب	-جمال الدين بن هشام الأنصاري (761 هـ)
	-شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح	-ابن مالك النحوي (672 هـ)
6. الفقه وأصوله	-المدونة	-أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي (191 هـ)
	-الأم	-محمد بن إدريس الشافعي (204 هـ)
	-مختصر المزني	-إسماعيل بن يحي المزني الشافعي (264 هـ)
	-تهذيب الآثـار	-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (310 هـ)
	-تجـريد القدوري	-أبو الحسين أحمد بن محمد الحنفي (428 هـ)
	-الحـاوي	-القاضي أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري الشافعي(450 هـ)
	-المحـلي	-ابن حزم الظاهري (456 هـ)
	-المهـذب	-أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي الشافعي .
	-الوسـيط	-أبو حامد الغزالي الشافعي (505 هـ)
	-جوامع الفقه	-أبو نصر أحمد بن محمد العتابي الحنفي (586 هـ)
	-فتاوى قاضي خان	-فخر الدين حسن بن منصور الفرغاني (592 هـ)
	-الجواهر المالكية	-أبو محمد عبد الله بن محمد بن شاش المالكي (610 هـ)
	-المغني	-ابن قدامة المقدسي الحنبلي (620 هـ)
	-الهداية	-علي ابن أبي بكر المرغيناني الحنفي (667 هـ)
	-الخلاصة (خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام).	-الإمام النووي
	-روضة الطالبين وعمدة المتقين	-الإمام النووي
	-شرح المهذب	-الإمام النووي
	-الإمام في شرح الإلمام في أحاديث الأحكام	-ابن دقيق العيد (702 هـ)
	-التوضيح في حل غوامض التنقيح	-عبد الله بن مسعود البخاري الحنفي (747 هـ)
	-التلويح على التوضيح	-سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي (792 هـ)
	-شرح معاني الآثار	-بدر الدين العيني
	-شرح الهداية	-بدر الدين العيني

هذه مجموعة كبيرة من مصادر العيني في شرحه، وليست كل مصادره لأنه لا يمكن الإحاطة بها إنما كان الاعتماد على أكثرها ورودا في عمدته، وأغلب ما رجع إليه العيني ونهل منه، واستفاد من مادته، وبعدا هذا الجدول يمكنني أن أسجل جملة من الملاحظات وهي:

1.التنوع والشمول في هذه المصادر مما أغنى الشرح فكان في هذه الحلة القشيبة.

2.استفادة العيني من هذه المصادر كان متفاوتا فبعضها قل وروده، وبعضها تكرر وروده مرات كثيرة، ككتاب الكشاف للزمخشري، وكتاب المحكم لابن سيدة وغيرهما كثير.

3.شكلت مصادره في الحديث واللغة والفقه حصة الأسد

4.قلة المصادر النحوية التي رجع إليها العيني، وذلك لاعتماده كثيرا على ثقافته النحوية وخلفيته الصرفية في تنويع وإغناء فضاء الشرح.

5.اعتماد العيني على المذاهب الفقهية في استنباط الأحكام ولم يقتصر على مذهبه الحنفي بالرغم من الإنتصار له في أحيان كثيرة.

6.إعتماد العيني على شروح البخاري السابقة والإفادة منها كثيرا كشرح الكرماني خاصة وابن بطال المالكي.

7.رجوع العيني إلى هذه المصادر كان مباشرا وغير مباشر.

***نتائج الفصل :**

وبعد هذه الجولة الواسعة في منهج العيني في شرحه على البخاري، والوقفة المتأنية مع كتابه عمدة القارئ، لا يسعني إلا أن أخلص إلى جملة من النتائج وهي:

1.انفراد العيني بقراءة الأسانيد وذكر خصائصها ولطائفها مما يندر وروده عند شراح البخاري السابقين.

2.استثمار العيني لمعارفه الواسعة في علم الرجال وفن الجرح والتعديل، ومعرفته بالتاريخ في دراسة الاسانيد دراسة وافية.

3.اعتماد العيني على ما كتبه الأولون في علم الجرح والتعديل والتراجم في تحليل الاسناد ودراسة رجاله.

4.التوسع والاسهاب في دراسة رجال السند، والتعرض أحيانا إلى بعض التفاصيل المتعلقة بالزمان والمكان والاسم لتمييز المتشابهات وبيان المبهمات.

5.انفراد العيني بشخصيته النقدية، وآراءه المخالفة لكبار علماء الحديث وذلك من خلال ردوده ومناقشاته لمن ضعفوه أو وثقوه من الرواة أو لما قبلوه أو ردوه من الروايات.

6.تحليل العيني للأسانيد والمتون بهذا المنهج الدقيق يقدم للباحثين جهدا تطبيقيا للمنهج النقدي عند علماء مصطلح الحديث.

7.غاية العيني بدراسة اللهجات واللغات في بيان مستواها اللغوي أو انتماءها اللهجي كان عائد ثريا لبحثه اللغوي في شرح الحديث.

الفصل الثاني : التحليل الصرفي والمعجمي والدلالي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني

تمهيد

I. التحليل الصرفي عند الإمام العيني
II. التحليل المعجمي وظواهره عند الإمام العيني
III. التحليل الدلالي عند الإمام العيني

تمهيد:

لقد أكبَّ علماء الشروح على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم – بعد أن جمعت ودونت بالشرح والتحليل ما بين مصنفات مطولة، ومؤلفات مختصرة تبيانا لمعانيها، وإيضاحا لمراميها واستنباطا لأحكامها وفوائدها، وكان العيني في شرحه لصحيح البخاري نموذجا لتلك الشروح المطولة التي قدمت شرحا استوعب الحديث من جميع جوانبه الفقهية الشرعية، واللغوية في أهم القضايا النحوية والصرفية والمعجمية والدلالية وغيرها ما أغنى العيني به شرحه للبخاري بثروة هائلة هامة من المباحث اللغوية مما يدل أيضا على اتساع المنهج اللغوي عنده وشموله، فما هي مظاهر التحليل الدلالي والمعجمي عند الإمام العيني؟ وما هي أهم الظواهر الصرفية في شرحه؟ وهل لذلك كلّه أثّر على وجوه الدلالة؟ هذا الذي سنفصل القول في الإجابة عنه، ونبحث في أهم مسائله وقضاياه.

I. التحليل الصرفي عند العيني :

إن من خصائص اللغة العربية التي أحصاها أهلها لها ما تمتاز به من اتساع البنية، وكثرة الصيغ التي تستوعب المعاني التي تجيش بها النفوس،والأفكار التي تجول في الخواطر، ولما كان الصرف والتصريف هو السبيل للوصول إلى تلك الصيغ والأبنية فقد قالو في أهميته وضرورته " أما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم."[1]. وينتقل اللفظ عند إعمال الصيغ المختلفة أحيانا من المعنى إلى ضده كما في قوله تعالى: (**إن الله يُحبُّ المُقسطين**) الحجرات 9 وقوله: (**وأمّا القاسطون فَكانوا لِجهنَّم حَطبا**) الجن 15،فالمادة واحدة وهي ق/س/ط نأخذ منها: القاسط وهو الجائر، والمقسط وهو العادل بفعل التصريف ومثله: وعد وأوعد، وأثم وتأثم .. مما لا يعذر الخائض في هذا الفن الجهل به، ولبيان شيء عن خطورة هذا العلم أورد هذا المثال من قوله تعالى (**أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ**) الملك 19– فلفظ "**صافات**"،و "**يقبضن**" عبر عن الحدث فيهما باسم الفاعل في "**صافات**"،وكان يمكن التعبير عنها بالفعل المضارع "يصففن"،وفي اللفظة الثانية كان يمكن التعبير عنها بغير الفعل المضارع، كأن يعبر عنها باسم الفاعل " قابضات" ولكن الآية قد اختارت اسم الفاعل للتعبير عن الحدث في الأولى والفعل المضارع في الثانية وما ذلك إلا رعاية للمعنى الفني الدقيق الذي أرادت الآية أن تدل عليه."[2]

[1]-السيوطي ، المزهر ج1 /335

[2]أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العالمية ، بيروت ط3 ، 2000م ص 4-5

وبرع الزمخشري في تأويل المعنى فقال: "فإن قلت لم قيل " **ويقبضن و لم يقل قابضات** " قلت لأن الأمل في الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطاريء على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح."[1].وكلام كهذا يدل على أن الزمخشري كأنه سباح ماهر أو طيار محترف ومن هنا كانت عناية اللغويين. بهذا العلم الشريف الذي لا تقف قيمته عند صون اللسان عن اللحن، ومراعاة قوانين اللغة وإنما تتخطى ذلك إلى تحقيق أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة والإسهام في فهم الخطاب المعجز، وكلام أفصح ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

وطفق علماء العربية من الصرفيين يعرفون "**علم الصرف**" على أنه " أصول وقواعد تعرف بها أحوال بنية الكلمة : صيغتها الأصلية والعارضة وما يلابسها من تغيير معنوي في مدلولها مصدره البناء. المحدث بالتصغير أو النسبة أو التثنية أو الجمع أو التأنيث في الأسماء، أو التحويل إلى الماضي والمضارع والأمر في الأفعال ومن تغير صوتي في بنيتها مصدره الظواهر التصريفية كالتجريد والزيادة والحذف والإبدال والإعلال والإدغام والقلب المكاني، والإمالة والتحريك والتسكين للابتداء والوقف والتخفيف والتثقيل."[2]. ثم يبينون أهميته وضرورته للمشتغلين باللغة، لأن فهم بنية اللغة ومكوناتها فهما سليما دقيقا لا يكون إلا بمعرفة بنية الألفاظ داخل التركيب والذي يؤدي في النهاية إلى فهم السياق برمته ومن ثم كان " التصريف أحد أركان الأدب، وبه سعة كلام العرب ومنه يتدرج إلى اللغة العربية ويتوصل إلى حل العويصات الأدبية. "[3].

وإسهامات العيني في علم الصرف مشهودة حيث ألّف في هذا الفن وضرب فيه بسهم و قد سبق لي أن أشرت إلى مؤلفاته في فن الصرف في فصل سابق. وفي شرح العيني على صحيح البخاري قضايا صرفية متنوعة استطاع أن يثري بها شرحه للأحاديث وأن يفرد لها عنوانا خاصا كما نقل في الأجزاء الأولى خاصة، كما أحاط شرحه بلمسات صرفية فيها من التمكن والبراعة ما يغري باستقرائها وجمعها وترتيبها عسى أن نكتشف من خلالها منهج العيني وأسلوبه وجهوده في عرض المسائل الصرفية وأثرها

---

[1]- الزمخشري الكشاف ج 4 /124 .

[2]- فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، جامعة حلب، ط1، 1978م، ص13.

[3]- ابن هشام الأنصاري، نزهة الطرف في فن الصرف، تح أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1990م، ص2.

على استنباط الأحكام وبيان المعاني، وتفسير المفردات. فما هي معالم التحليل الصرفي عند العيني ومنهجه في الصناعة الصرفية؟

1. ظواهر صوتية مزجها العيني بتحليله الصرفي :

من المعلوم عند كثير من الدارسين والمنشغلين بفن الصرف أن تلاقيا كبيرا بين الدرس الصوتي والدرس الصرفي، وأن التحليل الصرفي يستعين في كثير من المسائل بالتحليل الصوتي فكلاهما يتعامل مع بنية اللفظ ومكوناته مفردا قبل أن ينتمي إلى تركيب معين، أو يندرج في سياق محدد، ولم تكن المسائل الصوتية تعالج بشكل دقيق مستقل نظرًا لاندراجها تحت مظلة علم الصرف، فلما استقل العلمان عن بعضهما تمايزت المسائل الصرفية،ولكن بقيت تلك الوشائج موصولة،وتلك العلائق موثوقة.فإذا ما أراد الباحث أن يناقش مسألة صوتية فانه لا يستغني أن ينظر في كتب الصرف قبل أن يناقشها من وجهة نظر الصوتيين،والمسالة في عمدة القارئ تشبه هذا كثيرا حيث نجد العيني وقد أفرد للمسائل الصرفية بابا أثناء شرحه للأحاديث سماه: «بيان الصرف» فانه يغرف من علم الأصوات ويعزز به تحليلاته الصرفية،ويستعين بإشارات صوتية لإثراء القضايا الصرفية المطروحة فكان منها الظواهر الآتية:

أ. الإبدال:

يُعتبر الإبدال من التغيرات الصوتية في اللغة وهو تغيير حرف بحرف حيث يزال المبدل منه، ويوضع المبدل مكانه، وهو يشبه الإعلال من حيث أن كلا منهما يتغير في الموضع لكن الإعلال خاص بأحرف العلة، والإبدال خاص بالأحرف الصحيحة.ومعنى البدل "أن تقيم حرفا مقام حرف في موضعه،إما ضرورة أو استحسانا."[1].ومثال ذلك حديث حنظله بن قيس الأنصاري قال سمع رافع بن خديج قال﴿**كنا أكثر أهل المدينة مز درعا، كنا نكري بالناحية منها مسمى لسيد الأرض**...﴾"... قوله: **(مزدرعا)** والمزدرع أصله المزترع لأنه من باب الافتعال، ولكن قلب التاء دالا لأن مخرج التاء لا يوافق الزاي لشدتها."[2].

[1]- ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تح فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط1، 1973م، ص 213.

[2]- العيني، عمدة القارئ، ج9/16-17 كتاب المزارعة الحديث 2327.

وفي حديث أبي سفيان مع هرقل "... قوله:(**أدنوه**) بفتح الهمزة من الإدناء واصله أدنيو استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان وهي الياء والواو، فحذفت الياء لأن الواو علامة الجمع،ثم أبدلت كسرة النون ضمة تدل على الواو المحذوفة فصار:ادنوا على وزن افعوا."[1].

ب. الإعلال :

الإعلال "هو قلب حرف العلة أو حذفه أو تسكينه أو نقله. وعليه يكون الإعلال بالقلب أو بالحذف أو بالتسكين أو بالنقل. "[2].وتلك تفاصيل مبسوطة في كتب الصرف ولا مجال للخوض فيها إنما أكتفى ببعض النماذج من إشارات العيني ومن ذلك حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**آية الإيمان حب الأنصار** ...)...قوله: (**آية الإيمان**) أي علامة الإيمان، وأصلها: أويَة بالتحريك قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، قال الفراء: موضع العين من الآية واو، لأن ما كان موضع العين واوا وموضع اللام ياء أكثر مما موضع العين واللام ياءان.. قال الفراء: هي من الفعل فاعلة وإنما ذهبت منه اللام، و لو جاءت تامة لجاءت آيية، ولكنها خففت،.... والمشهور أن عينها ياء ووزنها فاعة، لأن الأصل آيية، فحذفوا الياء الثانية التي هي لام، ثم فتحوا التي هي عين لأجل تاء التأنيث."[3] وحديث سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ﴿ **إن في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**...﴾... قوله: (**الريان**) أصله، الرويان اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأبدلت الواو ياء ثم أدغمت الياء في الياء، والريان ضد العطشان."[4].

ج. الحذف:

أورد ابن جني الحذف في باب:"**فكّ الصيغ**" فقال: "إعلم ان هذا موضع من العربية لطيف ومغفول عنه و غير مأبوه له، وفيه من لطف المأخذ وحسن الصنعة ما أذكره لتعجب منه، وتأنق له وذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفا إما ضرورة أو إيثارا، فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويرا تقبله أمثله كلامها ولا تعافه، وتمجه لخروجه عنها، سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلا أم زائدا

---

[1]- نفسه، ج1/145 كتاب الوحي الحديث7.

[2]- صلاح الدين سعيد حسين، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، المقطع – الكلمة– الجملة، رسالة جامعية بإشراف سامي عوض، جامعة تشرين، الجمهورية العربية السورية 2009م، ص 48 وما بعدها.

[3]- العيني، عمدة القارئ، ج1/230-231 كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار.

[4]- المصدر السابق ج10/ 611-612 كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة.

...فمن ذلك أن تعتزم تحقير نحو: منطلق أو تكسيره فلابد من حذف نونه فإذا أنت حذفتها بقى لفظه بعد حذفها مطلق ، ومثاله مُفْعل، وهذا وزن ليس في كلامهم ، فلابد إذن من نقله إلى أمثلتهم، ويجب حينئذ أن ينقل في التقدير إلى أقرب المثل منه، ليقرب المأخذ ويقل التعسف. فبعد الحذف صار مطيق لأنه أقرب إلى مطلق من غيره، ثم تُحقِّره فتقول، مطيلق وتكسر فتقول مطالق، كما تقول في تَحْقير مكرم وتكسيره، مكيرم ومكارم."[1].

وقد تعددت النماذج عند العيني حول الحذف ومن الأمثلة: حديث أبي هريرة: "﴿ **وكنت امرءا مسكينا من مساكين الصفة أعي حين ينسون...**﴾... قوله: (**أعي**) أي أحفظ من وعي يعي وعيا إذا حفظ، وأصله: أوعي حذفت الواو منه تبعا ليعي، إذا أصله: يوعي حذفت الواو منه لوقوعها بين الياء والكسرة."[2].

وفي حديث المغيرة يقول: "﴿ **إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقول – أو يصلي – حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا..**﴾... قوله: (**ترم**) بفتح التاء المثناة من فوق فعل مضارع للمؤنث، وماضيه ورم وهو من باب: فعل يفعل بالكسر بينهما، تقول: ورم يرم ورما ومعنى ورم أنفتح، وأصل ترم: تورم فحذفت الواو منه كما حذفت من بعد ويمق ونحوهما.. قيل هذا شاذ، وقيل نادر وليس كذلك، وإنما هو قليل لأنه لا يدخل في دعائم الأبواب."[3].

وأحيانا يقف العيني عند لفظ فيبين ما حدث له من حذف و تعويض أو ما حدث له من نقل وحذف أو ما وقع له من نقل وقلب وحذف ومثال ذلك : لفظ "**الدية**"أصلها ودى من وديت القتيل أديه دية إذاأعطيت ديته،واتديت أي:أخذت ديته فحذفت الواو منه وعوض عنها الهاء."[4].

ولفظ:(**تورون**)من قوله تعالى " (**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ**) الواقعة 71، وفسرها بقوله: تستخرجون، وأصله من ورى الزند بالفتح يرى وريا إذا خرجت ناره، وفيه لغة أخرى: وري الزند يرى بالكسر فيهما،

[1]- ابن جني، الخصائص ج3/ 111-112.

[2]- العيني، عمدة القارئ ج8/ 295-296، كتاب البيوع باب، ما جاء في قول الله تعالى (فاذا قضيت الصلاة ...) .

[3]- المصدر السابق، ج460/5، كتاب التهجد باب، قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه.

[4]- نفسه ج 134/16 كتاب الديات.

وأوريته أنا، وكذلك، وريته تورية، وأصل: تورون توريون نقلت ضمة الياء إلى الرّاء وحذفت الياء لالتقاء الساكنين فصار تورون على وزن تفعون."[1].

د. الإدغام:

الإدغام عند سبويه " تقريب حرف من حرف بهدف السهولة والخفة، وذلك لأن الإنسان يضع لسانه لهما"[2] وعند غيره "تقريب صوت من صوت، ولا يكون إلا في مثلين متقاربين، ولذا سمي بالتشابه أو التماثل"[3]. وقد أشار العيني إلى ظاهرة الإدغام في مواضع كثيرة أذكر منها:

حديث طلحة بن عبيد الله يقول: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسال عن الإسلام فقال رسول الله: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع..**﴾... ...قوله (**إلا أن تطوع**) بتشديد الطاء والواو كليهما أصله: تتطوع بتائين فأدغمت إحدى هاذين التائين في الطاء، ويجوز تخفيف الطاء على الحذف أعني حذف إحدى التائين، وأي التائين هي المحذوفة؟ فيه خلاف. فقال بعضهم حذف التاء الزائدة أولى لزيادتها وقال الأكثرون: الأصلية أولى بالحذف لأن الزائدة إنما دخلت لإظهار معنى فلا تحذف لئلا يزول الغرض منها،ويجوز إظهار التائين أيضا من غير إدغام وهذه ثلاثة أوجه في المضارع، وقال النووي المشهور التشديد ومعناه:إلا أن تفعله بطواعيتك.وفي ماضيه لغتان أتطوع أطوع وكلاهما يفعل،إلا أن إدغام التاء في الطاء أوجب جلب ألف الوصل ليتمكن من النطق بالساكن."[4].ومنه حديث أبي سفيان مع هرقل وفيه "﴿ **أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش.**﴾... قوله: (**ماد فيها**) بتشديد الدال من باب المفاعلة، وأصله مادد أدغمت الدال في الدال وجوبا لاجتماع المثلين،ومضارعه: يماد، وأصله يمادد، ومصدره: ممادة ومماد وأصله من المدة وهي

[1]- نفسه، ج10/613-614 كتاب بدء الخلق باب: صفة النار وأنها مخلوقة.

[2]- سيبويه، الكتاب ج4/437.

[3]- جون هالف برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م، ص 6. وينظر أيضا أنجب غلام نبي بن غلام محمد ، الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية ، رسالة جامعية بإشراف عبد الله درويش ،كلية التربية للبنات، مكة المكرمة ، 1989 ، ص 496.

[4]- العيني ، عمدة القارئ، ج1/390 ،كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام.

القطعة من الزمان يقع على القليل والكثير وهي صلح الحديبية."[1]. وقد يلتقي في الكلمة الواحدة إدغام و إبدال ك: (**ادهن**) [2] أو إدغام و إعلال ك: (**قيم**)[3].

هـ . الإشباع :

عرفه تمام حسان فقال :"أقصد بالإشباع تقوية النطق بالصوت،وعكسه الإضعاف وهما يرتبطان بالموقع في السياق.[4]".وقد تعرض ابن جني لظاهرة الإشباع في:"**باب في مطل الحروف**" فقال:" إذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من حبسها،فتنشئ بعد الفتحة الألف أو بعد الكسرة الياء،وبعد الضمة الواو."[5]. ولقد وجدت العيني استعمل مصطلح الإشباع في حديث أبي سعيد الخدري يقول :قال رسول الله صلى عليه و سلم "﴿ **و بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص** ﴾ ...قوله:(**بينا**) أصله :بين،أشبعت الفتحة فصارت ألفا،وقال الجوهري:بينا وفعلى مشبعة الفتحة قال الشاعر:فبينا نحن نرقبه أتانا."[3].

و. التفخيـــم :

عرفوا التفخيم في "اللغة التعظيم، وهو في الحروف يطلق ويراد منه ما هو ضد الإمالة واصطلاحا: عبارة عن ربا الحروف وتسمينه بحيث يمتلىء الفم بصداه نتيجة إرتفاع مؤخرة اللسان إلى الحنك الأعلى،و يرادفه التغليظ غير أن التفخيم يغلب استعماله في باب الراءات، والتغليظ يغلب استعماله في باب اللامات،والحروف المفخمة مطلقا هي حروف الإستعلاء السبعة:الحاء، والصاد، والضاد، والطاء، والقاف؛ وأقواها تفخيما حروف الإطباق:الصاد والظاء الطاء والضاء."[6].

وقد ورد مصطلح التفخيم في حديث" النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "﴿ **الحلال بين والحرام بين ...ألا في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله،وإذا فسدت فسد الجسم كله، ألا وهي القلب** ﴾...قوله :(**القلب**)...وأصله مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته علي بذاته،وقلبت الإناء رددته على وجهه..ثم نقل وسمي به العضو الشريف لسرعه الخواطر

---

[1]- المصدر السابق ، ج1/ 144 ،كتاب بدء الوحي / 1545

[2]- نفسه ، ج66/7 ،كتاب الحج ، باب : أما إبليس المحرم من الثياب حديث

[3]- نفسه ج177/2 ،كتاب العام ، باب : رفع العلم وظهور الجهل حديث 81

[4]- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 1989 ، ص 84

[5]- ابن جنى ،الخصائص ج 123/3 و ما بعدها.

[6] - عز الدين كيحل ، النصيحة لكتاب الله فضول في علم التجويد ، دار المعرفة ، الجزائر ط 1 ، 2001 ، ص97.

فيه وترددها عليه..وكان مما يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم:ويا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك،وقال القرطبي:ثم إن العرب لما نقلته لهذا العضوا التزمت فيه التفخيم في قافه،للفرق بينه وبين أصله،وقد قال بعضهم :ليحذر اللبيب من سرعة انقلاب قلبه،إذليس بين القلب والقلب إلا التفخيم."[1].

2. التحقيق في جذر الكلمة وذكر صورها المختلفة :

كثيرا ما كان العيني يقف مع اللفظ يبين أصل بنيته، و يحقق في جذوره، ويحيطه بعدد من المشتقات أنقالا ومصادر وغيرها، وبذكر الخلاف الوارد بين أهل اللغة في أصل اللفظ، ليصل في النهاية إلى تقرير المعنى المناسب، ومثال ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "﴿ **لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم** ﴾... قوله:(**ليلج النار**) من الولوج وهو الدخول، يقال: ولج يلج ولوجا ولجة أي:دخل.قال سيبويه: إنما جاء مصدره ولوجا وهو من مصادر غير المتعدي على معنى: ولجت فيه،وأولجه أدخله،قال تعالى:(**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**) الحج61 .أي : يزيد من هذا في ذلك ،ومن ذلك في هذا. قوله: (**إلا تحلة القسم**)بفتح التاء المثناة من فوق وكسر الحاء،وتشديد اللام، وهو مصدر حلل اليمين أي كفرها.يقال: حلل تحليلا وتحلة وتحلا وهو شاذ، والتاء فيه زائدة،ومعنى تحلة القسم:ما ينحل به القسم وهو اليمين ..فقول العرب :ضربه تحليلا وضربه تعزيزا إذا لم يبالغ قي ضربه ... وقال أهل اللغة:يقال فعلته تحلة القسم أي قدر ما حللت به يميني ولم أبالغ."[2].

ومثاله أيضا حديث ابن عمر: "ولا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر"... قوله: (**حاك**) بالتخفيف من حاك يحيك، ويقال:حك يحك،وأحاك يحيك،يقال: ما يحيك فيه الكلام أي: ما يؤثر، وقال شمر : الحائك الراسخ في قلبك الذي يهمك، وقال الجوهري:حاك السيف وأحاك بمعنى،ويقال ضربه فما حاك فيه السيف إذا لم يعمل فيه،فالحيك أخذ القول في القلب، وفي بعض نسخ المغاربة صوابه: ما حكّ بتشديد الكاف، وفي بعض نسخ العراقية: ما حاكّ بالتشديد من المحاكاة ، وقال

[1] – العيني ، عمدة القارئ ، ج1/432-436 كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه .

[2] – المصدر السابق ، ج6/45-46 كتاب الجنائز ، باب أفضل من مات له ولد فاحتسب.

النووي : ما حاك بالتخفيف: هو ما يقع في القلب ولا ينشرح له صدره وخاف الإثم فيه.وقال التيمي :حاك في الصدر أي ثبت."[1].

فانظر إلى هذا التدقيق، وهذا التحقيق حتى وصل العيني بذلك إلى مقابلة النسخ بعضها ببعض مما نسخه النساخ لصحيح البخاري فنظر إلى نسخ المغاربة،ونسخ أهل العراق، وما ذلك إلا للاهتداء إلى اللفظ الصحيح،ثم إلى معناه الدقيق، وقلما نجد شراح البخاري وقفوا عند هذه التفاصيل.

ويقلب العيني اللفظ على أوجهه المختلفة، ويشرح معناه مستعينا في ذلك بأشهر ما جاء في كتب اللغويين،ومن ذلك لفظ (**الدلجة**) في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿ **إن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه،فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** ﴾... قوله: (**من الدلجة**) بضم الدال وإسكان اللام كذا الرواية ويجوز في اللغة فتحها.ويقال بفتح اللام أيضا. وهي بالضم سير أخر الليل،وبالفتح سير الليل، وأدلج بالتخفيف سير الليل كله،وبالتشديد سير أخر الليل هذا هو الأكثر.وقيل :يقال فيهما بالتخفيف والتشديد.وقال ابن سيده :الدلجة سير السحر، والدلجة سير الليل كله والدلج والدلجة الأخيرة عن ثعلب: الساعة من أخر الليل، وادلجوا ساروا الليل كله،وقيل الدلج الليل كله من أوله إلى آخره، وأي ساعة سيرت من الليل من أوله إلى آخره فقد أدلجت على مثال : أخرجت، والتفرقة بين أدلجت وادلجت قول جميع أهل اللغة إلا الفارسي فإنه حكى أدلجت وادلجت لغتان في المعنيين جميعا. وفي الجامع: الدلجة والدلجة لغتان بمعنى وهي سير السحر،وقال قوم: الدلجة سير السحر، والدلجة بالفتح سير أول الليل...وتقول.أدلج الرجل يدلج إدلاجا غذا سار من أول الليل،وأدلج إدلاجا سار من آخر.وفي الجمهرة: سارو دلجة من الليل أي ساعة وفي المنتهى : والاسم اندلج لنحريك ، وجع الدلجة دلج وغلط درتسويه تغلبا في تخصيصه أدلج بالتشديد بسير أول الليل،وأدلج بالتخفيف يسير آخره، قال:وأنها عندنا جميعا سير الليل في كل وقت من أوله وأوسطه وآخره،وهو أفعال وافتعال من الدلج.والدلج سير الليل بمنزلة السرى،وليس واحد من هذين المثالين بدليل على شيء من الأوقات، ولو كان المثال دليلا على الوقت لكان قول القائل: الإستدلاج لوزن الإستفعال دليلا لوقت آخر، وكان الإندلاج على الإنفعال لوقت آخر وهذا كله فاسد،ولكن الأمثلة عند جميعهم موضوعة لاختلاف معاني الأفعال في أنفسها لا لاختلاف أوقاتها، وأما وسط الليل وآخره وأوله وسحره

[1]- نفسه، ج1/182-183-184 كتاب الإيمان، باب: الإيمان وقوله النبي نبي الإسلام على خمس.

وقبل النوم وبعده فمما لا يدل عليه الأفعال ومصادرها،وقد وافق قول كثير من أهل اللغة في ذلك ...والحديث يؤيد قول ابن درستويه وهو قوله :﴿ **عليكم بالدجلة،فإن الأرض تطوى بالليل** ﴾ ولم يفرق عليه السلام بين أوله وآخره."[1]. وهكذا بحشد العيني لمثل هذه الألفاظ أقوال أهل اللغة لبيان جذورها، واستعراض أوجهها المختلفة،وكل مايتعلق بها إمعانا في توضيحها،ولو كلفه ذلك استطرادًا وتطويلا.

3. عناية العيني بالأوزان:

لما كان أكثر كلمات اللغة العربية ثلاثية اعتبر علماء الصرف أن أصول الكلمات ثلاثة أحرف وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام فيسمون الحرف الأول من الكلمات "**فاء الكلمة**" والثاني "**عين الكلمة**"،والثالث "**لام الكلمة**"،وهذا الذي شاع عندهم بالميزان الصرفي، والذي يؤتي به لبيان أحوال أبنية الكلمة في الحركات والسكنات، والأصل والزيادة،والتقديم والتأخير في الحروف أو الحذف وعدمه قال أبو حيان: "فإن قلت :ما فائدة وزن الكلمة بالفعل؟ قلت:فائدة التوصل إلى معرفة الزائد من الأصلي على سبيل الاختصار،فإن قولك،وزن "**استخراج**" استفعال أخْصَر من أن تقول الألف والسين والتاء،والألف في "**استخراج**" زوائد."[2]. وقد جعلوا الميزان ثلاثيا"لأن الكلمات الثلاثية أكثر من غيرها،ولأنهم لو جعلوه مؤلفا من الخمسة،لكانوا بصدد أن ينقصوا منه حرفا أو حرفين إذا حاولوا زنة كلمة رباعية أو ثلاثية."[3].

ولقد كانت عناية العيني بالأوزان أو بالميزان الصرفي عناية ظاهرة،وذلك عند توسعه في القضايا الصرفية،وقد توسل بهذا الميزان لاكتشاف الحروف الأصلية للألفاظ،وبيان ما طرأ عليها من تغيير،مشيرًا في ذات الوقت إلى الخلاف الموجود بين علماء الصرف في كلمة من الكلمات، ومن ذلك ذكره ما جاء في وزن "**أسطوانة**"التي جاءت في حديث ابن عمر " :﴿ **أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة فدعا عثمان بن طلحة ففتح الباب فدخل النبي وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة ثم أغلق الباب فلبث فيه ساعة ثم خرجوا.قال ابن عمر:فبدرت فسألت بلالا فقال: صلى فيه.فقلت في**

---

[1]- المصدر السابق ج1/349-352-353 كتاب الإيمان،باب:الدين يسر.

[2]- السيوطي، همع الهوامع، ج33/6.

[3]- محمد محي الدين عبد الحميد، دروس الصرف، المكتبة التجارية الكبرى مصر، 1958م، ص28.

أي؟ قال:بين الأسطوانتين.قال ابن عمر:فذهبت علي أن أسأله كم صلى﴾... قوله: (**الأسطوانتين**) هي تثنية الأسطوانة بضم الهمزة وزنها أفعوالة.وقيل: فعلوانة،وقيل إفعوانة."[1]. وفي موضع أخر من حديث "يزيد بن أبي عبيد قال: :﴿ **كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال: فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها** ﴾...والأسطوانة بضم الهمزة معروفة،والنون أصلية ووزنها أفعوالة مثل أقحوانة،لأنه يقال:أساطين مسطنة. وقال الأخفش:وزنها فعلوانة،وهذا يدل على زيادة الواو والألف والنون، وقال قوم وزنها أفعلانة،وهذا ليس بشيء لأنه لو كان كذلك لما جمع على أساطين، لأنه ليس في الكلام أفاعين."[2]. وكلام العيني هو الذي ذهب إليه جمهور أهل اللغة كالأزهري والجوهري" قال الليث: ونون الأسطوانة من أصل بناء الكلمة،وعلى تقدير أفعوالة،وبيان ذلك أنهم يقولون أساطين مسطنة. وقال الفراء:النون في الأسطوانة أصلية،قال:لا نظير لهذه الكلمة في كلامهم،إذ كلمة أقحوانة غير عربية فلا يقاس على وزنها وزن عربي."[3].ويبين العيني أحيانا التغيرات التي تطرأ على بعض الكلمات في العربية والإختلاف الوارد في ذلك فيورد اختلاف الأقوال في وزن هذا النوع الكلمات ومثال ذلك لفظ "**آية**" في حديث أبي هريرة عن النبي صلى عليه وسلم قال:" (**آية النافق ثلاث**...)...قوله:(**آية المنافق**) أي علامته،وسميت آية القرآن آية لأنها علامة انقطاع كلام عن كلام ، فإن قلت إما وزن آية قلت فيه أربعة أقوال الأول : إن وزنها فعلة أصلها أيية قلبت الباء الأولى ألف لتحركها وانفتاح ما قبلها،وهو مذهب الخليل.الثاني:إن وزنها فعلة أصلها آية بالتشديد قلب أول المضاعفين ألف قلبت باء في إيماء،وهو مذهب الغراء.الثالث:إن وزنها فاعلة وأصلها:آية فنقصت وهو مذهب الكسائي بأنها صغرت أيية، ولو كان أصلها آيية لقيل: أوية.فأجاب الكسائي بأنها صغرت تصغير الترخيم كفطيمة من فاطمة،واعترض إنما ذلك يجري في الأعلام. الرابع: إن وزنها فعلة، وأصلها آيية وهو هب الكوفيين. وقال الجوهري: والأصل أوية بالتحريك.قال سيبويه: موضع العين من الآية واو،لأن ما كان موضع واوا واللام باء أكثر مما موضع العين واللام ياءات مثل: شويت،أكثر من حييت...قلت:المشهور أن عينها ياء

[1]- العيني،عمدة القارئ،ج3/329-330 كتاب الصلاة، باب:الأبواب والغلف للكعبة والمساجد.

[2]-المصدر السابق، ج3/578-572 كتاب الصلاة، باب: الصلاة إلى الأسطوانة.

[3]- الأزهري، تهذيب اللغة، ج12/338.

وزنها فاعلة لأن الأصل آيية، فحذفوا الياء الثانية التي هي لام،ثم فتحوا الياء التي هي عين لأجل تاء التأنيث."[1].

وأحيانا يحتكم العيني إلى قواعد الصرف للتفريق بين الأوزان كمال فعل في لفظ "**الجمعة**" في حديث عمر " **قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.**)...قوله (**يوم الجمعة**)وهي بفتح الميم وضمها وإسكانها.فإن قلت:ما الفرق بين فعلة ساكن العين وفعلة بتحريكها،قلت:إن الساكن بمعنى المفعول،والمتحرك بمعنى الفاعل،يقال،رحل ضحكة بسكون الحاء أي مضحوك، وهذه قاعدة كلية.فإن قلت عرفة غير منصرف اتفاقا لما ذكرت فما بال الجمعة منصرف ؟ مع أنها مثلها في كونها اسم للزمان المعين،وفيه تاء التأنيث؟ قلت: عرفة علم والجمعة صفة أوغير صفة ليس علما،ولو جعل علما لامتنع العيني من الصرف."[2].

ويورد النبي في بعض الكلمات أقوال اللغويين في بيان أوزانها كما فعل في لفظ (**الدماء**)في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " :﴿ **وأمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله** ﴾...و**الدماء** جمع دم نحو:جمال جمع جمل إذا أصل دم:دمو بالتحريك،وقال سيبويه:أصله:دمي على فعل بالتسكين لأنه يجمع على دماء ودمى مثل: ظباء وظبي، ودلو ودلاء ودِلى،قال:ولو كان مثل قفا وعصى لما جمع على ذلك. وقال المبرّد:أصله فعل بالتحريك وإن جاء جمعه مخالف لنظائره،والذاهب منه الياء،والدليل عليها توهم تثنية: دميان."[3].

4. عناية العيني بمعاني الصيغ :

إن المصطلح الشائع في علم الصرف هو "**الصيغة الصرفية**" وهي " مبنًى صرفيا يمثل القوالب التي يصب فيها الصرفيون المادة اللغوية ليدلوا بها على معان معينة ومحددة."[4].وفرقوا بينها وبين الميزان الصرفي فهو"مبنى صرفي يناط به أمر بيان الصورة الصوتية النهائية التي آلت إليها المادة اللغوية...فالفعل"**وقى**" في الأمر "**ق**" فصيغته:"**افعل**" ووزنه "ع" فهذه العين المكسورة تمثل الميزان ولا تمثل الصيغة..فالتفريق بين

[1]- العيني،عمدة القارئ،ج1/385-387-388 كتاب الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه.

[2]- العيني،عمدة القارئ،ج1/325-326 كتاب الإيمان، باب: علامات المنافق.

[3]- نفسه، ج1/269: 270 كتاب الإيمان، باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم).

[4]- أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف تح عبد الحميد الهنداوي، ص18.

الصيغة والميزان له من الأهمية ما يكون منها التفريق بين علمي الصرف والصوت، وقد يتفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان،فالفعل "**ضرب**" صيغته"**فعل**" وميزانه "**فعل**"، ولكنهما قد يختلفان كما في فعل الأمر "**ق**"،وبهذا يتضح لنا الفرق بين الصيغة الصرفية التي هي القالب الذي يحيل إلى القيمة الدلالية،وبين الميزان الصرفي الذي يعد من عمل الباحث في مجال التصريف البحث، وقد يستعان به في تحديد صيغة الكلمة في كثير من الأحيان."[1].وهناك نماذج كثيرة اعتمدها العيني في شرحه أذكر منها بعض الصيغ وأحكامها ومعانيها:

* **أفعل التفضيل** :

عرفه أبو حيان "هو الوصف المصوغ على أفعل دالا على زيادته في محل بالنسبة إلى محل أخر."[2].وبغض النظر عن شروطه الثمانية عند علماء الصرف، وأحواله ومعانيه فإن العيني قد أشار إلى بعض أحكامه عند شرحه لحديث أبي هريرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل " :﴿ **أي العمل أفضل ؟ فقال الإيمان بالله ورسوله...**﴾ قوله (**أفضل**) ... فإن قلت "**أفضل**" أفعل التفضيل ولا يستعمل إلا بأحد الأوجه الثلاثة وهي الإضافة، واللام، ومنه فلا يجوز أن يقال: زيد أفضل. قلت إذا علم يجوز استعماله مجردا نحو: الله أكبر أي أكبر من كل شيء، ومنه قوله تعالى:(**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**) البقرة 61.وسواء في ذلك كون افعل خبرا كما في الآية، أو غير خبر كما في قوله تعالى:(**يعلم السرَّ و أَخْفَى**) طه7.وقد يجرد افعل معنى التفضيل، ويستعمل مجردا مؤولا باسم الفاعل نحو قوله تعالى:(**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ**)النجم32. وقد يؤول بالصفة كما في قوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**) الروم 27."[3]. وقد أشار العيني إلى أن افعل قد يأتي مجردا من معنى التفضيل فقد يُذكر " **أفعل**" ويراد به التوضيح لا التفضيل كما ورد في قول البخاري " باب قول الرجل فاتتنا الصلاة ..وكره ابن سيرين أن يقول : فاتتنا الصلاة. ولكن لتقل لم ندرك..وقول

[1]-المرجع السابق، ص18-19.

[2]- أبو حيان الأندلسي، إرتشاف الضرب من لسان العرب، تح رجب عثمان محمد ومراجعة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي مصر، ط1 1998م ج319/5.

[3]- العيني،عمدة القارى،ج280/1-283 كتاب الإيمان، باب: إن الإيمان هو العمل.

ابن سيرين أصح .. وقوله (**أصح**) ليس المراد منه أفعل التفضيل،لأنه إذا أريد به التفضيل يلزم أن يكون قول ابن سيرين صحيحا، وقول النبي صلى اله عليه وسلم أصح منه، وليس كذلك، وإنما المراد بأصح الصحيح،لأنه قد يذكر افعل ويراد به التوضيح لا التفضيل، وهذا الكلام من البخاري رد على ابن سيرين، لان الشارع جوز لفظ الفوات وابن سيرين كرهه."[1].

كما أشار العيني إلى أن أفعل التفضيل يستعمل مجردا مؤولا من اسم الفاعل لا من اسم المفعول قياسا، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: ":﴿ **أحب الصلاة إلى الله صلاة داوود..**﴾... قوله (**أحب الصلاة**) لفظة أحب بمعنى المحبوب وهو قليل إذا غالب افعل التفضيل أن يكون بمعنى الفاعل ."[2]. فإذا شذّ عن هذه القاعدة وجدنا العيني يشير إليه كما في حديث أبي هريرة ":﴿ **أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام،فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة...**﴾...قوله: (**بأرجى عمل**) أرجى على وزن :أفعل التفضيل بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل ، وأضيف إلى العمل لأنه الداعي إليه والسبب فيه."[3].

وقد اجمعوا على أن بناء أفعل التفضيل يكون من الفعل الثلاثي المجرد، واختلفوا فيما زاد على ذلك فأجاز بعضهم بناءه مما كان على "**أفعل**" " و ذلك كقولهم: هو أعطا م كم للدينار والدرهللمعروف وأنت أكرم لي من زيد أي أشد إكراما.والمكان أقفر من غيره، وهو مذهب سيبويه."[4].

وقد أشار العيني إلى ذلك عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري قال: ﴿**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار.فقلن،ولم يا رسول الله؟قال:تكثرن اللعن وتكفرن العشير،ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبت للب الرجل الحازم من إحداكن...**﴾... قوله"**أذهب**" أفعل التفضيل من

[1]- المصدر السابق، ج209/4، كتاب الآذان، باب: قول الرجل فاتنا الصلاة.

[2]- نفسه، ج462/5-363، كتاب المجتهد، باب: من نام عند السحر.

[3]- المصدر السابق، ج/5، 497، كتاب المجتهد، باب: فضل الطهور بالليل والنهار.

[4]- ابن يعيش، شرح المفصل، ج92/6، وينظر سيبويه، الكتاب، ج73/1.

الإذهاب،هذا مذهب سيبويه حيث جوز بناء أفعل التفضيل من الثلاثي المزيد فيه، وكان القياس فيه أشد إذهابا."[1].

* **صيغة تفعّل:**

وتأتي لمعان متعددة أشهرها "التكلف نحو: تشجع وتصبر، والاتخاذ نحو: توسد وتبنى والتجنب نحو: تهجد وتأثم، والتدرج نحو: تجرع وتفهم، والطلب نحو:تكبر وتعظم."[2] وإلى كل هذه المعاني لصيغة "**تفعل**" أشار العيني عند شرحه لما بوبه البخاري: ﴿ **باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته...**﴾ .قال: "**قوله:(تمطر)** يأتي لمعان: للتكلف كتشجع لأن معناه: كلّف نفسه الشجاعة والاتخاذ نحو: توسدت بتشديد الطاء على وزن "تفعّل"، وباب تفعّل التراب أي: اتخذته وسادة وللتجنب نحونأتم أي: جانب الإثم، وللعمل يعني فيدل على أن أصل الفعل حصل مرة بعد مرة نحو تجرّعته أي شربته جرعة بعد جرعة."[3].

* **صيغة فاعل:**

وتأتي لمعان متعددة أشهرها المشاركة نحو قاتل والمعاملة ففي حديث ابن عباس "﴿ **قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن...**﴾... **قوله: (فيدارسه)** من المدارسة من باب المفاعلة من الدرس وهو القراءة على سرعة وقدرْهُ عليه.... والمدارسة المقارأة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (**وليقولوا دارست**) الأنعام150. أي قرأت على اليهود وقرأوا عليك، وههنا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يتناوبان في قراءة القرآن لما هو عادة القراء بأن يقرأ مثلا هذا عَشْرًا وهذا عَشْرًا أتى بلفظ المدارسة، أو أنهما كانا يشاركان في القراءة أي يقرآن معا، وقد علم أن باب المفاعلة لمشاركة اثنين نحو: ضاربت زيدا وخاصمت عمرا."[4].

وقد تخرج صيغة "**فاعل**" عن بابها إلى "**فعل**" وذلك فيما أشار إليه العيني في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر**

---

[1]- العيني، عمدة القارئ، ج3/116-118 كتاب الحيض، باب: ترك الحائض الصوم.

[2]- ابن هشام، أوضح المسالك، ج4/308.

[3]- العيني، عمدة القارئ ج5/285، كتاب الاستنقاء باب: من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته.

[4]- المصدر السابق، ج/7 123-125 كتاب بدء الوحي الحديث 6.

من هجر ما نهى الله عنه...﴾... قوله : (المهاجر) هو الذي فارق عشيرته ووطنه... والتركيب يدل **على** قطع وقطيعة والمهاجر مفاعل منه ... فإن قلت: المهاجر من باب المفاعلة، وهي تقتضي الاشتراك بين الاثنين، قلت: المهاجر بمعنى الهاجر كالمسافر بمعنى السافر، والمنازع بمعنى النازع، لأن باب فاعل قد يأتي بمعنى فعل."[1].

* **صيغة تفاعل:**

وهي من الصيغ التي تعددت معانيها أشهرها "المشاركة نحو تضاربنا وتقاتلنا، والتكلف نحو تغافلت، وتعاميت، والتدرج: تزايد وتتابع، والتكرار نحو: تلاعب، وتساقط المطر."[2]. وقد أشار العيني إلى هذه الصيغة في قول البخاري "**باب: ما يكره من النمادح**" أي هذا بيان ما يكره من التمادح بين الناس الذي فيه الإطراء ومجاوزة الحد، وهو المراد من الترجمة، لأن الحديث يدل على هذا. قال بعضهم: هو مدح كل من الشخصين الآخر، قلت: ليس كذلك هذا الذي قاله من باب المفاعلة لمشاركة القوم ومن له أدنى مسكه من الصرف يعرف هذا".[3]. وقال سيبويه في ذلك: "أعلم أنك إذا قلت فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته ... وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا."[4]. وفرق العيني بين صيغة "**فاعل**" و"**تفاعل**" عند شرحه لحديث عبادة بن الصامت"﴿ **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم التمسوها في السبع والتسع والخمس...﴾**... قوله: **(فتلاحى)** بفتح الحاء من التلاحي بكسر الحاء وهو التنازع .و قال الجوهري:تلاحوا تنازعوا.و قال الشيخ قطب الدين:الملاحاة الخصومة و السباب،و الإسم اللحاء بكسر اللام ممدودا قلت الذي ذكره من باب المفاعلة والذي في الحديث من باب التفاعل؛ لأن تلاحي أصله: تلاحي بفتح الياء على وزن :تفاعل،قلبت الياء ألف لتحركها وانفتاح ما قبلها،و المصدر تلاح أصله: تلاحي فأعل إعلال قاض،فإن قلت: قد علم أن باب التفاعل:لمشاركة الجماعة نحو:تخاصم القوم،و باب المفاعلة لمشاركة اثنين نحو،قاتل زيد وعمرو، وكان القياس هنا أن يذكر

[1]- المصدر السابق، ج1/202-205 كتاب الوحي الحديث1

[2]- سيبويه، الكتاب ج4/69.

[3]- العيني، عمدة القارئ، ج15/212 كتاب الأدب، باب: ما يكره من التمادح.

[4]- سيبويه، الكتاب ج4/68-69.

من باب الملاحاة لأنها كانت بين رجلين.قلت:التحقيق في هذا الباب أن وضع فاعل لنسبة الفعل إلى الفاعل متعلقا بغيره،مع أن الغير فعل مثل ذلك. ووضع تفاعل لنسبته إلى المشتركين فيه من غير قصد إلى تعلق له،فلذلك جاء الأول زائدا على الثاني بمفعول أبدا،فإن كان تفاعل من فاعل المتعدي إلى مفعول كضارب، لم يتعد و إن كان من المتعدي إلى مفعولين كجاذبية الثوب،يتعدى إلى واحد. وقد يفرق بينهما من حيث المعنى.فإن البادئ في فاعل معلوم دون تفاعل وجاء "**تلاحى**" ههنا من باب التفاعل، لأجل اشتراك الاثنين فيه من غير قصد إلى تعلق له، وكذا البادئ فيه غير معلوم، ولما كان "**تلاحى**" ههنا من لاحيته لم يتعد إلى مفعول فافهم فإنه موضوع دقيق."[1].

*** صيغة استفعل:**

وتتنوع معانيها والأشهر منها "الطلب نحو استعملت منه الخبر، والتحول نحو استحجر الطين ووجود الشيء على صفة نحو استعظمته، والمتنونة والبلوغ نحو استرقع الثوب، والاتخاذ نحو استأجر."[2]. وقد جاءت هذه الصيغة في حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "﴿ **مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار...**﴾...**قوله: (استوقد نارا)** أي أوقد نارا يؤيده ما وقع في رواية مسلم من حديث جابر: (**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا**)، وقال بعضهم: زيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلاتها. قلت: معنى الإستفعال الطلب، ولكن قد يكون صريحا نحو: استكتبه أي طلبت منه الكتابة، وقد يكون تقديرا نحو: استخرجت الوتد من الحائط، وليس فيه طلب صريح واستوقد ههنا من هذا القبيل."[3].

كما جاءت في حديث الطويل أبي سفيان بن حرب مع هرقل وفيه: "(...**فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك**...) ...قوله (**استنكرنا**) من الإستنكار من باب الإستفعال، وأصل باب الاستفعال أن يكون للطلب، وقد يخرج عن بابه، وهذه اللفظة من هذا القبيل، يقال استنكرت الشيء إذا أنكرته، وقال الليث: الاستنكار استفهامك أمرا تنكره."[4]. ولكن العيني لم يذكر معنى الصيغة في هذا اللفظ بعد أن جزم أنها تخرج عن معنى الطلب، ولكني لمحت فيها معنى وجود الشيء على صفة نحو استعظم لأن في

---

[1]- العيني، عمدة القارئ، ج1/410-411 كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

[2]- هاشم طه شلاش، و عبد الجليل العاني، وصلاح مهدي الفرطوسي، المهذب في علم التصريف، بيت الحكمة، بغداد 198م، ص 99-100.

[3]- العيني، عمدة القارئ، ج1/170-171 كتاب أحاديث الأنبياء، باب: (ووهبنا لداوود سليمان..)

[4]- نفسه ج1/129-145 كتاب بدء الوحي باب: الحديث7.

الحديث "... وكان ابن الناظور صاحب إِلْياء وهرقل سقفا على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم الياء أصبح يوما خبيث النفس: فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر..."[1]. وهذا المشهد يوحي تبني هرقل بظهور النبي الخاتم فراعه ما رأى من النجوم فأصبح خبيث النفس فأنكر البطارقة صفته حين رأوه.

وخروج صيغة "استفعل" عن معنى الطلب الصريح إلى معنى الطلب تقديرا لم ينفرد به العيني بل ذكره بعض النحاة فهي عندهم "للطلب ومعناه نسبة الفعل إلى الفاعل لإرادة تحصيل الفعل المشتق منه، وذلك قد يكون صريحا نحو: استكتبته أي طلبت منه الكتابة، وقد يكون تقديرا نحو استخرجت الوتد من الحائط، فليس هذا طلبا صريحا في المعنى: لم أزل أتلطف أو أتحيل حتى خرج فنزل ذلك منزلة الطلب."[2].

*** صيغة المبالغة:**

وهي: "ما حول للمبالغة من فاعل إلى فعال أو مفعال أو فعول بكثرة، أو فعيل أو فعل بقلة."[3]. وقد تعرض العيني لبعض صيغ المبالغة في حديث عائشة وهي تصف أحوال الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم "﴿ **أن الحارث بن هشام سأل رسول الله، فقال يا رسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس... قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقا...**﴾... وفيه تشبيه الجبين بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق، ولذلك وقع العرق تمييزًا لأنه توضيح بعد إبهام، وتفصيل بعد إجمال، وكذلك يدل على المبالغة باب: التفعّل لأن أصله وضع للمبالغة والتشديد، ومعناه أن الفاعل يتعاني ذلك الفعل ليحصل بمعاناته كتشجع إذ معناه: استعمل الشجاعة وكلّف نفسه إياها ليحصلها."[4]. واستعمال لفظ "**يتفصد**"

---

[1]- نفسه ج129/1.

[2]- فخر الدين أحمد بن الحسن الجابردي، شرح الشافية، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1984م، ج52/1.

[3]- جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تح موسى العليلي، 1983، ج639/1.

[4]- العيني، عمدة القارئ، ج69/1-79 كتاب بدء الوحي، باب الحديث 2.

مناسب لتلك المعاناة الشديدة التي كان يكابدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلقى الوحي من ربه. "وقوله يتفصد من الفاء والصاد المهملة أي: يسيل من التفصد وهو: السيلان، ومنه: الفصد وهو قطع العرق لإزالة الدم."[1].

وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **الكبائر: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس...﴾... الغموس**" بفتح الغين المعجمية على وزن فاعول بمعنى فاعل لأنها تغمس صاحبها في الإثم في الدنيا، وفي النار في الآخرة، وقال ابن الأثير: هو على وزن فعول للمبالغة وقيل: الأصل في ذلك أنهم كانوا إذا أرادوا أن يتعاهدوا أحضروا جفنة فجعلوا فيها طيبا أو رمادا أو وردا ثم يحلفون عندما يدخلون أيديهم فيها ليتم لهم المراد من ذلك تأكيدًا ما أرادوا، فسميت تلك اليمين إذا عذر خالفها غموسا لكونه بالغ في نقصْ العهد، وقال بعضهم[2]: وكأنها على هذا بمعنى مفعول لأنها مأخوذة من اليد المغموسة، انتهى. قلت: هذا تصرف من ليس له ذوق من العربية، وهي على هذا القول مأخوذة من غمس اليد لا من اليد، وهي على هذا أيضا بمعنى فاعل على ما لا يخفي على الفطن."[3]. والذي قاله العيني، ذهب إليه الزبيدي فقال: "نقله الزمخشري والصاغاني ومن المجاز في الحديث "**اليمين الغموس**"، وهي التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار، وقيل هي التي تقطع بها مال غيرك وهي الكاذبة الفاجرة، وفعول للمبالغة وبه فسر اليمين الغموس."[4].

5. عناية العيني بباب المصادر:

لقد تعرض العيني في تحليله الصرفي إلى بعض أنواع المصادر أثناء شرحه للأحاديث، والنماذج على ذلك عديدة أكتفى بالإشارة إلى بعضها:

* مصدر الهيئة:

وهو المصدر الذي يؤتى به للدلالة على هيئة وقوع الحديث، وقد ورد في حديث عائشة قالت: "﴿ **سأل رسول الله ناس عن الكهان، فقال: ليس بشيء. فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانا**

---

[1]- نفسه، ج1/77.

[2]- قوله (وقال بعضهم) يقصد بذلك ابن حجر الذي رأى أنها بمعنى مفعول قال :"وكأنها على هذا مأخوذة من اليد المغموسة فيكون فعول، بمعنى مفعولة" ينظر ابن حجر، فتح الباري ج11/681.

[3]- العيني، عمدة القارئ، ج15/719-720، كتاب: الإيمان والنذور باب: اليمين الغموس.

[4]- الزبيدي، تاج العروس، ج8/388.

بشيء فيكون حقا، فقال رسول الله: تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجني فيقرّها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة...﴾... قوله: (**كذبة**) بالفتح وحكى بالكسر، قال بعضهم: وأنكره بعضهم لأنه بمعنى الهيئة والحالة وليس هذا موضعه، قلت: هذا موضعه لأن كذبتهم بالكسر تدل على أنواع الكذبات، وهذا أبلغ من معنى الفتح على ما لا يخفى."[1].

***مصدر المرة :**

وأما اسم المرة فهو المصدر الذي يدل على حدوث الفعل مرة واحدة. ومثاله حديث أبي هريرة قال: "﴿ **كان رسول الله يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته –أحسبه قال هنية– فقلت بأبي وأمي يارسول الله إسكاتك بين التكبر والقراءة ماتقول؟ قال: أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد...﴾**...قوله (**إسكاته**) بكسر الهمزة على وزن: إفعاله،قال بعضهم: إسكاته من السكون. فقلت: لا بل من أسكت والسكوت من سكت، وهذا الوزن للمرة والنوع من الثلاثي المزيد فيه، زمن المجرد يجيئ على سكتة بالفتح للمرة، وبالكسر للنوع والأصل في المزيد فيه من الثلاثي والرباعي المجرد والمزيد أن مصدرها إذا كان بالتاء فالمرة والنوع على مصدرها المستعمل والفارق القرائن نحو إستقامة ودحرجة واحدة أو حسنة، وإن لم يكن بالتاء فالبناء على مصدره مزيد فيه التاء نحو: انطلاقة ودحرجة واحدة أو حسنة، وشد قولهم :أتيته إتيانه ولقيته لقاءة لأنها من الثلاثي المجرد الذي لا تاء في مصدره: إذ مصدرها إتيان ولقاء .والقياس :إتيه ولقيه. وقال الخطابي :معناه سكوت يقتضي بعده كلاما أو قراءة مع قصر المدة ،وأريد بهذا النوع من السكوت ترك رفع الصوت بالكلام."[2].

وذهب إليه العيني من أن اشتقاق"**إسكاته** " من الإسكات لا من السكوت وذهب إليه الزبيدي في التاج[3]، والجابردي في شرح الشافية[4] "**وإسكاته** " إسم للمرة على وزن إفعاله "لأنه يأتي من الثلاثي المزيد،

[1]– العيني، عمدة القارئ، ج14/734-735 كتاب الطب، باب الكهانة.

[2]– المصدر السابق، ج4/407-408-409، كتاب أبواب صفة الصلاة، باب: ما يقول بعد التكبير.

[3]– الزبيدي، تاج العروس،ج3/69، مادة (سكت.)

[4]– الجابردي، شرح الشافية، ج1/70.

والرباعي المجرد والمزيد على وزن مصدره المستعمل بزيادة التاء،وقد يوصف بواحدة ،ويكون على وزن إفعاله في الفعل (أفعل –يفعل) نحو أكرم إكرامةً."[1].

*** المصدر الميمي :**

وعرفوه بأنه " مايدل على معنى مجرد في أوله ميم زائدة وليس في آخره ياء مشددة بعدها تاء تأنيث مربوطة."[2]. وزاد بعضهم في غير صيغة المفاعلة[3] وقد تعددت النماذج لهذا النوع من المصادر أذكر منها : حديث البراءة أن "﴿ **النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده. أو قال أخوالِهِ من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا –أو سبعة عشر شهرا وكان يُعْجبه أن تكون قبلته قبل البيت...**﴾... قوله :(**قبل بيت المقدس**) بكسر القاف وفتح الباب الموحدة أي: نحو بيت المقدس وجهته والمقدس:بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مصدره ميمي كالمرجع أو إسم مكان من المقدس وهو الطهر أي المكان الذي يظهر فيه العابد من الذنوب أو تطهر العبادة من الأصنام، وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة وهو اسم مفعول من التقديس أي التطهير، وقد جاء بصيغة الفاعل أيضا لأنه يقدس العابد فيه من الآثام وفي العباب القدس والقدس مثال خلق وخلق الطهر إسم مصدره ومنه حظيرة القدس وروح القدس جبريل عليه السلام قال تعالى (**وأيدناه بروح القدس**) البقرة 87.وقيل له روح القدس لأنه خلق من الطهارة،القدس البيت المقدس."[4].

ومثاله أيضا حديث أنس بن مالك يقول "﴿ **بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم :أيكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكيء بين ظهرانيهم .فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكيء .فقال له الرجل :ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي قد أحببتك فقال الرجل للنبي: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد عليّ في نفسك .فقال: سل عما بدالك...**﴾...والمسألة: بفتح الميم مصدر ميمي

---

[1]– خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1988م، ص 224.

[2]- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف ط3، (د،ت)، ج141/3.

[3]– الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص92.

[4]– العيني، عمدة القارئ، ج356/1–359 كتاب الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان.

يقال: سألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالا ومسألة وقد تخفف الهمزة فيقال: سأل يسأل، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير (**سأل سائل**) المعارج1. بتخفيف الهمزة."[1].

*** المصدر واسم المصدر:**

المصدر كما عرفوه "هو الإسم الذي يدل على الحدث مجردا من الزمن والشخص والمكان."[2]. واسم المصدر: "هو ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه لفظا وتقديرا منه واسم المصدر منه بعض ما في فعله بدون تعويض "**كعطاء**" فإنه مساو لإعطاء معنى مخالف له بخلوه من الهمزة الموجودة في فعله، وهو خال منها لفظا وتقديرا لم يعوض عنها شئ."[3].وقد نقل السيوطي قول ابن الحاجب في التفريق بينهما فقال :" الفرق بين قول النحويين مصدر واسم مصدر أن الصدر الذي له فعل يجري عليه كانطلاق في انطلق واسم المصدر هو اسم المعنى وليس له فعل يجري عليه كالقهقري فإنه النوع من الرجوع ولا فعل له يجري عليه من لفظه وقد يقولون مصدر واسم مصدر في الشيئين المتغاربين لفظا إحداهما للفعل والأخر للآلة التي يستعمل بها الفعل كالطَّهُور والطَّهُور والأَكْل والأُكْل فالطَّهُور مصدر والطَّهُور اسم أي ما يتطهر به والأُكْل المصدر والأكل كل ما يؤكل."[4]. وللعيني إشارات في هذا الباب ومن ذلك لفظ مثابة في تفسير البخاري " **مثابة**" يثوبون يرجعون هو في قوله (**وإذ جعلنا البيت مثابة**) يعني مرجعا للناس من الحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه والمثابة : الموضع الذي يرجع إليه مرة بعد أخرى من ثاب ثوبا وثوبانا رجع بعد ذهابه وأصله مثوبة نقلت حركة الواو إلى ما قبلها ثم قلبت ألفا لتحركها في الأصل وانفتاح ماقبلها ونقل بعضهم عن أبي عبيدة أن مثوبة مصدر يثوبون. قلت :ليس بمصدر بل هو اسم للمصدر أو يجوز أن يكون مصدرا ميميا."[5].

ومثاله أيضا لفظ " **الحمى**" في حديث النعمان بن بشير يقول "﴿ **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم** يقول: (**الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن**

---

[1]- نفسه، ج26-28 كتاب العلم، باب: القراءة والعرض على المحدث.

[2]- خديجة الحديثي ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، 208.

[3]- ابن عقيل ،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج98/2

[4]- السيوطي الأشباه والنظائر ج227/2

[5]- العيني، عمدة القارئ،ج427/12 كتاب التفسير، باب (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

يواقعه ....﴾...قوله الحمى بكسر الحاء وفتح الميم المخففة وهو موضع حضوة الإمام لنفسه ومنع الغير عليه وقال الجوهري :حميته إذا دفعت عنه ،وهذا شيء حمي أي محظور لا يقرب،وقال بعضهم الحمى المِحْمي أطلق المصدر على اسم المفعول .قلت هذا ليس بمصدر بل هو اسم مصدر ومصدر حمى يحمى حماية."[1].

6. في باب الجموع :

عرفوا الجمع بأنه "الإسم الدال على أكثر من اثنين، موضوعا لمجموع الآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف، وله أوزان خاصة كرجال وكرام."[2]. ومن جملة اهتمامات العيني في البحوث الصرفية التي بسطها وبشكل متفاوت والتي كان لها دورها في شرح العيني للأحاديث اهتمامه بصيغ الجمع المختلفة ومن النماذج على ذلك وهي كثيرة لفظ "**أمة**" التي جاءت في " **باب تعليم الرجل أمته وأهله**" "**الأمة**": أصله بالتحريك لأنه يجمع على آم، وهو أفعل مثل: ناقة وأنيق ولا يجمع فعلة بالسكين على ذلك، ويجمع على إماء أيضا، ويقال: أموت أموة، والنسبة إليها أموي بالفتح، وتصْغيرها: أميّه، وهو اسم قبيلة أيضا، والنسبة إليها أموي أيضا بالفتح، وربما تضم. والفرق بين الجمعين أن الأول جمع قلة، والثاني جمع كثرة. وأصل آم: أءمؤ على وزن أفعل، كأكلب، فأبدل من ضمة الواو ياء فصار: أءمي، ثم أيمل إعلال قاض فصارأءم، ثم قبلت الهمزة الثانية ألفا فصار: آم، وأصل إماء إما وكعقاب، فأبدلت الواو همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة، ويجمع أيضا على إخوان مثل إخوان قال الشاعر:ا ترامى بنو الإموان بالعار."[3]. فيورد العيني اللفظ وجموعه المختلفة، ويبين ما يطرأ عليه من تغيير، ثم يرد المحذوف إلى أصله ليصوغ منه الجمع بعد ذلك.

وقد يذكر العيني للفظ الواحد جموعا متعددة زيادة في الإثراء والتوسع، وهو بذلك يقدم للقارئ ثروة لغوية يتزود بها أثناء اطلاعه على شرح حديث ما، ومن ذلك حديث أنس بن مالك **ثم أشار بيده إلى المدينة قال: ﴿ اللهم حرم ما بين لابتيها كتحريم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا...﴾**... قوله: (**لابتيها**) أي: لا بتي المدينة وهي تثنية لابة بالباء الموحدة الخفيفة، وهي الحرة

[1]- المصدر السابق، ج1/432-435، كتاب الإيمان باب: فضل من استبرأ لدينه.

[2]- محمد خالد رحال العبيدي، اسم الجمع في العربية دراسة نحوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، بغداد، المجلد0، العدد 16، 2008م، ص415.

[3]-العيني،عمدة القاريء، ج2/165 كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله.

والمدينة بين الحرتين، والحرة بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء وهي الأرض ذات الحجارة السود ويجمع على حر وحرار وحرات وحرين وأحرين وهو من الجموع النادرة، واللاّبّة تجمع على لوب ولابات ما بين الثلاث إلى العشر، فإذا كثرت جمعت على اللاب واللوب."[1].

ومثاله لفظ : "**قعود**" في حديث أنس قال: "﴿ **كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق... فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه. فقال : حق على الله أن لا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه...**﴾...قوله (**قَعُود**) يفتح القاف وهو ما استحق الركوب من الإبل ويقال القعود من الإبل، ما يعده الإنسان للركوب والحمل، وقال الأزهري عن الليث: القعود والقعودة من الإبل خاصة، ولم أسمع قعودة بالهاء لغير الليث، ولا يكون إلا للذكر، ولا يقال للأنثى: قعودة... وسَمع الكسائي من يقول: قعودة للقلوص وللذكر قعود، وجمع القعود قعدان، والقعادين جمع الجمع، وفي المحكم: القعدة والقعودة والقعود من الإبل ما اتخذ الراعي للركوب. والجمع: أقعده وقعد وقعائد. وقال الجوهري هو: البِكْر حتى يركب، وأقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن يدخل في السادسة فيسمَى جَمَلاً . "[2].

*** جمع القلة وجمع الكثرة وقيام أحدهما مقام الآخر:**

فرق علماء الصرف بين أنواع مختلفة من الجموع وجعلوا لكل نوع أبنية خاصة يصاغ منها: فجعلوا للقليل أبنية تغاير أبنية الكثير. ومثال جمع الكثرة: لفظ "**ثدي**" الواردة في حديث أبي سعيد الخدري "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره. قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين...**﴾... قوله "**الثدي**" بضم الثاء المثلثة وكسر الدال وتشديد الباء،جمع ثدي و هو على وزن فعل، كفلس يجمع على فعول كفلوس،وأصل الثدي الذي هو الجمع ثدوي علو وزن فعول،اجتمعت الواو والياء،وسبقت إحداهما بالسكون فأبدلت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء فصارت ثدي بضم الدال، ثم أبدلت كسرة من ضمة الدال لأجل الياء فصار ثديا، وجاء أيضا: ثدي بكسر الثاء أيضا اتباعا لما بعدها من الكسرة، وجاء جمعه ايضا على أثد، وأصله: أثدي على وزن

[1]-المصدر السابق، ج10/209-210 كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو.

[2]-نفسه، ج10/193-194 كتاب الجهاد والسير، باب: ناقة النبي صلى الله عليه وسلم.

أفعل: كيد تجمع على أيد، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء فصار أثد، وقال الجوهري: الثدي يذكر ويؤنث... واستعمال جمع الكثرة في "**الثديّ**" لأجل المطابقة .."[1].

ومثال جمع القلة لفظ "**الأنصار**" التي وردت في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **آية الإيمان حبّ الأنصار وآية المنافق بغض الأنصار...**﴾... قوله:(**الأنصار**) جمع ناصر كالأصحاب جمع صاحب ويقال جمع نصير كشريف وأشراف... والأنصار جمع قلة فلا يكون لما فوق العشرة لكنهم كانوا أضعاف الآلاف، والجواب: بأن القلة والكثرة إنما تعبران في ذكرات الجموع، وأما في المعارف فلا فرق بينهما."[2].

وقد أقر علماء اللغة قيام جمع القلة مقام جمع الكثرة، واستعمال جمع الكثرة للدلالة على جمع القلة لأن "العرب قد تستعمل اللفظ الموضوع للقليل في موضع الكثير من ذلك قوله تعالى : (**وهو في الغرفات آمنون**) سبأ37. وقال: (**إن المسلمين والمسلمات**) الأحزاب35. وذلك أن الجموع قد يقع بعضها موقع بعض ويستغني بعضها عن بعض، ألا ترى أنهم قالوا: رسن وأرسان، وقلم وأقلام واشتقوا بهذا الجمع عن جمع الكثرة."[3]. ومثاله في شرح العيني حديث عائشة أن "﴿ **النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء ثم يخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرُف بيده، ثم يفيض الماء على جلده كله...**﴾... قوله: (**ثلاث غرف**) بضم الغين المعجمة جمع غرفة بالضم أيضا، وهي قدر ما يغرف من الماء بالكف، وفي بعض النسخ: غرفات، والأول رواية الكشميهني وهذا هو الأصح لأن مميز الثلاثة ينبغي أن يكون من مجموع القلة، ولكن وجه ذكر الغرف أن جمع الكثرة يقوم مقام جمع القلة وبالعكس، وعند الكوفيين: فعل بضم الفاء وكسرها من باب جموع القلة ولقوله تعالى: (**فاتوا بعشر سور**) هود 13. وقوله: (**ثماني حجج**) القصص27."[4].

وناقش العيني مسألة أقل الجمع في لفظ (**أشراطها**) التي جاءت في حديث جبريل الطويل والذي جاء فيه قال:"﴿ **متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن**

[1]- المصدر السابق ، ج1/261-262-264، كتاب الإيمان، باب: تفاوت أهل الإيمان في الأعمال.

[2]- المصدر السابق، ج1/230-231-233، كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار.

[3]- ابن يعيش، شرح المفصل، ج11/5.

[4]- العيني ، عمدة القارئ، ج3/4-5-6، كتاب الغسل، باب: الوضوء قبل الغسل.

أشراطها...﴾... إن الأشراط جمع شرط، وأقله ثلاث على الأصح، ولم يذكر هنا إلا إثنان؟ وأجيب: إما أنه ورد على مذهب أن أقله اثنان، أو حذف الثالث لحصول المقصود بما ذكر، وقال بعضهم: في هذه الأجوبة نظر، ولو أجيب بأن هذا دليل القول الصائر إلى أن أقل الجمع اثنان لما بعد عن الصواب، قلت: هذا الذي قاله بعيد عن الصواب، لأنه كيف يكون هذا دليلا لمن يقول" إن أقل الجمع اثنان، لأنه لا يخلوا إما أن يستدل على ذلك بلفظ الأشراط، أو بلفظ: إذا ولدت، وإذا تطاول. فكل منهما لا يصح أن يكون دليلا. أما الأول: فلأنه لم يقل أحد أنه ذكر الأشراط وأراد به الشرطين، بل المراد أكثر من ثلاثة. وأما الثاني: فلأنه ليس بصورة التثنية حتى يقال: ذكرها وأراد بها الجمع فافهم. وقوله: أو حذف الثالث لحصول المقصود هو الجواب المرتضى، لأن المذكور من الأشراط ثلاثة. وإنما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها لأن البخاري ذكر هنا: الولادة والتطاول. وفي التفسير ذكر الولادة ورؤوس الحفاة... فَلِمَ ذكر جمع القلة والعلامات أكثر من العشرة في الواقع؟ وأجيب بأنه جاز، لأنه قد تستقرض القلة للكثرة وبالعكس، أو لفقد جمع الكثرة للفظ الشرط أو لأن الفرق بالقلة والكثرة إنما هو في النكرات لا في المعارف."[1].

*** اسم الجمع:**

عرفه ابن عصفور أنه "ما ليس له واحد من لفظه نحو قوم لأن واحده رجل، ونحو إبل لأن واحدة ناقة أو جمل."[2]. وعرفه ابن السراج: "اسم يقع على الجميع، ولم يكسر عليه واحد، وهو من لفظه."[3]. واسم الجمع لا يكون له واحد من لفظه كقوم ورهط وإبل، وشرطه أن يدل على أكثر من اثنين حتى يحافظ على معنى الكثرة (**الجمع**)، وأن يخالف أوزان الجموع الخاصة بالجموع. وزاد السيوطي "أن يساوي الواحد في خبرة ووصفه نحو: الركب سائر، وهذا ركب سائر، كما تقول: الراكب سائر، وهذا ركب سائر، وأن يساوي الواحد في النسب إليه، بأن نسب إليه على لفظه نحو: ركبي كما تقول: راكبي وأن يميز من واحده بنزع ياء النسب نحو: روم وتُرْك، فإن الواحد منهما: رومي وتركي، ومع ذلك لا يكون روم وترك ونحوهما جموعا، أو ميز من واحده بتاء التأنيث كبسر وبُسرة، وسفن وسفينة."[4].

---

[1]-المصدر السابق ، ج1/414-429 كتاب الإيمان باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام.

[2]- علي بن مومن بن محمد بن علي بن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تح صاحب أبو جناح، جامعة القاهرة، مصر، 1971م، ج147/1.

[3]- أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، الأصول في النحو، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988م، ج31/3.

[4]- السيوطي، همع الهوامع، ج184/2.

ومن الأمثلة عند العيني على اسم الجمع لفظ "**رهط**" الذي ورد في حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس، فترك رسول الله رجلا هو أعجبهم إليّ، فقلت يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله أني أراه مؤمنا...)... قوله (**رهطا**)... قال أبو زيد: الرهط ما دون العشرة من الرجال وقال صاحب العين الرهط عدد جمع من الثلاثة إلى عشرة، وبعض يقول: من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلا الثلاثة نفر، وتخفيف الرهط أحسن تقول: هؤلاء رهطك وراهطك، وهم رجال عشيرتك. وعن ثعلبة: الرهط بن الأبو الأدنى، وعن النصر: جاءنا أرهوط منهم، مثل أركوب، والجمع أرهط وأراهط. وفي المحكم: لا واحد له من لفظهن وقد يكون الرهط من العشرة، وفي الجامع والجمهرة: الرهط من القوم وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة وربما جاوزوا قليلا، ورهط الرجل نبو أبيه، ويجمع على أراهط، ويجمع الجمع على أرهاط وفي الصحاح رهط الرجل قومه وقبيلته، يقال: هم رهط دينه، والرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم إمرأة، والجمع أرهط وأرهاط. وفي مجمع الغرائب: الرهط جماعة غير كثيري العدد.[1]".

ومثاله أيضا؛ كلمة: "**عصابة**" والتي جاءت في حديث عبادة بن الصامت: "﴿ **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا...**﴾. ...قوله: "**عصابة**" بكسر العين، وهي الجماعة من الناس لا واحد لها، وهو ما بين العشرة إلى الأربعين، وأخذوا إما من العصب الذي بمعنى الشدة، كأنهم يشد بعضهم بعضا، ومنه العصابة أي الخرقة تشد على الجهة، ومنه العصب لأنه يشد الأعضاء بمعنى الإحاطة، يقال: عصب فلان بفلان إذا أحاط به."[2].

*** جموع نادرة أو خالفت القياس :**

قد يتعرض العيني أثناء تحليله الصرفي، وفي باب الجموع إلى أنواع من الجمع حكم عليها أهل الصرف بأنها نادرة جاءت على الشذوذ، أو يورد جموعا أخرى خالفت القياس ويبيّن ذلك والنماذج متعددة أذكر منها: كلمة "**يد**" على وزن فعل تجمع على أفعل وهي في قوله تعالى (**وأيديكم**) قال العيني: "جمع يد

[1]- العيني، عمدة القارئ، ج1/288-289-290 كتاب الإيمان باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة...

[2]- نفسه، ج1/234-236. كتاب الإيمان باب: الحديث 18.

وأصلها: يدي على وزن فعل بسكون العين، لأن جمعها أيدي، ويدي مثل: فلس وأفلس وفلوس، ولا يجمع فعل على أفعل إلا أحرف يسيرة معدودة مثل: زمن وأزمن، وحبل وأُحْبُل وعصا وأعص وقد جمعت الأيدي في الشعر على أياد قال الشاعر:

كأنه الصحصحان الأنجد *** قطن سخام بأيادي غزل

وهو جمع الجمع، مثل أكرع وأكارع."[1].

ومثال ذلك أيضا ما جاء في حديث البراء بن عازب قال: "جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد –وكانوا خمسين رجلا– عبد الله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم...)... قوله: (**على الرجالة**) بفتح الراء وتشديد الجيم، جمع راجل على خلاف القياس."[2].

7. الاحتجاج لمسائل الصرف عند العيني:

لم تكن المسائل الصرفية التي عرضها العيني في شرحه خلوا من الاحتجاج لها من القرآن أو الحديث أو الشعر أي من المسموع والقياس، شأنه في شأن المسائل النحوية التي أوردها بتلك الغزارة التي رأينا، مغرزة بمنهج احتجاجي رصين، وأثناء الجمع للمسائل الصرفية واستقرائها لاح لي أن السماع عند العيني ركن أساسي يحتج به في إثبات القواعد، والأمثلة في ذلك ما يلي:

احتجاج العيني بقراءة قرآنية في جمع "**كذب**" "**كذاب**" الواردة في حديث أبي سفيان مع هرقل، وجاء فيه: ﴿ **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا...﴾ ثم قال لترجمانيه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه**)... قوله: (**فإن كذبني**) بالتخفيف من: كذب يكذب كذبا وكذبا وكذبة، وفي العباب وأكذوبة وكاذبة ومكذوبا ومكذوبة... وجمع كذوب كذب مثال: صبور صبر، ويقال كذب كذابا بالضم والتشديد أي متناهيا، وقرأ عمر بن عبد العزيز: (**وكذبوا بآياتنا كذابا**) النبأ 28. ويكون صيغة على المبالغة كوضّاء وحسّان."[3].

---

[1]–المصدر السابق، ج2/322 كتاب الوضوء باب: ما جاء في الوضوء.

[2]– نفسه، ج10/358–359 كتاب الجهاد والسير باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب..

[3]– نفسه، ج1/128–138، كتاب بدء الوحي، باب: الحديث7.

ومثال احتجاجه بالحديث ما جاء في تصغير كلمة "**الرجل**" على "**رويجل**" التي جاءت في حديث الوحي: "﴿ **وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول...**﴾...قوله: (**رجلا**) والجمع رجل ورجالات مثل جمل وجمالات. وقال الكسائي: جمعوا رجلا رجلة مثل عنبة وأراجل... وتصغير الرجل: رجيل ورويجل أيضا على غير قياس كأنه تصغير راجل، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **أفلح الرويجل إن صدق...**﴾"[1].

وكان احتجاجه بالشعر كثيرا من ذلك لفظ "**أهل**" ومجيئه على أهال وذلك في حديث أبو مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "(إذا انفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)... قوله (على أهله) وفي العباب: الأهل أهل الرجل وأهل الدّار، وكذلك الأهلة، والجمع: أهلات وأهلون، والأهالي زادوا فيه الياء على غير قياس كما جمعوا ليلا على ليالي، وقد جاء في الشعر: أهال مثل: فرخ وأفراخ وأنشد الأخفش:

وبلدة ما الأنس من أهالها *** ترى بها العوهق من وثالها."[2].

واعتماد العيني على القياس في الاحتجاج ظاهر أيضا وأمثلته كثيرة أذكر منها: ما جاء في حديث حفصة قالت: "﴿ **كنا لمتع عواتقنا أن يخرجن في العيدين... قال: كنا نداوي الكلمى وتَقُوم على المرضى...**﴾"[3]... قولها: (**الكلمى**) جمع كلم وهو على القياس، لأنه فعيل بمعنى مفعول، والمرضى محمول عليه، والكلمى الجرحى، وقال ابن سيده: جمع كليم وكلوم وكلام وكلمة بكلمة من باب نصر ينصر وضرب ويضرب وكَلَمصا بالفتح مصدره، وكلمه جرحه..."[4]. ومثاله أيضا ما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "(**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا... وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا...**)... قوله (**أجادب**) بالجيم وبالدال المهملة: جمع جدب على غير قياس، كما قالوا في حسن

[1]- المصدر السابق، ج1/69- 76كتاب بدء الوحي، باب: الحديث2.

[2]- نفسه، ج1/462-464كتاب الإيمان، باب: اما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى.

[3]- المصدر السابق، ج1/69- 76كتاب بدء الوحي، باب: الحديث2.

[4]- نفسه، ج3/162-164كتاب الحيض، باب: شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين.

جمعه محاسن، والقياس أنه جمع محسن، أو جمع جديب وهو من الجدب الذي هو القحط، والأرض الجدبة التي لم تمطر."[1].

8. مذهبه الصرفي :

بعد استقراء المسائل الصرفية في مجملها يمكن الخلوص أن العيني نقل آراء المدرستين بشكل متفاوت حيث نقل عن الخليل وسيبويه والأخفش، مثلما نقل عن الكسائي والفراء وثعلب وغيرهم ولا يوجد في شرحه ما يدل على أنه اختار لنفسه مذهبا معينا يميل إليه، ويرجح آراءه، ولكن وجدناه يعرض أقوال المدرستين في المسائل التي ناقشها وكان يرجح ما يراه صوابا أو ما استقر عليه رأي الجمهور دون النظر إلى صاحب الرأي كوفيا كان أم بصريا وقد لا يوافق رأي بعض أصحاب المذهب البصري، كما لا يوافق بعض أصحاب المذهب الكوفي، ومثال ذلك ما جاء في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بُغض الأنصار**...﴾... قوله: (**آية الإيمان**) أي علامة الإيمان، وأصلها أوية بالتحريك، قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، قال سيبويه: موضع العين من الآية واو، لأن ما كان موضع العين واوا وموضع اللام باء أكثر مما موضع العين واللام ياءان، مثل: شويت أكثر من جبيت، وتكون النسبة إليه أوي. قال الفُراء: هي من الفعل فاعلة وإنما ذهبت منه اللام. ولو جاءت تامة لجاءت أيية، ولكنها خففت، وجمع الآية: آي وآيات، ويقال في النسبة إلى آية آيي. والمشهور أن عينها ياء ووزنها فاعة، لأن الأصل: آيية، فحذفوا الياء الثانية التي هي لام، ثم فتحوا التي هي عين لأجل تاء التأنيث."[2]. ويظهر في هذا النموذج عدم ميل العيني لا إلى الفُراء ولا إلى سيبويه بعد أن عرض قولها فالأول يمثل المدرسة الكوفية، والثاني يمثل المدرسة البصرية، واختار العيني المشهور.

ومما يبين أيضا عدم ميل العيني إلى مذهب بعينه استعماله للمصطلحات الشائعة عند المدرسين فتارة يستعمل "**ممنوع من الصرف**" وأخرى: لا مانع من إجرائه، وتارة يستعمل: ما لم يسم فاعله وأخرى: مبنى للمجهول. "ولقد ذكر العيني بسيبويه في نحو أربعة وعشرين موضعا، وذكر الفراء في نحو ثمانية عشر موضعا، وتجدر الإشارة أن العيني ذهب مذهب البصريين في أن المصدر أصل المشتقات، وقد صرّح

[1]- المصدرالسابق، ج2/106-108، كتاب العلم ، باب: فضل من علم وعلم.

[2]- العيني، عمدة القارئ، ج1/230-231، كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الانصار.

بذلك في شرحه... ولم يكن متعصبا لمذهب معين، وإنما كان بنقل آراء كلا المذهبين، ويرجح ما يراه صوابا شائعا... ولأجل ذلك نقول أن العيني قد اختار من مذهب الانتقاء مذهبا له."[1].

9. مؤاخذات على العيني:

رغم التميز الذي حظي به العيني في شرحه لصحيح البخاري، ورغم ما توافر لشرحه من الخصائص والتي تبوأها المراتب المتقدمة من بين الشروح الكثيرة للصحيح، إلا أنه لم يسلم من بعض الهينات، وجملة من المؤاخذات، والتي لن تنال من مكانته البتة، ولا يخدش ذلك من سمعته التي طبقت الآفاق، وسارت بها الركبان، ولقد رصد بعض الباحثين شيئا من هذه المؤاخذات التي لا يكاد يسلم منها بشر مهما بلغ من العلم، لاسيما إذا نظرنا إلى حجم الكتاب الذي ألفه العيني في شرح البخاري وهذه الموسوعة التي ما تركت شاردةً ولا واردةً إلاَّ أحاطت بها، ولا يمكننا في هذا الصدد أن ننسب العصمة إلى الإمام العيني ولا إلى غيره من البشر مهما أوتوا من بسطة في العلم والتقوى إلا الذين عصمهم الله تعالى وهم أصفياؤه من رسله و أنبيائه ولما تأملت في هذه الانتقادات التي وجهت للعيني وجدتها تنقسم إلى نوعين: قسم يتعلق بأسلوبه في الكتابة وطريقته في عرض الآراء ومناقشتها، وقسم من النقودات ينال من منهجه العام الذي رسمه لنفسه منذ البداية، ومما أخذ على العيني "كثرة نقده للشراح والسخرية منهم، ونسبة الجهل إليهم في علم التصريف وغيره، ومثال ذلك قوله: "﴿...﴾... وقال أيضا (**من له أدنى مسكة من الصرف يعرف هذا**) وقال: (**هذا تصرف من ليس له يد في العربية**). كما نجد العيني في أحيان كثيرة لا ينقل كلام ابن حجر كله بل يتقطع منه جزءا ويرد عليه، ويغفل تتمة الكلام الذي ذكره، وقد يكون رد العيني هو الرد نفسه الذي أغفله من كلام ابن حجر.. كما أن العيني أحيانا لا يكون دقيقا في النقل ولاسيما آراء ابن حجر، فينسب إليه ما لم يقله، ونرجح أن يكون هذا متعمدا نتيجة التنافس الحاد بينهما، ومثاله ما جاء في باب (**فضل من شهد بدرا**) في حديث أبي أسيد قال: "﴿ **قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: إذا أَكْثَبُوكُمْ فارموهم واستبقوا نبلكم...**﴾... قال ابن حجر في قوله:"(**استبقوا**):بسكون الموحدة فعل أمر بالاستبقاء أي طلب الابقاء.)، وقال العيني في قوله: "(**استبقوا**): أمر من الاستبقاء وقال بعضهم: هو أمر من الإبقاء قلت: ليس كذلك، ولا يقول هذا إلا

[1]– هدى محمد صالح عبد الجبار العبيدي، الدرس الصرفي بين ابن حجر العسقلاني في فتح الباري والعيني في عمدة القارئ، رسالة جامعية باشراف هاشم طه شلاش النعيمي، جامعة بغداد، العراق، 2004م، ص 147-148.

من هو عار عن علم التصريف) والمتأمل في قول ابن حجر يجده لم يقل ذلك، بل قال: أمر بالاستبقاء.. وهذا المسألة جاءت ضمن المسائل التي جاءت في كتابه (**انتقاض الاعتراض**.)."[1].

إن جده العيني تجاه مخالفيه لاسيما ابن حجر كما مر تفصيله في بابه أمر مشهود، والردود اللاذعة التي يستخدم فيها العيني ألفاظا قاسية فيها شيء من التهكم أمر أيضا ملموس، ولكن القول بأن العيني يتعمد اقتطاع عبارات من كلام ابن حجر أو أن ينسب إليه ما لم يقله، لا أستطيع أن أسلم به، وذلك أن الأمر أخلاقيا غير مقبول فهو التزوير بعينه، ولا أشك أن العيني ينأى بنفسه عن هذا خصوصا وقد عاش في عصر يزدحم بالعلماء النقدة، والأئمة المهرة، فكيف سيكون على أمر كهذا ثم إن ابن حجر في رده على اعتراضات العيني في كتابه: "**الانتقاض**" المشار إليه لم يقف طويلا عند هذه المسألة بالذات، ولم يشر إلى أن العيني يزور عليه كلامه.

كما وُجِّهت إلى العيني مؤاخذات أخرى بتعلق "بعدم التأمل والسرعة في بعض آرائه الصرفية التي لو تأتى فيها لأصاب عين الصواب، ومثال ذلك خروج صيغة "**تفعّل**" لمعنى الطلب إذ أنكر خروج "**تفعّل**" لمعنى الطلب، فلو تأمل وتثبت من آراء علماء اللغة لما أنكر ذلك، ثم إن العيني قد ألزم نفسه بسرد كل ما يتعلق باللفظ الذي يعلق عليها. إذ لم يكتف بذكر المعنى اللغوي والحكم الصرفي، بل تعداه إلى كل ما يمكن أن تكون عليه هذه الألفاظ عند دخول أحرف الزيادة عليها، وكذا اللغات التي جاءت عليها... وهذا الاستدراك الكثير قد يريك القارئ ويشتت ذهنه... ومثال ذلك ما قاله في قول محمد بن المنكدر في باب (عقد الإزار على التفاني الصلاة) قال: "﴿ **صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشحب، قال له قائل: تصلي في إزار واحد، فقال: إنما صنعت ذلك ليراني أحمق مثلك...**﴾ ... قال العيني في قوله (**أحمق**): (ومعناه الجاهل وهو صفة مشبهة من الحمق بضم الحاء وسكون الميم هو قلة العقل، وقد حمق الرجل فهو أحمق، وحمق أيضا بالكسر يحمق حمقا مثل غنم يغنم غنما فهو حمق، وإمرأة حمقاء وقوم ونسوة حمق وحمقى، وأحمقت الرجل إذا وجدته أحمق وحمقته تحميقا نسبته إلى الحمق، وحامقته إذا ساعدته على حمقه، واستحمقته أي عددته أحمق،وتحامق فلان إذا تكلف الحماقة."[2].

---

[1]- المرجع السابق، ص173-174.

[2]-المصدر السابق، ص 174-175.

أقول: إن هذا التطويل يحسب للعيني لا عليه، فهو يقدم للقارئ باقة متنوعة من المشتقات والصيغ يثري بها اللفظ من جوانبه المختلفة، ويعزز لديه معارف لغوية متنوعة، فأي تشتيت هذا الذي يسببه العيني بهذا الثراء للقارئ؟!وتلك مزية لا نجد شراح كثيرين وقفوا عند ألفاظ الحديث هذه الوقفات المعجمية والدلالية والصرفية مثلما تعمد العيني أن يلتزم به كلما سنحت له الفرصة وطاوعه اللفظ،ووجد في كثير المعاجم هذا الثراء الممتع. إنك تشعر أحيانا أن العيني يرتع في كتب اللغة ينتقي للقارئ الباحث ما يلبي حاجته، ويشفي غليله.

II. التحليل المعجمي وظواهره عند العيني:

كانت عناية العيني بمفردات الحديث عناية فائقة، فاقت كثيرا من شراح صحيح البخاري من قبله حيث كانت المصادر اللغوية والمعاجم على كثرتها وغناها والتي رجع إليها قد ساهمت في الإحاطة بالألفاظ الواردة في الحديث بشكل غزير، حتى بلغ التحليل المعجمي عند العيني مداه، وقدم به للقراء مادة لغوية غنية، وذلك من خلال المنهج الذي وضعه والأسلوب الذي انتهجه، والذي يمكن اعتباره منهجا علميا مدرسيا لدراسة الجوانب المعجمية في الحديث النبوي، ومن خلال أيضا الظواهر اللغوية التي تطرق إليها في هذا المجال، وعلى هذا الأساس يقدم العيني شيئا إضافيا للدرس المعجمي بالرغم من الخصوصية التي يكتسبها الخطاب النبوي، والأهمية البالغة التي حازها صحيح البخاري، والتحليل المعجمي في عمدة القارئ تكمن الإشارة إليه من خلال الظواهر اللغوية المتنوعة التي رسمت معالمه وحددت أشكاله وبشكل دقيق، وأهم هذه الظوا هر ما يلي:

1. الإشتقاق:

عرفت الدراسات الصرفية القديمة مصطلح الاشتقاق، واستعانت التآليف والجهود المعجمية بالصيغ الصرفية وتقسيماتها الجزئية لإثبات أصول اللفظ عند ترتيب المواد المعجمية، فكانت الصناعة الصرفية بالنسبة للمعجميين الوسيلة المثلى والأساسية للصناعة المعجمية. ولقد اختلف مفهوم ظاهرة الاشتقاق عند المتقدمين والمتأخرين فعرفوه بأنه " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة."[1].فالاشتقاق هو توليد الألفاظ بعضها من بعض، ولا يكون ذلك إلا بين الألفاظ التي يفترض أن بينها أصلا واحدا ترجع

[1]– عبد الله أمين، الاشتقاق، مكتبة الخانجي، القاهرة 2000م ص 7.

إليه وتتولد منه، فهو أشبه ما يكون عند الباحثين برابطة النسب بين الناس. " ولا شك أن هذه الطريقة في توليد الألفاظ تجعل من اللغة جسما حيا يتوالد أجزاؤه، ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق."[1].

ويلعب الاشتقاق دورا أساسيا في توليد الألفاظ، وتحديد الدلالة بأنواعه الثلاثة المشهورة وهي: الأصغر والكبير والأكبر، وأضافوا إليه نوعا رابعا وهو النحت، والذي يؤثر البعض أن يسميه الكُبار. وإن الناظر في عمدة القارئ للعيني، ومنهجه في التحليل المعجمي يجد أنه أحاط الألفاظ بكم هائل من المشتقات، ليصل إلى المعني ويكتشف الأصول ثم يبين العلاقات الرابطة فيما بينها، ولكن بأساليب مختلفة، فأحيانا يرد اللفظ مهما اختلفت صيغة إلى مادته الأصلية التي انشق منها لبيان العلاقة التي بينهما ومثاله لفظ: " **المنبر**" في حديث " عمر بن الخطاب على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...**﴾... قوله: (**على المنبر**) بكسر الميم، مشتق من النبر وهو الارتفاع. قال الجوهري: نبرت الشيء أنبره نبرا رفعته. ومنه سمي المنبر، قلت: هو من باب ضرب يضرب. وفي العباب: نبرت الشيء أنبره مثل: كسرته أكسره أي رفعته. ومنه سمي المنبر لأنه يرتفع ويرتفع الصوت عليه، فإن قلت: هذا الوزن من أوزان الآلة وقد علم أنها ثلاثة: مفعل كمحلب، ومفعال كمفتاح، ومفعلة كمكحلة. وكان القياس فيه فتح الميم لأنه موضع العلو والارتفاع. قلت: هذا ونحوه من الأسماء الموضوعة على هذه الصيغة، وليست على القياس، وقال الكرماني: وهو بلفظ الآلة لأنه آلة الارتفاع وفيه نظر لأن الآلة هي ما يعالج بها الفاعل المفعول كالمفتاح ونحوه، والمنبر ليس كذلك، وإنما هو موضع العلو والارتفاع والصحيح ما ذكرناه."[2]. ومثاله أيضا اشتقاق لفظ "**الملك**" في حديث عائشة "﴿ **أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول...**﴾... قوله:(**الملك**) ملأك تركت الهمزة لكثرة الاستعمال، واشتقاقه من الألوكة وهي الرسالة.يقال: ألكني إليه أي أرسلني. ومنه سمي الملك لأنه رسول من الله تعالى. وجمعه

[1]– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت ط 4، 1980م ص 174.

[2]– العيني، عمدة القارئ، ج1/ 50، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي.

ملائكة. قال الزمخشري الملائكة جمع ملأك على وزن الأصل، كالشمائل جمع شمأل، وإلحاق التاء لتأنيث الجمع. قلت: إنما قال كذلك حتى لا يظن أنه جمع ملك لأن وزنه فعل وهو لا يجمع على فعائل، ولكن أصله ملأك، ولما أريد جمعه رد إلى أصله، كما إن الشمائل وهي الرياح جمع شمأل بالهمز في الأصل لاجْمَعَ شمال لأن فعالا لا يجمع على فعائل. وفي العباب: الألوكة والألوك والمألكة والمألك: الرسالة، وإنما سميت الرسالة الألوكة لأنها تولك في الفم من قول العرب: الفرس يألك اللجام ألكا أي يعلكه علكا. وقال ابن عباد: قد يكون الألوك: الرسول .قال الصغاني: والتركيب يدل على تحمل الرسالة."[1]

وفي كثير من المواضع يتوسع العيني في أصول الألفاظ وما يطرأ عليها من تغيير في بنيتها، فيورد من التحليلات الصرفية ما يميز اللفظة حتى لا يلتبس معناها بما يشبهها في الحروف ويختلف عنها في المعاني. ومثال ذلك لفظ "**سنة**" في حديث " أنس بن مالك قال: "﴿ **أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا...**﴾... قوله:(**سنة**) بفتح السين أي شده وجهد من الجدوبة، وهو من قوله تعالى:(**ولقد اخذنا ءال فرعون بالسنين**) الأعراف 130. وأصل السنة سنهة بوزن جبهة فحذفت لامها ونقلت حركتها إلى النون، فبقيت سنة لأنها من سنهت النخل وتسنهت أي إذا أتى عليها السنون. وقيل: إن أصلها سنوة بالواو، فحذفت كما حذفت الهاء لقولهم: تسنيت عنده إذا أقمت عنده سنة: فلهذا يقال على الوجهين استأجرته مسانهة ومساناة. وأما السنة التي هي أول النوم فيكسر السين، وأصله وسن، لأنه من الوسن بفتحتين يقال: وسن يوسن- كعلم يعلم- سنة، فحذفت الواو وعوضت منها الهاء كما في عدة."[2] .

ومثاله أيضا لفظ "**جنازة**" في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال"﴿ **من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط...**﴾...**والجنائز** جمع جنازة بالجيم المفتوحة والمكسورة والكسر أفصح،وقيل بالفتح للميت وبالكسر للنعش،وقيل عكسه

[1]- المصدر السابق، ج1/ 77 كتاب بدء الوحي.

[2]- المصدر السابق ج5/ 108-109 كتاب الجمعة باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة.

مشتقة من جنز إذا ستر. وقال الجوهري:الجنازة بالكسر ،و العامة تقول بالفتح والمعنى للميت على السرير وإذا لم يكن عليه الميت فهو سرير ونعش .وفي العباب لإبن الأعرابي: الجنازة بالكسر السرير،والجنازة بالفتح :الميت .وقال ابن السكيت وابن قتيبة يقال الجنازة والجنازة.وقال الأصمعي:الجنازة بالكسر الميت نفسه .قال:والعوام توهمون أنه السرير.وقال النضر: الجنازة السرير مع الرجل جميعا.وقال الخليل: بالكسر خشب الشرجع وقد جرى في أفواه الناس الجنازة بالفتح،والنحارير ينكرون ذلك،وقال غيره:إذا لم يكن عليه ميت فهو سرير أو نعش وكل شيء ثقل على قوم واغتموا به فهو جنازة.وقال ابن عباد : الجنازة بالكسر المريض،و طعن فلان في جنازته إذا مات،وقال ابن دريد:جنزت الشيء اجنزه جنزا إذاسترته، وزعم قوم أن منه اشتقاق الجنازة. قال: ولا أدري ما صحته. وقال الليث، جنز الشيء إذا جمع، وقيل منه اشتقاق الجنازة، لأن الثياب تجمع على الميت. وقال ابن دريد: إن النوار لما احتضرت أوصت أن يصلي عليها الحسن البصري، فأخبر الحسن بذلك فقال: إذا جنزتموها فآذنوني. قال: فاستركنا هذه الكلمة من الحسن يومئذ يعني: التجنيز."[1].

انظر كيف يحشد هذه الأقوال عن كبار أهل اللغة لتفسير هذا اللفظ وما يعتريه من تغير حركته، وتغير في دلالته تبعا لذلك، ناقلا عن أشهر اللغويين وذكر منهم: الجوهري، وابن السكيت وابن قتيبة، والأصمعي، والخليل وابن عباد ،والليث، وابن دريد، والنضر، ناهيك عن أقوال غير منسوبة كل ذلك خدمة للفظ وإثراء للمعنى. وينبه العيني عن الاختلاف الموجود في أصول الكلمات التي اشتق منها، وانعكاس ذلك الاختلاف على تنوع الدلالة، وهذا ما يعين دائما على فهم اللفظ في سياقه وضبط دلالاته المختلفة ومثال ذلك في عمدة القارئ. لفظ: "**الشيطان**" في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم "قال: "﴿ **لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره...**﴾... قوله: (**الشيطان**) وزنه فيعال، إذا كان من شطن، وفعلان إذا كان من شاط. قال الزمخشري: وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية، وفي آخر زائدة. والدليل على أصالتها قولهم: تشطين واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير، أو من شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة. ومن أسمائه الباطل. وقال الجوهري: شطن عنه بعد، وأشطنه أبعده. قال ابن السكيت، شطنه يشطنه شطنا: إذا خالفه عن نية وجهه، وبئر شطون

[1]- نفسه ج1/397 – 398 كتاب الأيمان باب إتباع الجنازة من الإيمان.

بعيدة. والشيطان معروف، وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب: شيطان، والعرب تسمى الحية شيطانا، ونونه أصلية، ويقال إنها زائدة، فإن جعلته فيعالا، من قولهم تشيطن الرجل صرفته، وإن جعلته من تشيط لم تصرفه لأنه فعلان. وفي العباب: الشيطان واحد الشياطين، واختلفوا في اشتقاقه فقال قوم إنه من شاط يشيط أي هلك ووزنه فعلان. ويدل على ذلك قراءة الحسن البصري والأعمش وسعيد بن جبير وطاووس (**وما تنزَّلَت به الشَّيَاطِينُ**) الشعراء .210 وقال قوم: إنه من شطن أي بعد. وقال واصل: شاط من شاط الزيت أو السمن إذا نضج حتى يحترق، لأنه يهلك حينئذ. وتشيط احترق، وغضب فلان واستشاط أي احتد، كأنه التهب في غضبه، والتركيب يدل على ذهاب الشيء إما احتراقا وإما غير ذلك."[1].

وفي موضع آخر يضيف العيني تفصيلا حول معنى "**الشيطان**" ويبين مراتبه وأنواعه انطلاقا من أصل اشتقاقه والذي وقع خلاف بين أهل اللغة في أن أصله من "**شطن**" أو من "**شاط**". ففي حديث ابن عباس قال: "﴿ **انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين على قومهم فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين حيز السماء إلا شيء حدث...**﴾... قوله: (**الشياطين**) جمع شيطان ... والشياطين العصاة من الجن، وهم من ولد إبليس والمراد: اعتاهم وأغواهم، وهم أعوان إبليس ينفذون بين يديه من الإغواء. وقال الجوهري: كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان.وقال القاضي أبو يعلي: الشياطين مردة الجن وأشرارهم، ولذلك يقال للشرير: ماورد شيطان وقال تعالى: (**شيطان مارد**) الصافات **7**. وقال أبو عمر بن عبد البر: الجن منزلون على مراتب، فإذا ذكر الجن خالصا يقال: جنى، وإن أريد به أنه ممن يسكن مع الناس يقال: عامر، والجمع عمار، وإن كان مما يعرض للصبيان يقال: أرواح، فإن خبث فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو ماورد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره فهو عفريت، والجمع عفاريت. انتهى. وفي الحديث المذكور ذكر وجود الجن ووجود الشياطين ولكنهما نوع واحد، غير أنهما صارا صنفين باعتبار أمر عرض لهما وهو الكفر والإيمان،فالكافر منهم يسمى

[1]-المصدر السابق ج378/2 – 379 – 380 كتاب الوضوء باب التسمية على كل حال وعند الوقاع.

بالشيطان، والمؤمن بالجن."[1]. وفي موضع ثالث يكرر اختلاف الأصل الذي اشتق منه لفظ: "**شيطان**"، ففي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار**...﴾... قوله: (**الشيطان**):إما مشتقة من شاط أي هلك،من شاط فهو فعلان.وإما من شطن أي بعد فهو فيعال ...و قال الجوهري :الشيطان نونه أصلية ،ويقال: زائدة،فإن جعلته فيعالا من قولهم:تشيطن الرجل صرفته،وإن جعلته من تشيط لم تصرفه لأنه فعلان."[2]. والملاحظ أن تفصيل العيني في لفظ الشيطان وما اشتق منه في المواضع الثلاثة كان متفاوتا فما اختصره في كتاب العلم، فصله في كتاب الوضوء، وما فصله في كتاب الوضوء قد زاد عليه في كتاب أبواب الصلاة. وهكذا نجد العيني يمضي في هذا المجال متقصيا ومفصلا، فلا يغادر لفظا حتى يغنيه بكل ما يتعلق به من أشكال و دلالات.

ويرى بعض الباحثين أن القرآن قد توسع في ذكر لفظ "**الشيطان**" " فوردت جمعا وإفرادا معرفة ونكرة وبلغت في مجموعها سبعا وثمانين لفظة (87) وهي مرتبة وفق الكثرة كما يأتي: الشيطان 64/ الشياطين 16/ شيطان4/ شيطان 2/ شياطين 1/ شياطينهم 1/ .بينما "**إبليس**" ورد إحدى عشرة مرة فقط. ليوافق المقامات والمواقف التي يناسبها المعاني الإبليسية... والتسمية بإبليس تختلف عن التسمية بالشيطان، إذ لكل اسم منها ظلاله الدلالية، ونبراته الإيقاعية، ففضلا عن كون إبليس إسما علما عليه فإنه يتضمن أيضا معاني الإبلاس في اللسان العربي وهي مجتمعة فيه. وكذلك إسم الشيطان مشحون بمعاني الإغواء والإضلال. فاسم إبليس يتضمن وصفا للحال التي آل إليها بعد عز وطاعة بسبب فسقه عن أمر ربه فغشيته الحيرة والإفلاس والإبلاس والقنوط والحسرة التي لا تزول لذلك اقترن هذا الاسم في السابق بقصة سبب الوقوع في هذه الورطة. بينما الشيطان أوصاف تتعلق بأفعاله وسلوكه بعد اليأس حين تمحض للشر والصد عن الخير، ولذلك تكرر هذا في مقام الحديث عن إغوائه وإضلاله وتزينيه وحبائله التي ينصبها للإيفاء بوعيده وتحقيق عهوده علما بأن لفظ الشيطان أعم يدخل فيه إبليس وذريته وجنوده منه شياطين الإنس والجن... فكلما كان الكلام عن أفعال إبليس بالخلق من تزيين وإغواء كان

[1]- المصدر السابق ج4/ 479-481 أبواب صفة الصلاة باب الجهر بقراءة صلاة الصبح.

[2]-المصدر السابق، ج2/216-217 كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

المناسب أن يذكر الشيطان، وهو الأعم دلالة يدخل فيه إبليس ومردة الجن وعتات الإنس وشواذ الحيوان والملهيات عن الذكر والصارفات عن الحق من الأشخاص والأوصاف حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"﴿ **الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب**...﴾...حضا منه على الرفقة والاجتماع لأن الذئب يأكل من الغنم القاصية، والشيطان ذئب الإنسان."[1].

وقد وقف العيني أيضا عند لفظ " **قرة**" وفصل في الاختلاف الواقع في أصل اشتقاقها، والتي وردت في حديث عبد الرحمن بن أبي بكر " أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس... وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قال: يعني حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، نأكل منها أبو بكر...**﴾ ...

قوله: (**لا وقرة عيني**) كلمة لا زائدة للتأكيد،ونظائره مشهورة، ويحتمل أن تكون لا نافية واسمها محذوف أي: لا شيء غير ما أقول وهو قولها: (**وقرة عيني**) والواو فيه واو القسم وقرة العين يضم القاف وتشديد الراء: يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يجب الإنسان. قيل: إنما قيل ذلك لأن عينه تقر لبلوغ أمنيته، ولا يستشرف لشيء فيكون مشتقا من القرار. وقيل: مأخوذ من القر بالضم وهو البرد أي: إن عينه باردة لسرورها وعدم تقلقها. وقال الأصمعي: أقر إليه عينه أي أبرد دمعه لأن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة، وقال الداودي: أرادت بقرة عينها النبي صلى الله عليه وسلم فأقسمت به. وقال ثعلب: تقول قررت به عينا أقر. وفي الغريب المصنف والإصلاح: قررت وقررت قرة وقرورا. وفي كتاب المثنى لابن عديس: وقرة، وحكاه ابن سيده، وفي الصحاح: تقر وتقر، وأقر الله عينه أعطاه حتى تقر، فلا تطمح إلى ما هو فوقه. وقال ابن خالويه أي: ضحكت فخرج من عيني ماء قرور وهو البارد، وهو ضد أسخن إليه عينه، قال القزاز: وقال أبو العباس: ليس كما ذكر الأصمعي من إن دمعة الفرح باردة، والحزن حارة. قال: بل كل دمع حار. قالوا: ومعنى قولهم: هو قرة عيني إنما يريدون هو رضى نفسي. قال: وقرة العين ناقة تؤخذ من المغنم قبل أن يقسم فيطبخ لحمها ويصنع فيجتمع أهل العسكر عليه فيأكلون منه قبل

[1]– مصطفى شريقن، من إيحاءات اللفظ المترادف ودلالاته في القرآن الكريم، مجلة الآداب واللغات، تصدر عن كلية الآداب واللغات بجامعة الأغواط العدد السابع فيفري 2011 ص 143 – 145 – 147.

القسمة، فإن كان من هذا فكأنه دعا له بالفرح والغنيمة. وفي كتاب الفاخر: قال أبو عمرو: معناه أنام الله عينك المعنى صادف سرورا أذهب سهرة فنام. وحكى القالي: أقر الله عينك، وأقر الله بعينك."[1].

ومن أجل بيان المعني للفظ " **قرة** " أو غيرها يطوف بنا العيني بين كتب اللغة عامدا إلى أشهرها، ناقلا كلام أصحابها تفصيلا معجميا يقدم للقارئ ما يغني ويشفي، يختصر له الطريق في أنْ يعود إلى هذه الأمهات للنظر فيها، فمن الغريب المصنف إلى إصلاح المنطق، إلى الصحاح ثم إلى المحكم وكتاب المثنى إلى الكامل، ثم إلى كتاب الفاخر، وآمالي القالي، وغيرها...

ومن منهج العيني في التحليل المعجمي عنايته بإغناء معنى اللفظ بكم هائل من الصيغ المولدة منه إظهارا لحيوية اللغة وموافقتها للطبيعة، مؤكدا على وحدة الأصل وإن تعددت الأشكال والصيغ معتمدا قوانين الاشتقاق التي سار عليها اللغويون من قبل، والأمثلة في ذلك كثيرة أذكر منها مثالين: **الأول:** يتعلق بلفظ "**كذبني**" ومشتقاتها، والتي جاءت في حديث هرقل الطويل: " ... ثم قال لترجمانه: ﴿ **قل لهم إني سائل هذا عن الرجل فإن كذبني فكذبوه**...﴾...قوله:(**فإن كذبني**) بالتخفيف من كذب يكذب كذبا وكذبا وكذبة. وفي العباب: وأكذوبة وكاذبة ومكذوبا ومكذوبة، وزاد ابن الأعرابي: مكذبة وكذبانا مثل: غفران. وكُذْبي مثل: بُشْرى، فهو كاذب وكذاب وكذوب وكيذبان وكذيبان ومكذبان وكذبة مثل: تؤده. وكذبذب وكذبذبان بالضمات الثلاث، ولم يذكر سيبويه فيما ذكره من الأمثلة، وكذبذب بالشديد، وجمع الكذوب كذب مثال: صبور صبر. ويقال كذب كذابا بالضم والتشديد أي متناهيا... والكذب نقيض الصدق أي فعل إلى الكذب ونقل لي خلاف الواقع، وقال التيمي كذب يتعدى إلى المفعولين، يقال: كذبني الحديث وكذا نظيره صدق قال الله تعالى: (**قَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيا**) الفتح 27. وهما من غرائب الألفاظ ففعل بالتشديد يقتصر على مفعول واحد، وفعل بالتخفيف يتعدى إلى مفعولين."[2].

الثاني: يتعلق بلفظ "**البهتان**" الوارد في حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ﴿ **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف**...﴾... قوله: (**ببهتان**) البهتان:

[1]- العيني، عمدة القارئ ج4/ 137 – 140 – 141 كتاب مواقيت الصلاة باب السمر مع الضيف والأهل.

[2]-المصدر السابق ، عمدة القارئ ج1/ 128 – 138 كتاب بدء الوحي.

الكذب الذي يبهت سامعه أي يدهشه لفظاعته. يقال: بهته بهتانا إذا كذب عليه بما يبهته من شدة نُكره وزعم البناني أن أبا زيد قال: بهته يبهته بهتانا رماه في وجهه، أو من ورائه بما لم يكن، والبهّات الذي يعيب الناس بما لم يفعلوا. وقال يعقوب والكسائي: هو الكذب. وقال صاحب العين: البهت استقبالك بأمر تقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه. والإسم البهتان. والبهت أيضا الحيرة، وقال الزجاج وقطرب: بهت الرجل انقطع وتحير. وبهذا المعنى بهت وبهت. قال: والبهتان الكذب الذي يتحير من عظمه وشأنه، وقد بهته إذا كذب عليه، وزاد قطرب: بهاتة وبهتا. وفي المحكم: باهته استقبله بأمر يقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه، والبهتة: الباطل الذي يتحير من بطلانه، والبهوت: المباهت والجمع: بهت وبهوت، وعندي أن بهوتا جمع باهت لا جمع بهوت. وقراءة السبع ((**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**)) البقرة 258. وقراءة ابن حيوة: فبهت بضم الهاء لغة في بهت. وقال ابن جني: وقد يجوز أن يكون بهت بالفتح لغة في بهت، قال الأخفش: قراءة بهت كدهش وحزن، قال: وبهت بالضم أكثر من بهت بالكسر، يعني أن الضمة تكون للمبالغة. وفي المنتهى لأبي المعالي: بهتهُ يبهته بهتا إذا أخذه بغتة، وبهته بهتا وبهتانا فهو بهاة إذا قال عليه ما لم يفعله مواجهة، وهو مبهوت، والبهت لا يكون إلا مواجهة بالكذب على الإنسان... وفي الصحاح: بهت الرجل بالكسر إذا دهش وتحير، وبهت بالضم مثله، وأفصح منهما بهت لأنه يقال: رجُلٌ مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي. قلت: فيه نظر لما مر. ويقول القزاز: بهت يبهت. وفيه لغة أخرى وهي بهت يبهت بهتا قال هو وابن دريد في الجمهرة: هو رجل باهت وبهات... وقال الخطابي: ههنا قذف المحصنات وهو من الكبائر، ويدخل فيه الاغتياب لهن ورميهن بالمعصية، وقال أيضا: لا تبهتوا الناس بالمعايب كفاحا ومواجهة."[1].

وقد فطن العيني إلى نوع آخر من أنواع الاشتقاق حيث نبه أن اللفظ قد يتغير في بعض حروفه من نفس المخرج أو الصفة أو منهما معا فيتولد لفظ آخر يشبهه في المعنى، وهو الذي سموه الاشتقاق الكبير " ويسمى إبدالا لغويا تمييزا له عن الإبدال الصرفي، ويطلق عليه إبدالا اشتقاقيا لأنه من مباحث علم الاشتقاق."[2]. وقد سماه ابن فارس إبدالا فقال: " ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مدحه ومدهه، وفرس رفل ورفن، وهو كثير مشهور ألف فيه العلماء."[3]. وأورده

[1]- المصدر السابق ج1/ 234- 236- 237، كتاب الإيمان.

[2]- عبدالله أمين، الاشتقاق ص 1- 2.

[3]- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها،تح مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت 1983م ص 203 – 204.

ابن جنى في باب: " **تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**" فقال: " وهذا باب واسع من ذلك قوله سبحانه (**إنَّا أرسَلنا الشّياطين على الكافرين تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**) مريم 83. أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعني بالهمزة لأنها أقوى من الهاء."[1]. ومن الأمثلة على هذا اللون من الاشتقاق في عمدة العيني لفظ "**نضح**" في حديث عائشة قالت: "﴿ **يرحم الله أبا عبد الرحمن كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيطوف على نشائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا...**﴾... قوله: (**ينضخ**) بفتح الياء والضاد المعجمة بعدها خاء معجمة، أي يفور، ومنه قوله تعالى: (**فيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**) الرحمن 66. وهذا هو المشهور، وضبطه بعضهم بالحاء المهملة قاله الإسماعيلي. وكذا ضبطه عامة من حدثنا وهما متقاربان في المعنى. وقال ابن الأثير: وقد اختلف في أيهما أكثر، والأكثر بالمعجمة أقل من المهملة. وقيل: بالمعجمة الأثر يبقى في الثوب والجسد، وبالمهملة الفعل نفسه، وقيل بالمعجمة ما فعل متعمدا. وبالمهملة من غير عمد. وذكر صاحب المطالع عن ابن كيسان أنه بالمهملة لما رق كالماء، وبالمعجمة لما ثخن كالطيب. وقال النووي: هو بالمعجمة أقل من المهملة، وقيل عكسه. وقال ابن بطال: من رواه بالحاء فالنضح عند العرب كاللطخ، يقال: نَضَحَ ثوبه بالطيب، هذا قول الخليل. وفي كتاب الأفعال: نضخت العين بالماء نضخا إذا فارت، واحتج بقوله تعالى(**فيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**)الرحمن 66. ومن رواه بالحاء فقال صاحب العين: نَضَحَت العين بالماء إذا رأيتها تفور، وكذلك العين الناظرة إذا رأيتها مغرورقة، وفي الصحاح: قال أبو زيد: النضخ بالإعجام. الرش مثل النضح بالإهمال وهما بمعنى. وقال الأصمعي: يقال: أصابه نضخ من كذا، وهو أكثر من النضخ بالمهملة"[2]. ومثاله أيضا لفظ "**فلق**" في حديث عائشة قالت: "﴿ **أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...**﴾... قوله: (**فلق الصبح**) بفتح الفاء واللام وهو ضياء الصبح، وكذلك فرق الصبح بفتح الفاء والراء، وإنما يقال هذا في الشيء البين الواضح. ويقال: الفرق أبين من فلق الصبح. قال ابن عباس في قوله تعالى: (**فَالِقُ الاصْبَاحِ**) الأنعام 96. ضوء الشمس وضوء القمر بالليل. حكاه في كتاب التعبير. ويقال الفلق مصدر كالانفلاق، وفي المطالع قال الخليل: الفلق: الصبح. قلت:

[1]- ابن جني، الخصائص ج1/ 146.

[2]- العيني ،عمدة القاريء ،ج3/36-37-38،كتاب الغسل ،باب إدا جامع ثم عاد....وينظرأبو السعادات ،النهاية في غريب الحديث،محمودمحمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ،المكتبة العلمية ،بيروت،(د،ت)،ج70/5

فعلى هذا تكون الإضافة فيه للتخصيص والبيان. ويقال: الفلق الصبح لما كان مستعملا في هذا المعنى وفي غيره أضيف إليه إضافة العام إلى الخاص. كقولهم: عين الشيء ونفسه. وفي العباب يقال: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح...قال الكرماني: والصحيح أنه بمعنى المفلوق، وهو اسم للصبح، فأضيف أحدهما إلى الآخر لاختلاف اللفظين، وقد جاء الفلق منفردا عن الصبح قال تعالى (**قل أعوذ برب الفلق**) الفلق1. قلت: تنصيصه على الصحيح غير صحيح، بل الصحيح أنه إما اسم للصبح وجوزت الإضافة في اللفظين، وإما مصدر بمعنى المفلوق وهو الاشتقاق من فلقت الشيء أفلقه بالكسر، فلقًا إذا شققته، وأما الفلق في الآية فقد اختلفت الأقوال فيه."[1].

إن عناية العيني بظاهرة الاشتقاق بهذا الشكل المستفيض قد تميز به عن غيره من الشراح، وهو بذلك يعطي لناصورة واضحة على مساهمته في إبراز حيوية اللغة العربية، وقدرتها على التطور والتجدد ومن ثم النماء والشمول، لا سيما إذا قارنا جهده بجهد الكرماني الذي سبقه، وابن حجر الذي عاصره، فبالرغم من اعتنائهما بالألفاظ الواردة في الحديث، وبيان دلالتها، إلا أن العيني قد فاقهما وتفوق عليهما بالمادة اللغوية الثرة التي قدمها.

2. **الترادف**:

لقد شغلت مسألة الخلاف في وقوع الترادف في اللغة العربية فكر كثير من الباحثين ونالت من عنايتهم الشيء الكثير، " وما التصنيف في الألفاظ المترادفة، ومحاولة جمع أكثر قدر منها، والتصنيف في الفروق اللغوية إلا مظهرا من مظاهر هذا الخلاف وأثرا واضحا من آثاره."[2]. وقد بالغ المنْكرون لظاهرة الترادف في الإنكار، حتى راحوا يلتمسون فروقا دقيقة بين معاني الكلمات لم تخل في بعض الأحيان من التكلف والتغسف، ومن أوائل المنكرين للترادف ثعلب وتابعه ابن فارس فقال: " وسمي الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب."[3]. والترادف كما عرفوه " دلالة عدة كلمات مختلفة

---

[1]- المصدر السابق، ج1/ 83 – 86 كتاب بدء الوحي، لقد رجعت إلى بعض كتب التفسير فوجدت أقوالا كثيرة في معنى الفلق فهي: الصبح والخلق وبيت في جهنم واسم من أسماء جهنم: وقال الطبري (والصحيح الأول إنه فلق الصبح)، ينظر عماد الدين أبي الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم دار الأندلس بيروت ط8 ،1986م، ج7/418- 419.

[2]- حاكم مالك الزيادي، الترادف في اللغة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م ص .195

[3]- أحمد بن فارس، الصاحبي، ص 96- 97.

ومنفردة عن المسمى الواحد، أو المعنى الواحد دلالة واحدة أو هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد."[1].

ولقد دافع فريق من اللغويين عن الترادف وجواز وقوعه، وشددوا في الإنكار على خصومهم وأسهبوا في ذلك وكان الآمدي من المدافعين الأقوياء عن ظاهرة الترادف ردا على حجج المنكرين فقال: " ذهب شذوذ من الناس إلى امتناع وقوع الترادف في اللغة، مصيرا منهم على أن الأصل عند تعدد الأسماء تعدد المسميات واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى اللآخر، وجوابه أن يقال: لا سبيل إلى إنكار الجواز العقلي، فإنه لا يمتنع عقلا أن يضع أحد لفظين على مسمى واحد، ثم يتفق الكل عليه، أو أن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين على مسمى، وتضع الأخرى له اسما آخر من غير شعور كل قبيلة بوضع الأخرى، ثم يشيع الوضعان بعد ذلك."[2].

ولقد اهتم العيني بالترادف فأغنى اللفظ به وتوسع في إيراد المترادفات كلما سنحت له الفرصة، والأمثلة في ذلك كثيرة أكتفي بذكر بعضها: كلفظ: **"مزعة"**ا لتي جاءت في حديث " عبد الله بن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "﴿ **ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم**...﴾... قوله(**مزعة**) بضم الميم وسكون الزاي وبالعين المهملة: القطعة. وقال ابن التين: ضبطه بعضهم بالفتح الميم والزاي وقال أبو الحسن: والذي أحفظه عن المحدثين بالضم. وقال ابن فارس بكسر الميم، واقتصر عليه القزاز في جامعه، وذكر ابن سيدة الضم فقط، وكذا الجوهري قال وبالكسر: من الريش والقطن، يقال مزعت اللحم قطعته قطعة قطعة، ويقال: أطعمه مزعة من لحم أي قطعة منه.قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد أنه يأتي ساقطا لا قدر له ولا جاه أو يعذب في وجهه حتى سقط لحمه لمشاكله العقوبة في مواضع الجناية من الأعضاء، لكونه أذل وجهه بالسؤال، أو أنه يبعث ووجهه عظم كله فيكون ذلك شعاره الذي يعرف به. وقال ابن أبي جمرة: معناه انه ليس في وجهه من الحسن شيء، لأن حسن الوجه هو مما فيه من اللحم.[3]. فبعد بيان الخلاف في هذا اللفظ بين اللغويين ما بين ضم الميم وفتحها وكسرها، بين مرادفها. وكذلك لفظ: **"خلابة"** في حديث " عبد الله بن عمر أن رجلا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أنه يخدع في البيوع فقال: "﴿ **إذا بايعت فقل لا**

[1]- جلال الدين السيوطي، المزهر ج1/ 402.

[2]- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق ط2، 1982م، ج1/ 30- 32.

[3]- العيني، عمدة القارئ ج6/ 503 – 504 كتاب الزكاة باب من سأل الناس تكثرا.

خلابة...﴾... قوله (**لا خلابة**) بكسر الخاء المعجمة وتخفيف اللام أي: لا خديعة يقال: خلبه يخلبه خلبا وخلابة وخالبة، ورجل خالب وخلاب وخلبوت وخلبوب خداع الأخيرة عن كراع يعني خلبوب بالبائين الموحدتين، وقال الجوهري: خداع كذاب، وامرأة خلبوب على مثال جبروت، وخلوب وخالبة وخلابة. وفي المنتهى: الخلب القطع والخديعة باللسان، خلبه يخلبه من باب نصره ينصره، وخلبه يخلبه من باب ضربه يضربه، واختلبه اختلابا، والخلوب الخادع والخلابة الخداعة من النساء."[1].

3. المشترك اللفظي:

عرف اللغويون المشترك اللفظي بأنه: " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند تلك أهل تلك اللغة."[2]. وهو في مفهوم آخر: " ما اتحدت صورته واختلف معناه."[3].وقد اختلف أهل اللغة في وجود المشترك اللفظي في اللغة ما بين موسع ومنكر، فمن الموسعين الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو عبيدة، في حين تمسك بعض القدامى بإنكاره وكان منهم دُرَستويه الذي قال: "فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعني واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين.. فإذا اتفق البناءات في الكلمة والحروف، ثم جاء المعينان مختلفين لم يكن بد من رجوعهما على معنى واحد يشتركان فيه فيصيران متفقي اللفظ والمعنى."[4].وذهب بعض المعاصرين إلى نفس المذهب في عدم التوسع في ظاهرة المشترك" فلا يسلم المشترك إلا إذا دلت النصوص على اللفظ الواحد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين، أما إذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل، وأن الآخر مجاز له فلا يصح أن يعد هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره."[5].

ويتوسع العيني في الوقوف عند ظاهرة المشترك اللفظي في شرح الكلمات متبنيا مذهب اللغويين الذين قلبوا الوجوه المحتملة لدلالات الألفاظ، وأمثلته في ذلك عديدة ومن بينها لفظ: "**الأمة**" في حديث " معاوية يقول: "﴿ **سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي**

[1]- المصدر السابق ،ج8/ 393 – 394 كتاب البيوع باب ما يكره من الخداع في البيع.

[2]- السيوطي، المزهر ج1/ 369.

[3]- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ص 302.

[4]- رمضان عبد التواب،فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3 1994م ص 332.

[5]- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ص 180- 181.

أمر الله...﴾... قوله: (**هذه الأمة**) والأمة الجماعة. قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعني جمع. وكل جنس من الحيوان أمة. وفي الحديث: "﴿ **لو لا أن الكلاب امة من الأمم لأمرت بقتلها...﴾**... والأمة القامة، والأمة الطريقة والدين وقوله تعالى: (**كنتم خَيرَ أُمَّةٍ**) آل عمران 110. قال الأخفش: يريد أهل أمة أي: خير أهل دين. والأمة الحين. قال تعالى (**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**) يوسف 45. وقال (**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ**) هود 8. والأمة بالكسر لغة في الأمة، والأمة بالكسر أيضا النعمة. والأمة بالضم الملك أيضا، وإتباع الأنبياء أيضا، والأمة الرجل الجامع للخير أيضا، والأمة الأم، والأمة الرجل المنفرد برأيه الذي لا يشاركه فيه أحد."[1]. والعيني لا يكتفي ههنا بذكر المعاني المختلفة لهذا اللفظ بل يستشهد له من القرآن والحديث النبوي.

ومثال ذلك أيضا " **القنوت**" " في حديث زيد بن أرقم: "﴿ **إنا كنا لنتكلم في الصلاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ...﴾**... البقرة 238، **فأمرنا بالسكوت**... قوله: (**قانتين**)... واشتقاقه من القنوت وهو يرد لمعانٍ كثيرة بمعنى: الطاعة والخشوع والصلاة والدعاء والعبادة والقيام وطول القيام. وقال ابن بطال: القنوت في هذه الآية بمعنى الطاعة والخشوع لله تعالى. ولفظ الراوي يشعر بأن المراد به السكوت لأن حمله على ما يشعر به كلام الراوي أولى وأرجح، لأن المشاهدين للوحي والتنزيل يعلمون سبب النزول، وقول الصحابي في الآية: نزلت في كذا يتنزل منزلة المسند. وقال عكرمة: كانوا يتكلمون فنهوا عنها".[2].

وقد صرح العيني في موضع آخر أن لفظ "**القنوت**" لفظ مشترك قال: "فإن القنوت لفظ مشترك بين الطاعة والقيام والخشوع والسكوت وغير ذلك: قال تعالى: (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً**) النحل 120، وقال: (**أَمَّنْ هوَ قَانِتٌ آناءَ اللَّيلِ**) الزمر 9، وقال: (**ومَنْ يَقنُتْ منكُنَّ لله**) الأحزاب31، وقال: (**يا مريم اقنُتِي**) آل عمران43، وقال: (**وقُوموا لله قانتينَ**) البقرة 238، وقال: (**كلٌّ له قانتون**) البقرة116، وفي الحديث: (**أفضل الصلاة طول القنوت**)، وقد ذكر ابن العربي أن للقنوت عشرة معان، وقال شيخنا زين الدين وقد نظمتها في بيتين بقولي:

---

[1]- العيني، عمدة القارئ ج2/ 68– 69 كتاب العلم باب : من يرد الله به خيرا يفقّه في الدين.

[2]- المصدر السابق ج5/589-590، كتاب العمل في الصلاة باب ما ينهي من الكلام في الصلاة.

ولفظ القنوت أعدد معانيه تجده *** مزيدا على عشرة معاني مرضية

دعاء خشوع والعبادة طاعة *** إقامتها إقرارنا بالعبودية

سكوت صلاة، والقيام وطوله *** كذلك دوام الطاعة الرابح القنية"[1].

وبالرغم من التنوع في دلالة اللفظ من خلال المشترك إلا أن السياق له دوره في القبول والرد للمعاني المتعددة "فهو الذي يعيّن قيمة الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعنا أن ندل عليها."[2]. ومثال ذلك في عمدة العيني لفظ: **"قضى"** في حديث "ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره...**﴾... قوله: **(فقضى)** من القضاء وله معان متعددة يقال: قضى أي حكم، ومنه قوله تعالى: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ)** الإسراء23. وقضى حاجته أي: فرغ منها وضربه فقضى عليه أي: قتله، كأنه فرغ منه، وسم قاض أي: قاتل، وقضى نحبه قضاء أي:مات وقضى دينه أي أداه ،و قضى إليه الأمر:أي أنهاه إليه و أبلغه ،وقال تعالى **(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ)** الحجر66.وقضى إليه أي مضى إليه ،وقضاه أي صنعه،وقضاه أي قدره .قال تعالى : **(فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمواتٍ فِي يَوَمَيْنِ)** فصلت 12،و منه القضاء والقدر ،والمناسب ههنا :إما حكم أو قدرفافهم."[3].

وهكذا السياق هو المتحكم في إختيار المعنى المناسب لذلك التركيب،فلا يتجاوز المعنى الواحد أو المعنيين إذ التركيب بمثابة الوعاء الذي لا يسع إلا الكمية أو المقدار الذي صنع له،ولا يمكنه أن يتجاوز ذلك فيفسد الوعاء أو يضيع ما فيه، ومثاله أيضا عند العيني لفظ:**"قيعان"** في حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"﴿**مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ...**﴾...قوله **(قيعان)**بكسر القاف :جمع القاع وهي الأرض المتسعة، وقيل الملساء، وقيل :التي لا نبات فيها و المراد في الحديث قلت:أصل قيعان :قوعان قلبت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها، و القاع يجمع أيضا على :قوع وأقواع و القيعة بكسر القاف

[1]-المصدر السابق، ج5/238 كتاب الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده، من حديث أنس قال: (كان القنوت في المغرب والفجر)

[2]- محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار المشرق العربي، بيروت، ط4، 1969م، ص 310-311.

[3]- العيني عمدةالقاري، ج2/378-380 كتاب الوضوء باب التسمية على كل حال وعند الوقاع.

بمعنى القاع ."[1].وهكذا ثبت العيني تفوقه على عدد من الشارحين لصحيح البخاري المشاهير من خلال هذا التوسع اللغوي في العناية باللفظ من جوانب شتى، وهذا التحليل المعجمي المتميز.

4. التضاد :

لم تتفق كلمة أهل اللغة على وجود ظاهرة التضاد في العربية، كما اختلفت في الترادف والمشترك، فقد عرفوه بأنه: "مأخوذ من الضد، وضد الشيء مانافاه نحو: البياض والسواد والشجاعة والجبن وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، فالقوة والجهل يختلفان،وليسا ضدين وإنما ضد القوة الضعف وضد الجهل العلم، فالإختلاف أعم من التضاد، فكل تضاد اختلاف وليس كل اختلاف تضاد."[2]. وقد ألحقه السيوطي بالمشترك فجعله نوعا منه وذلك لأن"مفهوما المشترك إما أن يتباينا بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد، كالحيض والطهر فإنهما مدلولا للقرء، ولا يجوز إجتماعهما لواحد في زمن واحد،أو يتواصلا فإما أن يكون أحدهما جزءا من الآخر كصفة الأسود لذي السواد فيمن سميّ به. "[3].

وقد أنكر بعض اللغويين ظاهرة التضاد في العربية ومنهم ابن درسويه وأبو علي الفارسي وابن دريد و غيرهم، وإشترط بعضهم أن يكون استعمال اللفظ في معنيين في لغة واحدة "فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل بمعنى واحد، ثم تداخل الإثنان على جهة الاتساع . ".[4]و الصحيح أن ثمة ألفاظ متضادة في العربية لايمكن إنكارها و لكن لا مجال للتوسع فيها، وقد اهتم بعض القائلين بالتضاد فألفوا كتبا تحصي الألفاظ المتضادة، كأبي الطيب اللغوي وابن الأنباري، وابن السكيت وتطرب والأصمعي وغيرهم.

وكانت عناية العيني بالتضاد كفايته بالترادف و المشترك، حيث وفق عند الألفاظ المتضادة التي جاءت في الأحاديث ومن ذلك لفظ: "**شعبة**" التي جاءت في حديث أبي هريرة: "عن النبي صلى عليه وسلم قال: :"﴿ **الإيمان بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان**...﴾...قوله:(**شعبة**) بضم الشين وهي القطعة والفرقة، وهي واحدة الشعب وهي أغصان الشجرة. قال ابن سيده: الشعبة الفرقة والطائفة من الشيء، ومنه شعب الآباء وشعب القبائل، وشعبها الأربع وواحد شعب القبائل شعب بالفتح، وقيل

[1]- المصدر السابق، ج2/ 106 -109 كتاب العلم باب فضل من علم وعلّم .

[2]-رمضان عبد التواب،فصول في فقه اللغة ص332.

[3] -السيوطي، المزهر ج1 /387

[4]-محمد ابن القاسم الأنباري، الأضداد تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت 1960م ص 8.

بالكسر، وهي العظام، وكذا شعب الإناء صدعه بالفتح أيضا، وقال الخليل: "الشعب الإجماع والإفتراق أي هما ضدان، و المراد بالشعبة في الحديث الخصلة أي أن الإيمان ذو خصال متعددة."[1] ومثاله أيضا لفظ: "**وراء**" التي جاءت في حديث :"﴿ **أبي جمرة قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره...وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم .قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان،وان تعطوا من المغنم الخمس ونهاهم عن أربع :عن الحنتم والدباء، والنقير،والمزفت، وربما قال: المتير وقال احفظوهنّ واخبروا بهن من وراءكم**...﴾...ثم اعلم أن لفظة:"**وراء**" من الأضداد:لأنه يأتي بمعنى خلف، وبمعنى قدام،وهي مؤنثة،وقال ابن السكيت: يذكر ويؤنث وهو مهموز اللام ذكره الصغاني في باب: ما يكون في آخره همزة.وذكره الجوهري في باب :ما يكون في آخره ياء وقد غلط فكأنه ظن أن همزته ليست بأصلية وليست كذلك بدليل وجودها في تصغيره.وقال الكرماني في بعض الروايات:من ورائها بكسر الميم، قلت: قال الشيخ قطب الدين في شرحه:ولا خلاف أن قوله: نخبر به من وراءنا بفتح الميم و الهمزة .فإن قلت: صح ما قاله الكرماني فما تكون من الكسر؟قلت: إن صحت هذه الرواية يحتمل أن تكون "**مِنْ**" للغاية بمعنى: إن قومهم يكونون غاية لإخبارهم."[2]. و العيني في هذا اللفظ ناقل عن أهل اللغة الذين توسعوا في ذكر معانيه، وقد ذكروا الخلاف في ضدّيّته، فإن حمل على التواري و الخفاء في قول الفراء لأنهم أجازوا هذا في اللغة لأن ما بين يديك ما قدّامك إذا توارى عنه فقد صار وراءك."[3]. وزاد ابن قتيبة على قوله فقال: "كل ما غاب عن عينك فهو وراءك كان قدامك أو خلفك."[4].

وقد أورد الإمام العيني من الأضداد كلمة: "**عنوة**" الواردة في حديث "أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: :"﴿ **غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله.... فلما دخل القرية قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قالها ثلاثا، قال وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد ! قال عبد العزيز: وقال بعض أصحابنا، والخميس يعني**

---

[1] – العيني، عمدة القارئج1/193-197-198.كتاب الإيمان باب أمورالإيمان.

[2]- المصدر السابق ، ج1/433-448.كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان

[3]–أبو حيان، البحر المحيط في التفسيرج6/154 ،تح صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت .1992

[4]–ابو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة الدنيوري تأويل مشكل القرآن شرح وتحقيق اح مدصقر،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة 1954م ص189 .

الجيش. قال: فأصبناها عنوة فجمع السبّي فجاء دحية فقال يا نبي الله أعطني جارية من السبي. قال: إذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي...﴾... قوله :(**عُنوة**) بفتح العين وهو القهر، يقال: أخذته عنوة أي: قهرا، وقيل، أخذته عنوة أي عن غير طاعة، وقال ثعلب: أخذت الشيء عنوة أي قهرا في عنف، وأخذته عنوة أي صلحا في رفق وقال ابن التين: ويجوز أن يكون عن تسليم من أهلها وطاعة بلا قتال، ونقله عن القزاز في جامعه، قلت: فحينئذ يكون هذا اللفظ من الأضداد. وقال أبو عمر: الصحيح في أرض خيبر كلها عنوة: وقال المنذري: اختلفوا في فتح خيبر كانت عنوة أم صلحا؟ أو جلاء أهلها عنها بغير قتال؟ أو بعضها صلحا وبعضها عنوة وبعضها جلاء أهلها عنها؟ قال: وهذا هو الصحيح، وبهذا أيضا يندفع التضاد بين الآثار."[1]. وهكذا يؤثر اللفظ المتضاد على استنباط الحكم فما دام لفظ "**عنوة**" يحمل معنى القهر والرفق فإن شراح الحديث اختلفوا هل فتحت خيبر قهرا وعنفا أم فتحت صلحا ورفقا؟. كما وقع الخلاف بين الفقهاء في عدة المطلقة التي تحيض في قوله تعالى (**والمطلّقات يَتَرَبَّصن بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قروء**) البقرة 228 فلفظ القروء تحمل معنى الطهر ومعنى الحيض والمطلقة تعتد بالأطهار أم بالحيضات؟ ذلك أن "**القرء**" يستعمل بمعنى الحيض والطهر يعني هو من الأضداد، واختلف العلماء في الأقراء التي تجب على المرأة إذا طلقت فقال الضحاك والأوزاعي والثوري والنحفي وسعيد بن المسيب وعلقمة والأسود ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة والشعبي والربيع، ومقاتل بن حبان والسّدّي ومكحول وعطاء الخرساني: الإقراء الحيض، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأحمد في أصح الروايتين وإسحاق وهكذا روي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس ومعاذ وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري، وقال سالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبان بن ثمان والزهري وبقية الفقهاء السبعة ومالك والشافعي وأبو ثور وداود وأحمد في رواية: الأقراء هي الأطهار... والقرء جاء بمعنى الجمع والضم أيضا، قال الأصمعي: القرء بضم القاف، وقال أبو زيد بفتح القاف، وأقرأت المرأة إذا استقر الماء في رحمها، وقعدت المرأة أيام إقرئها أي أيام حيضها، وقال أبو عمر: أصل القرء في اللغة الوقت والطهر والحمل والجمع، وقال ثعلب: القروء الأوقات والواحد ثرء وهو الوقت وقد يكون حيضا ويكون طهرا، وقال قطرب: تقول العرب: ما أقرأت الناقة سلا قط،

[1]- العيني، عمدة القارئ، ج3/299-302 كتاب الصلاة، باب: ما يذكر في الفخذ.

أي لم ترم به وأقرأت الناقة قرءا، وذلك معاودة الفحل إياها،.. وقالوا أيضا، قرأت المرأة إذا حاضت وطهرت وقرأت أيضا إذا حملت، وقيل: هو من الأسماء المشتركة، وقيل: حقيقة في الحيض مجاز في الطهر."[1]. وهكذا وقع الخلاف في "**القرء**" على أنه من الأضداد أو هو من الأسماء المشتركة وهذا الأخير يعود بنا إلى ما ذكره السيوطي من أن التضاد نوع من المشترك كما مر من قريب.

5 . الفروق اللغوية:

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق اللغوي، أن العيني وجه عنايته بالفروق اللغوية أثناء نظرته الفاحصة للألفاظ التي تشابهت دلالتها، مشيرا إلى التباينات الدقيقة، والوجوه المختلفة وهي ظاهرة توجهت نحوها عناية اللغويين القدامى فألفوا في ذلك كتبا تحصي الألفاظ التي قد يبدو بينها الترادف والتقارب، ولكن بعد التدقيق والفحص يكتشف أن ثمة فروقا لا ينتبه إليها كثيرا من الناس. وكان ابن قتيبة واحدًا من هؤلاء في كتابه المشهور "**أدب الكاتب**" حيث عقد بابا خاصا عنوانه: "**باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه**."[2]. كما صنف أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية وجمع عددا هائلا من الألفاظ، وإن بدا عليه شيئا من التكلف في بيان وجوه الفرق بين طائفة من الألفاظ.

ويجتهد العيني في تتبع الألفاظ المتشابهة في المعاني، فينقل في ذلك عن أهل اللغة الفروق ويناقش أقوالهم ويفحصها فحصا يساهم بلا شك في إثراء الدلالة وتوسيع الفوائد، والتدقيق في بيان الأحكام المستفادة من الحديث، والأمثلة في ذلك موفورة أذكر من بينها لفظ: "**المعرفة والعلم**" في رواية من كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: :"﴿ **أنا أعلمكم بالله وأن المعرفة فعل القلب**...﴾..."فإن قلت ما حقيقة المعرفة؟ قلت: في اللغة المعرفة مصدر عرفته أعرفه، وكذلك العرفان، وأما في الاصطلاح أهل الكلام فهي معرفة الله تعالى بلا كيف ولا شبيه. والفرق بينهما وبين العلم: أن المعرفة عبارة عن الإدراك الجزئي، والعلم عن الإدراك الكلي، وبعبارة أخرى: العلم في إدراك المركبات، والمعرفة إدراك البسائط وهذا مناسب لما يقوله أهل اللغة من أن العلم يتعدى إلى مفعولين والمعرفة إلى مفعول واحد.»[3]. وفي موضوع آخر من كتاب العلم رجع إلى نفس التعريف بينهما قال: «أن العلمفي اللغة مصدر علمت أعلم علما. قال الجوهري: علمت الشيء أعلمه علما: عرفته بالكسر، فهذا كما

[1]- المصدر السابق، ج14/336-337 كتاب العدة، باب: قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء).

[2]- ابن قتيبة، أدب الكتاب، تح محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م، ص21.

[3]- العيني، عمدة القارئ، ج1/249-259.

ترى لم يفرق بين العلم والمعرفة، والفرق بينهما ظاهرٌ لأن المعرفة إدراك الجزئيات، والعلم إدراك الكليات، ولهذا لا يجوز أن يقال: الله عارف كما يقال: عالم."[1].

وفرق العيني بين: "**الأهل والآل**" في حديث أبي مسعود عقبة عمرو بن ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة**)...﴾... قوله(**على أهله**) وفي العباب: الأهل أهل الرجل وأهل الدّار .وكذلك لأهله، والجمع: أهلات وأهلون، والأهالي زادوا فيه الياء على غير قياس، كما جمعوا ليلا على ليالي وقد جاء في الشعر: أهال مثل: فرخ أفراخ وأنشد الأخفش.

وبلدة ما الأنس من أهالها *** ترى بها العوهق من وئالها

ومنزل أهلّ به أهله، وقال ابن السكيت: مكان مأهول فيه أهله، ومكان آهل له أهل، وقال ابن عباد: يقولون: هو أهله لكل خير بالهاء، والفرق بين الأهل الآل أن : الآل يستعمل في الأشراف، وفي العباب: آل الرجل أهله وعياله، وآله أيضا أتباعه، قال تعالى: (**كَدَأبِ آلِ فرعون**) آل عمران11. وقال ابن عرفة: يعني من آل إليه بدين أو مذهب أو نسب، وآل النبي صلى الله عليه وسلم عشيرته، وقال أنس. "﴿ **سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال: كل تقي...**﴾"[2].

وفرق العيني بين "**القراءة والعرض**" فيما أخرجه البخاري عن الحسن البصري قال:"...(**لا بأس بالقراءة على العالم**.)... فإن قلت: ما الفرق بين مفهومي القراءة والعرض؟ قلت: المفهوم من كلام الكرماني أن بينهما مساواة لأنه قال: المراد بالعرض هو عرض القراءة بقرينة ما يذكر بعد الترجمة، ثم قال: فإن قلت: فعلى هذا التقدير لا يصح عطف العرض على القراءة لأنه نفسها. قلت: العرض تفسير القراءة، ومثله يسمى بالعطف التفسيري، وقال بعضهم: إنما غاير بينهما بالعطف لما بينهما من العموم والخصوص لأن الطالب إذا قرأ كان أعم من العرض ومن غيره، ولا يقع العرض إلا بالقراءة، لأن العرض عبارة عما يعارض به الطالب أصل شيخه معه أو مع غيره بحضرته. فهو أخص من القراءة. قلت: هذا كلام مخبط لأنه تارة جعل القراءة أعم من العرض، وتارة جعلها مساوية له لأن قوله: لأن الطالب إذا قرأ كان أعم من العرض ومن غيره، مشعر بأن بين القراءة والعرض عموما وخصوصا مطلقا لاستلزام صدق أحدهما صدق الآخر كالإنسان والحيوان، وقوله: لا يقع العرض إلا بالقراءة مشعر بأن بينهما مساواة، لأنهما متلازمان في الصدق كالإنسان والناطق، والتحقيق في هذا الموضع أن العرض بالمعنى الأخص

[1]- نفسه، ج3/2.

[2]-المصدر السابق، ج1/462-464-465، كتاب الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة وكل امرؤ ما نوى.

مساو للقراءة، وبالمعنى الأعم يكون بينهما عموم وخصوص مطلق لاستلزام صدق أحدهما صدق الآخر، والمستلزم أخص مطلقا، واللازم أعم فالقراءة بمنزلة الإنسان والعرض بمنزلة الحيوان، وإنما قلنا: إن العرض له معنيان لأنه لا يخلو إمّا أن يكون بقراءة أو لا، فالأول: يسمى عرض قراءة. والثاني: عرض مناولة وهو أن يجيء الطالب إلى الشيخ بكتاب فيعرضه عليه، فيتأمل الشيخ وهو عارف متيقظ، ثم يعيده إليه ويقول له: وقفت على مافيه ، وهو حديثي عن فلان، فأجزت لك روايته عني، ونحوه."[1].

بهذ النفس الطويل يفصل العيني في مثل هذه الفروق، ويوقف القارئ على أدق التفاصيل أحيانا، والتي بها يتضح المعنى، ويرتفع اللبس، وتتمايز المفاهيم لا سيما تلك التي يظن الناظر فيها لأول وهلة أنها مترادفة، ولا يمكن التفريق بينها بحال، والعيني بهذا الجهد وبهذا المنهج يقدم للدارسين عددا من الآليات لتحليل الخطاب النبوي.

كما يفرق العيني بين "**الشح والبخل**" في "حديث جبير بن مطعم "﴿**بينما هو يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين، فعلقه الناس يسألونه حتى اضطروا إلى سمرة[2] فخطفت رداءة فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة[3] نعما لقسمته بينكم ثم لا يجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا...**﴾"... قوله: (**بخيلا**) قال الفراء: البخيل الشحيح، وقال ابن مسعود: البخيل ألا يعطي شيئا. والشحيح أخذه مال أخيه بغير حق، وقال طاوس: البخيل أن يبخل مما في يده، والشحيح أن يشح بما في أيدي الناس، يحب أن يكون له ما في أيدي الناس بالحلال والحرام. وقيل: البخل في اللغة دون الشح، والشح أشد منه، يقال: بخل يبخل بخلا وبخلا، وقيل: البخل أن يضن الإنسان بماله أن يبذله في المكارم أو اللوازم. "[4].

ويبين العيني أيضا الفرق بين "**الضعف والمرض**" في حديث أبي مسعود الأنصاري قوله صلى الله عليه وسلم:"﴿ **أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف**

---

[1]–العيني، عمدة القارء،ج2/23–24–25 كتاب العلم، باب :القراءة والعرض على المحدث، وينضر الكرماني،الكواكب الدواري في شرح البخاري،ج13/1.

[2]– سمرة: واحدة السمر، وهي شجر طوال متفرق الرؤوس قليل الظل صغار الورق قصار الشوك جيد الخشب، وله نوار أصفر وصمغ أبيض قليل المنفعة، ويخرج من السمرة شيء يشبه الدم، يقال: خاضت السمرة إذا خرج منها ذلك.

[3]– العضاة: بكسر العين والمهملة وتخفيف الضاد المعجمة وفي آخرها هاء، يقرأ في الوصل والوقف بالهاء، وهو كل شجر عظيم له شوك، وواحد العضاه عضاهة وعضهة وعضة.

[4]– العيني، عمدة القارئ، ج10/131–132، كتاب الجهاد والسير، باب: الشجاعة في الحرب والجبن.

وذا الحاجة...﴾"... والفرق بين الضعف والمرض أن الضعف أعم من المرض، فالمرض ضد الصحة. يقال: مرض يمرض مرضا ومرضا مريض، ويقال المرض بالإسكان، مرض القلب خاصة . قال الصّغاني ، وأصل المرض الضعف وكلما ضعف فقد مرض، وقال ابن الأعرابي : أصل المرض النقصان : يقال بدن مريض أي ناقص القوة وقلب مريض أي ناقص الدين، وقيل المرض اختلال الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها. والضعف خلاف القوة ، وعد ضعف وضعيف، والفتح عن يونس : فهو ضعيف، وقوم ضعاف وضَعَفة وفرّق بعضهم بين الضَّعف والضُّعف فقال الضعف بالفتح في العقل والرأي، والضعف بالضم في الجسد ورجل ضَعُوف أي ضعيف ، فإن قيل : لم ذكر هذا لثلاثة، قلت لأنه متناول لجميع الأنواع المقتضية للتخفيف فإن المقتضية للتخفيف، فإن المقتضى له إما في نفسه أولا، والأول إما بحسب ذاته وهو الضعف أو بحسب العارض وهو المرض."[1].

تلك أهم الظواهر اللغوية التي وقف عندها العيني يميط اللثام عن خصائصها ودقائقها، موضحا ومحللا التحليل الدلالي الماتع، والتدقيق المعجمي البارع مستعينا في ذلك كما ذكرته بأبرز علماء اللغة ناقلا عن أشهر المعاجم العربية، وأحيانا من أجل لفظ واحد قد لا يستحق في شرحه التعرض إلى كثرة الأقوال، ولكنه يقف عنده مطولا يحشد له آراء أهل اللغة ، ويورد أقوالهم باذلافي ذلك غاية الجهد ، وهذا الذي امتاز به ، وتفوق به عن بقية شروح صحيح البخاري.

III. التحليل الدلالي عند الإمام العيني:

إن الحديث عن الظواهر اللغوية في عمدة القارئ كان من أهم ما ميّز الكتاب وأشاد به، ذلك أن العيني في شرحه للأحاديث قد توسع في الدرس اللغوي بشكل لافت شغل بعض الدارسين في جمع هذه القضايا اللغوية ودراستها وتصنيفها وبيان دورها في استنباط الأحكام وبيان الفوائد وإيضاحها فكان منها كما بينته آنفا ما يندرج في أبواب النحو المختلفة، ومسائل التصريف المتنوعة، وقضايا الدلالة والمعجم، وعلم البلاغة والبيان. ولقد سلك العيني في ذلك مسلك التفصيل، حتى إن تحليلاته اللغوية لكثير من المفردات تفوق أحيانا تحليلات المعجمين، وليس ذلك غريبا على عالم نشأ وترعرع في عصر موار بالنضج العقلي، مزدهر بالتفوق العلمي والثقافي، وليس ذلك بعيدا على عالم أسهم في إغناء المكتبة الإسلامية في ذلك الزمان بقائمة كبيرة من المؤلفات؛ في النحو والصرف والأدب والعروض وغيرها. وإن الناظر في

[1]- نفسه ج2/147-149 ،كتاب العلم ،با ب:الغضب في الموعظة والتعليم اذا راى ما يكره.وينظر ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية ص 109

عمدة القارئ ليجد نفسه أمام عالَم من الألفاظ يعكس منهج العيني في التحليل اللغوي في سبيل فهم النص من الناحية الدلالية والمعجمية، وقد سلك فيه مسلك أصحاب المعاجم، واقتفى أثرهم في تفسير دلالة اللفظ ما يعني القارئ ويشبع حاجته من غير الرجوع إلى كتب اللغة وأمهات المصادر. وقد تنوع منهج العيني في بيان دلالة اللفظ، وتفسير مفردات التفسير المعجمي الذي يحيط باللفظ إحاطة منهجية بعضها يتعلق ببنية الكلمة، وبعضها بالجانب الدلالي للفظ.

1. بيان بنية اللفظ ومظاهره:

كانت عناية العيني بالتحليل البنيوي للفظ عناية خاصة ساهمت وبشكل قوي مباشر في جلاء المعني ورفع اللبس الذي قد يحدث من وراء تشابه الألفاظ، وحمايتها من دواعي التحريف أو التصحيف الذي يخل بالمعني ويفسد بعد ذلك دقة الاستنباط ويؤدي إلى تحريف الكلم من بعد مواضعه. وهذا البيان لبنية الكلمة يتجلى في صور شتى ومظاهر متعددة تشكل في مجموعها معالم الدرس المعجمي والدلالي عند الإمام العيني ومن هذه الصور: اعتماد الأوزان الصرفية في تحديد بنية اللفظ ومثاله ما جاء في كتاب بدء الوحي "قوله: (**بدء**) على وزن فعل بفتح الباء وسكون الدال وفي آخره همزة"[1].ولفظ " (**هجرته**) بكسر الهاء على وزن فعله، من الهجر وهو ضد الوصل، ثم غلب ذلك على الخروج من أرض إلى أرض"[2]. وفي حديث هرقل " قوله: (**حزّاء**) بفتح الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة وبالمد على وزن فعال أي كاهنا، ويقال فيه الحازي، يقال: حزى يحزي حزا وتحزى إذا تكهّن."[3]. وقد يعمد إلى البيان بالمثال الذي محل قياس اللغويين مثل بيانه لكلمة (**بدء**) السالفة الذكر فبعد بيان وزنها قال:" بدأ الأمر بدوا مثل قعد قعودا أي ظهر. وفي " كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل العشاء" "قوله: (**نزولا**) جمع نازل كشهود جمع شاهد."[4].

وأحيانا كثيرة يقف مع اللفظ بجميع حركاته قبل أن يبين معناه ومثاله: " حديث علي قال: ﴿ **كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخْصَرَةٌ..**﴾... قوله (**مِخْصَرَةٌ**) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة والراء وهو

---

[1]- العيني، عمدة القارئ، ج37/1.

[2]- نفسه ج 1/ 51.

[3]- نفسه ج 1/ 141.

[4]- نفسه ج 4/ 91.

الشيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوه..."[1]. ومرة يهتم العيني ببيان رسم الكلمة كما فعل في كلمة (**الربا**) فقال: " مقصور من ربا يربو، إذا زاد فيكتب بالألف، وأجاز الكوفيون كتبه بالياء بسبب الكسرة، وقد كتب في المصحف بالواو، قال الغراء: إنما كتبوه بالواو لأن أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ولغتهم الربؤ، فعلموهم صورة الخط على لغتهم. قال: ويجوز كتبه بالألف وبالواو وبالياء."[2]. ويعمد العيني إلى بيان اللفظ بذكر باب الفعل، فإذا كان ثمة خلاف في بعض الألفاظ وقف يذكر الآراء واللغات كما فعل في حديث " إنما الأعمال بالنيات.. قوله (**بالنيات**) جمع نية من نوى ينوي من باب ضرب يضرب...وقوله (**ينكحها**) أي يتزوجها.. وقد يستعمل بمعنى الاقتران بالشيء.. وهو من باب ضرب يضرب"[3]. ومثاله في بيان الاختلاف الوارد في اللفظ ما جاء في تفسيره لكلمة " **الخبث**" من قوله عليه السلام ﴿ **اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث...**﴾ ... قوله (**من الخبث**) قال الخطابي بضم الخاء والباء، جماعة الخبيث، والخبائث جمع الخبيثة، يريد ذُكْرَانْ الشياطين وإناثهم، وعامة أصحاب الحديث يقولون: الخبث مسكنة الباء وهو غلط، والصواب مضمومة الباء قال: وقال ذلك لأن الشياطين يحضرون الأخلية وهي مواضع يهجر فيها ذكر الله فقدم لها الاستعاذة احترازا منهم. وفيه نظر لأن أبا عبيد القاسم بن سلام حكى تسكن الباء وكذا الفرابي في " **ديوان الأدب**" والفارسي في " **مجمع الغرائب**" ولأن فعلا بضمتين قد يسكن عينه قياسا على ككتُب وكتْب، فلعل من سكنها سلك هذا المسلك، وقال التوربشتي: هذا مستفيض لا يسع أحد مخالفته إلا أن يزعم أن ترك التخفيف فيه أولي لئلا يشتبه بالخبث الذي هو المصدر. وفي "**شرح السنة**": الخبث بضم الباء وبعضهم يروي بالسكون. وقال: الخبث: الكفر، والخبائث الشياطين. وقال ابن بطال: الخبث بالضم يعم الشر، والخبائث الشياطين، وبالسكون مصدر خبث الشيء يخبث خبثا، وقد يجعل إسما.."[4].

فهذا التحليل المعجمي الذي يبدأ بضبط حركات اللفظ والخلاف الوارد فيها، وينتهي ببيان الدلالة على اختلاف ما جاء فيها. ونلاحظ العيني يرد بعض الأقوال ويناقشها أقوال كبار اللغويين.

2. توظيف معاني الصيغ الصرفية لبيان الدلالة:

---

[1]- نفسه ج 6/ 257-259 كتاب الجنائز باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله.

[2]- نفسه ج 3/ 507-508-509 كتاب الصلاة باب تحريم تجارة الخمر في المسجد.

[3]- المصدر السابق ج 1/50- 52 كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2-المصدر السابق، عمدة القارئ ج2/ 383، كتاب الوضوء باب ما يقول عند الخلاء.

وهذا فضاء فسيح صال فيه العيني وجال حيث اعتمد على البناء الصرفي للفظ من أجل تحديد معناه والوقوف على دلالته، ولا يخفي التأثير الحاصل بين تغير المباني وتغير المعاني، وأن الصيغ الصرفية للكلم لها دور أساسي في التحليل الدلالي. وقد سلك العيني في توظيف معاني الصيغ الصرفية للكشف عن المعنى مسالك شتى لعل من أبرزها:

بداية تحديد نوع الصيغة مثل " قوله : (**بيت المقدس**) والمقدس بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال مصدر ميمي كالمرجع، أو اسم مكان من القدس، وهو الطهر أي الذي تطهر فيه العابد من الذنوب، أو تطهر العبادة من الأصنام. وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، وهو اسم مفعول من التقديس أي التطهير، وقد جاء بصيغة اسم الفاعل أيضا لأنه يقدس العابد فيه من الآثام وفي " العباب": القدس والقدس مثال: خلق وخلق الطهر، اسم مصدر..."[1]. وقد يبحث العيني في دلالة الصيغة على المعنى الأصلي، وعلى غير المعنى الأصلي ومثاله في الأولى: حديث عائشة: ﴿ **ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا**...﴾ ...قوله: (يتفصد) يدل على المبالغة التفعل لأن أصله وضع للمبالغة والتشديد، ومعناه أن الفاعل يتعانى ذلك الفعل ليحصل بمعاناته كتشجع إذْ معناه: استعمل الشجاعة وكلف نفسه إياها ليحصلها."[2].

وقد يرصد العيني ما تحتمله الصيغة من المعاني المحتملة وفي ذلك توسيع لدلالة اللفظ وإغناها كما في حديث : ﴿ **خرج علينا رسول الله بالهاجرة فأُتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به**...﴾... قوله: (**فيتمسحون به**) من باب التفعل وهو يأتي لمعان ومعناه ههنا: العمل يدل على أن أصل الفعل حصل مرة بعد مرة نحو: تجرعه أي: شربه جرعة بعد جرعة والمعنى ههنا كذلك.لأن كل واحد منهم يمسح به وجهه ويديه مرة بعد أخرى. ويجوز أن يكون للتكلف لأن كل واحد منهم لشدة الازدحام على فضل وضوئه كان يتعانى لتحصيله كتشجّع وتصبّر"[3]. ومثاله في الثانية: (دلالة الصيغة على غير المعنى الأصلي)لأن بعض الصيغ يقوم مقام بعض كورود صيغة " فعيل" بمعنى " مفعول" مثلا. وللعيني في هذا الباب نظرات ثاقبة وظف فيها علمه بالأبنية والتصريف وطول باعه في ذلك. والأمثلة لا حصر لها أو رد منها شيئا ومن ذلك حديث﴿ **أبي هريرة أن رسول الله قال: ينزل**

[1]– المصدر السابق ج 359/1 . كتاب الإيمان باب الصلاة من الإيمان.

[2]– نفسه ج 1/ 79 كتاب بدء الوحي، (الحديث الثاني).

[3]–المصدر السابق، عمدة القارئ ج2/ 536، كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس.

ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر يقول: من يدعوني فأستجيب له...﴾ قوله (**فأستجيب له**)واعلم أن السين في (**فاستجيب**) ليس للطلب، بل هو بمعنى أجيب وذلك لتحول الفاعل على أصل الفعل نحو: استحجر الطين."[1]. وكذلك حديث " أنس قال: ﴿**قدم أناس من عُكْل أو عُرَيْنه فاجتووا المدينة، ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأن يشربوا من أبوابها وألبانها، فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم...﴾**...قوله (**فجاء الخبر**) وفي رواية وهيب عن أيوب: (**الصريخ**) بالخاء المعجمة، وهو على وزن: فعيل بمعنى فاعل أي صرخ بالإعلام بما وقع منهم.."[2] ومنها حديث أم سلمة قالت: ﴿ **استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال:سبحان الله ماذا انزل الليلة من الفتن، وما فتح من الخزائن، أيقضوا صواحب الحُجُر، فرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة...﴾**... قوله: (**كاسية**) على وزن فاعلة من كسا ولكن بمعنى مكسوة كما في قول الحطيئة "[3]:

دع المكارم ترحل لبغيتها *** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قال الفراء : يعني المكسو، كقولك ماء دافق، وعيشة راضية لأنه يقال كسي العريان ولا يقال: كسا"[4].

ويهتم العيني أثناء بيان دلالة اللفظ بالزيادة في بنية الكلمة وأثر ذلك في تغيير الدلالة ومثالها في تفسير لفظ (**ربانيين**) في " قول ابن عباس: (**كونوا ربانيين**)... و**الرباني**، منسوب إلى الرب، وأصله الرّبيّ، فزيدت فيه الألف والنون للتأكيد والمبالغة في النسبة."[5]. وهذا الذي قاله العيني ذهب إليه سيبويه حينما قال: " زادوا ألفا ونونا في " **الرباني**" إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره، كأن معناه: صاحب العلم بالرب دون غيره من العلوم، وهذا كما قالوا: رحل شعراني، ولحياني، ورقباني إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة."[6].

---

[1]- نفسه ج 491/5، كتاب التهجد باب الدعاء في الصلاة إلى آخر الليل.

[2]- نفسه ج 648/2، كتاب الوضوء باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها.

[3]- الحطيئة، ديوان الحطيئة، دار صادر بيروت (د،ت) ص 50.

[4]- العيني، عمدة القارئ ج246/2 كتاب العلم باب العلم والعظة بالليل.

[5]- نفسه، ج 60/2 كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل.

[6]- سيبويه، الكتاب ج335/3.

3. تنويع وسائل إيضاح دلالة الألفاظ:

سلك العيني مسالك متنوعة في تفسير دلالة اللفظ، متأسيا بمن سبقه من أهل اللغة، إلى حد التوسع الذي يدل على غزارة الإطلاع بالمعاجم التي يرجع إليها، وقد يصل به الأمر في الاستطراد إلى المبالغة والتكلف، من غير أن يعود ذلك بفائدة أحيانا على شرح الحديث، ومن الوسائل التي اعتمد عليها العيني في إيضاح الدلالة: فقْرة شرح الكلمة بذكر ضدها مثال ذلك حديث عبد الله بن مسعود:" ﴿ **إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني...**﴾...قوله (**أنسى كما تنسون**) النسيان في اللغة خلاف الذكر والحفظ.."[1]. وأحيانا يشرح اللفظ بما فيه في اختلاف في حركات حروفه أو اختلاف بعض حروفه ومثاله في الأولى حديث "﴿ **إن مكة لا تعيذ عاصيا ولا فارًا بدم ولا فارا بِخَرْبة...**﴾... قوله (**بخربة**) بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها باء موحدة، وهي السرقة، وقال ابن بطال: الخربة بالضم: الفساد وبالفتح السرقة. وقال القاضي وقد رواه جميع رواة البخاري غير الأصيلي بخربة بالخاء المعجمة المفتوحة ورواه الأصيلي بخربة بضم الخاء، وقيل بضم الخاء العورة، وبالفتح يصح على أن المراد الفعلة الواحدة. وقال الخليل الخربة بالضم الفساد في الدين ، مأخوذ من الخارب وهو اللص، ولا يكاد يستعمل إلا في سارق الإبل وقال غيره: الخربة بالفتح السرقة و العيب.. وفي العباب: الخربة يعني بالفتح السرقة والعيب والبلية والخربة أيضا أعني بالفتح الغربال، والخربة بالضم ثقب مستدير.. وخرابة الإبرة ثقبها.. والخارب اللص. قال الأصمعي: هو سارق البعران خاصة، والجمع خراب بضم الخاء وتشديد الراء."[2].

ومثاله في الثانية: حديث سهل بن سعد الساعدي لما أم أبو بكر الناس في غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم " ﴿**فصلى أبو بكر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمكث مكانك...**﴾...قوله (**فصفق الناس**) بتشديد الفاء من التصفيق. قال الكرماني: التصفيق الضرب الذي يسمع له صوت، والتصفيق باليد التصويت بها.انتهى. التصفيق هو التصفيح بالحاء سواء

[1] – العيني، عمدة القارئ ج3/378 كتاب الصلاة، باب: التوجه نحو القيلة حيث كان.

[2] -المصدرالسابق ج2/197 كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب.

صفق بيده أو صفح، وقيل هو بالحاء: الضرب بظاهر اليد إحداهما على صفحة الأخرى، وهو الإنذار والتنبيه. وبالقاف ضرب إحدى الصفحتين على الأخرى وهو اللهو واللعب.. وفي بعض الروايات التصفيح للنساء ضرب بإصبعين من يمينها على كفها اليسرى. ويحتمل أنهم ضربوا اكفهم على أفخاذهم.. وفي رواية التصفيح التصفيق."[1].

وأحيانا يفسر اللفظ التفسير اللغوي ثم معناه الاصطلاحي زيادة في الإيضاح ومن ذلك حديث ابن مسعود المتقدم ""﴿ **وإذا شك أحدهم في صلاته فليتحر الصواب...**﴾...قوله: (**وإذا شك**) الشك في اللغة خلاف اليقين، وفي الإصطلاح الشك: ما يستوي فيه طرف العلم والجهل، وهو الوقوف بين الشيئيين بحيث لا يميل إلى أحدهما. فإذا قوى أحدهما وترجح على الآخر ولم يأخذ بما رجح ولم يطرح الآخر فهو الظن، وعقد القلب على أحدهما وترك الآخر فهو أكبر الظن، وغالب الرأي فيكون الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان."[2]. وتصل الإحاطة اللغوية عند العيني أحيانا عندما يقابل اللفظ بلغات غير عربية ناهلا من ثقافته باللغات الأخرى ومن الأمثلة على ذلك لفظ: "**الأقط**" في حديث " أبا سعيد الخدري قال: "﴿ **كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من إقط أو صاعا من زبيب...**﴾... قوله: (**من أقط**) بفتح الهمزة وكسر القاف وفي آخره طاء مهملة، وهو لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به ... ويقال له بالفارسية: ماستينه، وبالتركية: قراقرط، وبالتركمانية: قرط بضم القاف والراء."[3]. ومنها لفظ "ح**زمة**" في حديث الزبير بن العوام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فكيف الله بها وجههُ خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه....**﴾... و**الحزمة** بضم الحاء المهملة وسكون الزاي ما سمي بالفارسية: دسته."[4].

وفي شرح الألفاظ وبيان دلالتها يرتكز العيني على السياق وما يصاحب اللفظ ويقترن به في التركيب مما يساعد على توضيح المعني، وبيان اختلاف دلالته مع ما يمكن أن يضم إليه، وأحيانا يعزره بالشواهد المتنوعة ما يزيده وضوحا ومثاله لفظ "**الرب**" في حديث جبريل الطويل برواية أبي هريرة قال:

---

[1]- نفسه ج292/4 كتاب الآذان باب من دخل ليؤم الناس.

[2]- المصدر السابق ج 3/ 378 كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حيث كان.

[3]- المصدر السابق، عمدة القارئ ج580/6،كتاب الزكاة باب صدقة الفطر صاعا من طعام.

[4]- نفسه ج496/6 كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة.

"﴿ **كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟... قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها**...﴾...قوله (**ربها**) الرب المالك والسيد والمصلح، وفي الصباب رب كل شيء مالكه والرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال لغيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للمالك. وقال ابن الأنباري: ويقال الرب مُخففًا وربيت القوم أي كنت فوقهم، ورب الضيعة أصلحها وأتمها، ورب فلان ولده يربه ربا، ورب المكان أقام به، والربة المولاة... ويقال فلانة ربة البيت، وهن ربات الحجال."[1]. وهكذا يفسر العيني اللفظ بوصفه في سياقات مختلفة تكشف لنا عن الدلالات التي يحملها كلما أدخل في تركيب معين وهي طريقة اللغويين في الشرح انتهجها العيني في التحليل المعجمي.

كما يسوق الشواهد من الشعر والنثر في بيان الدلالة مما يزيد اللفظ وضوحا، فتارة يستشهد له من القرآن الكريم ففي شرحه كلمة (**تفترونه**) في حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله قال: ﴿ **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم**...﴾... قوله (**تفترونه**) من الافتراء وهو الاختلاف، والفرية الكذب. يقال غرى فلان كذا، إذا اختلقه، وافتراه اختلقه. الاسم الفرية، وفلان يفري الفرى إذا كان يأتي العجب في عمله. قال تعالى: (**لقد جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا**) مريم 27، أي مصنوعا مختلقا، ويقال عظيما."[2]. وتارة يستشهد له من الحديث الشريف كتفسيره للفظ (**أمة**) في حديث " معاوية قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أبا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله**...﴾...والأمة الجماعة. قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع، وكل جنس من الحيوان أمة، وفي الحديث (**لو لا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**.)..."[3]. ومرة يورد شواهد من الشعر لبيان استعمال اللفظ عند العرب ومعناه في سياقه من البيت الشعري أو المثل السائر. وغالبا ما تكون هذه الشواهد قد أوردها أهل اللغة أو النحاة في شواهدهم ومثال ذلك شرحه للفظ (**نوائب الحق**) في حديث عائشة في بدء الوحي "... (**فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب**

[1]- نفسه ج418/1 كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام.

[2]-المصدر السابق ج236/1 كتاب الإيمان، (باب بدون ترجمة).

[3]- المصدرالسابق ج70/1 كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

الحق...)... قوله (**نوائب الحق**) النوائب جمع نائبة وهي الحادثة والنازلة خيرا أو شرا، وإنما قال نوائب الحق لأنها تكون في الحق والباطل. قال لبيد:

نوائب من خير وشر كلاهما *** فلا الخير محدود ولا الشر لازب[1].

تقول: ناب الأمر نوبة نزل، وهي النوائب والنوب."[2]. وبواسطة المثل الذي قالته العرب سيوفه لبيان المعني كما في تفسير (**عيادة المريض**) في حديث البراء بن عازب قال: ﴿ **أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بإتباع الجنائز وعيادة المريض...**﴾... قوله (**وعيادة المريض**) من عدت المريض أعوده عيادة إذا زرته وسألت عن حاله، وعاد إلى فلان يعود عودة وعودا إذا رجع وفي المثل: العود أحمد، وأصل عيادة عوادة قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها طلبا للخفة"[3].

ويعود العيني باللفظ في بعض المرات إلى أصله الاشتقاقي من أجل تأصيل المفردة حتى يربط ذلك بالمعني، وقد أكثر من استخدام هذا الطريق في تفسير دلالة اللفظ ومن ذلك لفظ: (**السكين**) في حديث عمرو بن أمية: " ﴿ **أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتز من كتف شاة فدعي إلى الصلاة فألقى السكين فَصَلَّى ولم يتوضأ...**﴾... قوله: (**فألقى السكين**).. والسكين على وزن فعيل كشريت يذكر ويؤنث، وحكى الكسائي سكينة، ولعله سمي بذلك لأنه يسكن حركة المذبوح به."[4]. وقد فسره أهل اللغة أنه مأخوذ من السكون وهو الهدوء بعد التحرك، ومعنى السكين أخذ منه. هذا وإن التحليل المعجمي عند العيني قائم أيضا على حشد أقوال اللغويين من خلال ما لاحظته من العدد الضخم من المصنفات والأعلام الذين احتج بأقوالهم، وأغنى شروحه اللغوية بمادة غزيرة جدا تصل أحيانا إلى التطويل في شرح اللفظ الواحد، حتى إن القارئ ليجد نفسه أمام سيل عارم من المعاني بمصادرها وأقوال منسوبة إلى أصحابها، وذلك معلم أساس من معالم المنهج اللغوي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني رحمه الله.

4. عناية العيني بالتطور الدلالي:

---

[1]- ديوان لبيد بن ربيعة تح حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ص 349.

[2]- العيني، عمدة القارئ، ج1/90 كتاب بدء الوحي باب (بدون ترجمة).

[3]- نفسه ج9/6 كتاب الجنائز باب الأمر بإتباع الجنائز، وينظر أيضا أبو الفضل احمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال تح محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر، بيروت ط 3، 1972م، ج310/2.

[4]- نفسه، عمدة القارئ، ج580/2 كتاب الوضوء باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسوق. وينظر الأزهري تهذيب اللغة ج66/10 (مادة سكن).

الدلالة كما عرفها الدلاليون هي: " العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى."[1]. والموضوع الأساسي لعلم الدلالة هو المعنى لا سيما قضية التأصيل اللغوي بتحقيق الأصول الأولى للكلمات، وتثبيت جذورها التاريخية ونشأتها الأولى، في حين يرى بعض الباحثين أن " علم الدلالة لا يستوفي شروطه كاملة ما لم يبحث معني الكلمات على مستوى اللفظة المجردة في المعجم وفي التركيب على حد سواء لما يصاحب الألفاظ من ملابسات خاصة يستدعيها تنوع القصد، واختلاف المقام والوظيفة، فيصبح التماس معانيها في الأطر الدلالية كل مرة بمنظار جديد."[2]. وجهود العيني في تتبع دلالات الألفاظ، وإظهار معانيها كانت مميزة، ولكنها على سنن اللغويين من قبله في الوقوف على أصول الكلمات يفحصها فحصا شاملا، ويردها إلى مادتها الأولى كما عرفوها في كلامهم الفصيح. فكان من منهجه عنايته ببيان المعنى الأصلي للفظ، ولا شك أن هذا هو خير سبيل في نظر كثير من الدارسين، هاديا إلى الدلالة ومرشدا إليها، وبه يعرف ما إذا حدث تغير دلالي من خلال تغير السياقات، وتحدد الحاجات التواصلية التي تؤثر على الكلمة، ولم يكن العيني في هذا المجال في نظري سوى ناقلا عن أهل اللغة، ولكن ما ميز جهده هو سلوكه للمنهج التوضيحي التعليمي الذي خطه في شرح الحديث، وهو الأمر الذي لا نكاد نلمحه في خطة الشراح الذين سبقوه إلا شيئا قليلا. ومن هنا رصد العيني ثروة كبيرة من المفردات باذلا الجهد في بيان معناها الأصلي فجاءت عباراته في ذلك واضحة صريحة والأمثلة كثيرة أذكر منها: لفظ (**الظلم**) في حديث عبد الله بن مسعود قال " لما **نزلت** (**الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْم**) قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أينا لم يظلم؟..)... قوله: (**بظلم**) الظلم في أصل الوضع وضع الشيء في غير موضعه، يقال: ظلمه يظلمه ظلما ومظلمة والظلامة والظليمة المظلمة: ما تطلبه عند المظالم، وهو اسم ما أخذ منك..)[3] .ولفظ (**الكل**) في حديث عائشة: "﴿ **فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل**....﴾...قوله (**وتحمل الكلّ**) بفتح الكاف وتشديد اللام، وأصله النقل. ومنه قوله تعالى: (**وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَولاَهُ**) النحل 76. وأصله من الكلال وهو الإعياء. أي ترفع الثقل أراد تعيين الضعيف

1- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العربية، الكويت ط1، 1982م ص11.

2- مسعود بوبو، دراسات في اللغة، جامعة دمشق، 1984م، ص 99.

3- العيني، عمدة القارئ، ج321/1 كتاب الإيمان باب ظلم دون ظلم.

المنقطع، ويدخل في حمل الكل: الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك لأن الكل من لا يستقل بأمره. وقال الداودي: الكل المنقطع."[1].

وفي بيان دلالة اللفظ ينتقل أحيانا من المعنى الأصلي إلى المعنى المتطور كما نقل في لفظ (**الكفر**) في شرحه " لباب كفران العشير وكفر دون كفر".. وقوله (**وكفر**) عطف على كفران.. والكفران مصدر كالكفر، والفرق بينهما أن الكفر في الدين، والكفران في النعمة. وفي العباب: الكفر نقيض الإيمان.. والكفر جحود النعمة وهو ضد الشكر.. وأصل الكفر التغطية، وقد كفرت الشيء أكفره بالكسرة كفرا بالفتح أي سترته، وكل شيء غطى شيئا فقد كفره، ومنه الكافر لأنه يستر توحيد الله أو نعمة الله، ويقال للزارع: الكافر لأنه يغطي البذر تحت التراب، ورماد مكفور إذا سفت الريح التراب عليه حتى غطته."[2].

ومن منهج العيني في التحليل الدلالي عنايته ببيان سبب التسمية المفردات مهما كان نوعها أزمنة كانت أم أمكنة أم غير ذلك كما فعل في ذكر سبب تسمية (**رمضان**) في حديث ابن عباس قال: "﴿ **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان...**﴾... قوله:(**في رمضان**) أي شهر رمضان. قال الزمخشري: الرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء، فأضيف إله الشهر، وجعل علما ومنع من الصرف للتعريف والألف والنون، وسموه بذلك لا رتما منهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته."[3]. وفي سبب تسمية (**المزدلفة**) الذي وقع في حديث أسامة بن زيد قال: "﴿ **دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء، فقلت الصلاة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: الصلاة أمامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ...**﴾...قوله (**المزدلفة**) هي موضع مخصوص بين عرفات ومنى، وقيل سميت بها لأن الحجاج يزدلفون فيها إلى الله تعالى. أي يتقربون بالوقوف فيها إليه، وسمي أيضا جمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء، وازدلفت إليه أي دنا فلذلك سميت مزدلفة أيضا. وعن قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين.."[4].

---

[1]- المصدر السابق ج1/89 كتاب بدء الوحي (باب بدون ترجمة).

[2]- نفسه ج1/299. كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر.

[3]- نفسه ج1/125 كتاب بدء الوحي (باب بدون ترجمة).

[4]- نفسه، ج2/367 كتاب الوضوء، باب إسباغ الوضوء.

ولما كانت عناية العيني بالأصيل والتأصيل كانت عنايته ببيان الدخيل أيضا، ولا يخفي أن مسالة الدخيل لها صلة بأصل الدلالة فقد تعرض العيني للألفاظ الدخيلة في أثناء تحليله الدلالي " ولقد كان الاشتقاق وسيلة العرب التي اعتمدوا عليها لِيؤصِّلوا الكلم، ويميزوا الدخيل من العربي.. وأولى علماء العربية التأصيل اللغوي قدرا مهما من العناية والتتبع للجانب الاشتقاقي والصرفي، ولكن حين كان يفضي بهم هذا المسلك إلى معالجة الأعجمي، كانوا يكتفون بعزوه إلى لغة ما كالفارسية،دون الإشارة إلى أي ضرب من المقارنة بين الجذور الأصلية للغة العربية،واللغات السامية الأخرى على الأقل ولعل مرد ذلك إلى جهلهم بتلك اللغات،وصعوبة التأصيل عموما ،بما يحتاج إليه من إلمام بعلم الأصوات واللغات وتطورها وقواعدها."[1].

وطفق العيني يتتبع الدخيل من الألفاظ و يرده إلى أصله مقتفيا دائما آثار أصحاب المعاجم ناقلا أقوالهم يوافق مذاهبهم تارة،ويرد عليهم تارة أخرى. ومثاله لفظ " **الناقوس**" في حديث أنس قال: "﴿ **ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى...**﴾... قوله: (**والناقوس**) وهو الذي يضربه النصارى لأوقات الصلاة وقال ابن سيدة النقس: ضرب من النواقيس. وهو الخشبة الطويلة والوبيلة القصيرة. وقال الجواليقي ينظر فيه هل هو معرب أو عربي؟ وهو على وزن فاعول، قال ابن الأعرابي: لم يأت في الكلام فاعول لام الكلمة فيه سين إلا الناقوس، وذكر ألفاظا أخرى على هذا الوزن ولم يذكر فيها الناقوس، والظاهر أنه معرب."[2].

ورد العيني على ابن حجر في كلمة "**الهرج**" بأنها أعجمية الواردة في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "﴿ **قال: يقبض العلم ويظهر الجهل، والفتن ويكثر الهرج. قيل يا رسول الله وما الهرج؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل...**﴾...قوله: (**الهرج**) بفتح الهاء وسكون الراء وفي آخره جيم. قال في العباب: الهرج الفتنة والاختلاط.. وقال الصغاني: وأصل الهرج الكثرة في الشيء... وقال ابن دريد: الهرج الفتنة في آخر الزمان. وقال القاضي: الفتن بعض الهرج، وأصل الهرج والتهاريج الاختلاط والقتال... وقال الكرماني: إرادة القفل من لفظ الهرج غنما هو على طريق التجوز. إذ هو لازم معنى الهرج، اللهم إلا أن يثبت ورود الهرج بمعنى القفل لغة. وقال بعضهم (وهو ابن حجر) غفلة عما في البخاري في كتاب الفتن، والهرج القفل بلسان الحبشة. قلت: هذا غفلة لان كون الهرج

[1]–مسعود بوبو،أثر الدخيل على العربية الفحصي في عصر الاحتجاج ،منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دمشق 1982 ص225.

[2]– العيني، عمدة القارئ، ج145/4 كتاب الآذان باب بدء الأذان.

بمعنى القتل بلسان الحبشة لا يستلزم أن يكون بمعنى القتل في لغة العرب، غير أنه لما استعمل بمعنى القفل وافق لغة الحبشة، وأما في أصل الوضع فالعرب ما استعملته إلا لمعنى الفتنة والاختلاط،واستعملوه بمعنى القتل تجوزا. فإن قلت: قال صاحب المطالع: فسر الهرج في الحديث بالقتل بلغة الحبشة، ثم قال: وقوله: بلغة الحبشة وهم من بعض الرواة، وإلا فهي عربية صحيحة. قلت: لا يلزم من تفسيره في الحديث بالقتل أن يكون معناه القتل في أصل الوضع."[1]. وبعد ذكر هذه الأقوال في معنى الهرج ومناقشتها خلص العيني إلى أنها لفظ عربي موافق في ذلك أهل اللغة " أما الحكم بأنه لفظ حبشي فقد نقل عن أبي موسى الأشعري، ولعله سمعه من بعض الحبش منقولا إليهم عن العربية، ولم يكن من لغة قبيلته فظنه لفظا حبشيا."[2].

إن نظرة متأنية في البحث اللغوي الذي اجتهد فيه البحث اللغوي الذي اجتهد فيه العيني تجعلنا نقف على المساحة الواسعة التي خصصها لدراسة المفردات، وتحليل معانيها أثناء شرحه للأحاديث، هذه المساحة اللغوية الشاسعة كان منها فضاء لغويا مهما اعتنى فيه العيني بمسالة التطور الدلالي وأنواعها ومستوياتها كما بحثها علماء الدلالة، حيث تتبع التغيرات التي طرأت على معاني كثير من المفردات بأسلوبه الواضح الدفاق المعهود، فضلا عما يعطيه هذا التطور من ثراء للغة وقوة، ولا يمكن الإدعاء بأن العيني قد أضاف جديدا في مجال التطور الدلالي لم يسبقه إليه أحد، فتلك مسائل قد تأسست توسع البحث فيها بزمن قبل عصر العيني ولكن المقصود ههنا إظهار جهوده ومنهجه في تتبع مسالك تطور الدلالة، وهو الشيء الذي فاق فيه شراح صحيح البخاري الذين سبقوه. ولكن قبل ذلك أقول أن قضية التطور الدلالي بعوامله ومظاهره وبأسبابه وعلله وأنواعه ومستوياته قد قدم فيها الباحثون المحدثون بحوثا قيمة جديرة بالتنويه. فلقد كان " اهتمام علماء الدلالة بمسألة التطور الدلالي منذ أواخر القرن التاسع عشر، حاولوا خلاله تاطير تغير المعنى بقواعد وقوانين، فبحثوا في هذا المجال أسباب تغير الدلالة وأشكاله وصوره، وقد أدركوا أن التطور الدلالي هو تغير الألفاظ لمعانيها، فذلك أن الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة، فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في هذه العلاقة. ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاه متصاعد دائما، إنما قد يحدث أن يضيق أو يخصص، كما يتسع أو يعمم، فيكون

[1]– المصدر السابق، ج129/2 كتاب العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، وينظم ابن حجر، فتح الباري، ج242/1.

[2]– أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية القاهرة، ط 3، 1995م ص 67.

الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى الإتساعي أو العام، وقد يحدث العكس، فلذلك يفضل بعض علماء اللغة المحدثين مصطلح تغير المعنى عوض مصطلح التطور الدلالي."[1].

يرى الباحثون ويكاد ذلك يكون إجماعا أن اللغة كائن حي، تنمو وتتغير وتنتقل من جيل إلى جيل وهي تعبر عن أفكارهم وحياتهم، وما دام الفكر البشري في حالة تطور وتحول مستمر فاللغة كذلك لأنها وعاء هذا الفكر ومرآته العاكسة، وهي آلته المعبرة، فمن واجبها مسايرته في الرقي والاتساع والنمو، وتحدد الدلالة، لتتمكن من تلبية احتياجاته، والاستجابة لمنجزاته، والتعبير عن رغباته ومتطلباته." فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، وبالرغم من أن تطورها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان، في الأصوات والتراكيب والعناصر النحوية، وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور."[2]. ولقد اشتهر عند علماء الدلالة أن التطور الدلالي لا يخرج في أنواعه ومظاهره عن جملة من الأطر كانت محل بحث مستفيض، وذلك أن "نظرة متأنية إلى أي لغة من اللغات الإنسانية تجعل الباحث يطمئن إلى أن المفردات من أكثر العناصر اللغوية قابلية للتطور، وما انتقل المفردات من دلالاتها المحسوسة إلى دلالاتها المجردة، ومن دلالاتها العامة إلى دلالاتها الخاصة، ومن دلالاتها الخاصة على دلالاتها العامة، ومن دلالاتها الحقيقية إلى دلالاتها المجازية، وغيرها من أنواع نقل الدلالة إلا وجه من وجوه تأكيد هذا الحكم، وربما تتغير مدلولات كثيرة، لأن الشيء الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به، وما إلى ذلك."[3]. ولقد رصد العيني التطورات التي طرأت على كثير من الألفاظ التي شرحها، ولكنه لم يشر إلى أسباب حصول هذا التطور، ومن خلال الأنواع التي حددها علماء الدلالة يمكننا أن نلمح جهود العيني ومنه نلج إلى اكتشاف منهجه في التحليل الدلالي وتطور مدلولات الألفاظ، وأهم هذه الأنواع ما يلي:

أ. الانتقال من الخصوص إلى العموم:

ويكون ذلك بتوسيع معنى اللفظ في عدد ما كان يشملهم المفهوم، أو بتوسيع مجال استعماله فيصبح أرحب مما كان عليه، وهذا التوسع ضرب من الامتداد لظلال الدلالة، "من ثم تجديد الإفادة منها بوجه من وجوه المشابهة، والاتساع من دائرة الجمود في وضعها الأصلي إلى ميدان آخر معنوي أو

[1]– منقور عبد الجليل، علم الدلالة، اتحاد الكتاب العرب دمشق ط 1 2001م ص 69.

[2]– ستيفن أولمن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر دار غريب، القاهرة ط 12 1997م ص155.

[3]– إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، بيروت ط 1 1981م ص 36.

مادي."[1]. والأمثلة من تحليل العيني كثيرة منها: لفظ "**التثويب**" الذي ورد في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم "﴿ **قال: إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضِراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل**...﴾... قوله: حتى إذا ثوب بالصلاة بضم الثاء المثلثة وتشديد الواو المكسورة أي: حتى إذا أقيم للصلاة والتثويب ههنا الإقامة، والعامة لا تعرف التثويب إلا قول المؤذن في صلاة الفجر: "الصلاة خير من النوم"، حسب، معنى التثويب في الأصل الإعلام بالشيء والإنذار بوقوعه، وأصله أن يلوح الرجل لصاحبه بثوبه فيديره عند أمر يرهقه من خوف أو عدو، ثم كثر استعماله في كل إعلام يجهر به صوت..)"[2]. ومثاله أيضا لفظ "**ظهرانيهم**" في حديث أنس بن مالك فيقول:" ﴿ **بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد، والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ**...﴾... قوله :(**بين ظهرانيهم**) بفتح الظاء والنون وفي الفائق يقال: أقام فلان بين ظهري قومه، وبين ظهرانيهم أي بينهم، وأقحم لفظ الظهر ليدل على سبيل الاستظهار بهم. أي منهم والاستناد إليهم، وكان معنى التثنية فيه أن ظهرا منهم قدامه وآخر وراءه، فهو مكتوف من جانبيه، ثم كثر استعماله في الإقامة بين القوم مطلقا وإن لم يكن مكتوفا، وأما زيادة الألف والنون بعد التثنية فإنما هي للتأكيد،كما تزاد في النسبة نحو نفساني في النسبة إلى النفس ونحوه."[3]. وهكذا يعبر العيني على توسيع الدلالة وانتقال دلالة اللفظ من الخصوص إلى العام بقوله: (**ثم كثر استعماله**). وقد حكم بعض الباحثين أن تطور الدلالة من الخاص إلى العام أقل منها من العام إلى الخاص" وتعميم الدلالات أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها."[4].

ب.الانتقال من العموم إلى الخصوص:

[1]- محمد المبارك، فقه اللغة، مطبعة جامعة دمشق ط 1 1960م ص 190.

[2]- العيني، عمدة القارئ ج4/156-157 كتاب الآذان باب فضلُ التأذين.

[3]- نفسه، عمدة القارئ، ج2/26-27-28 كتاب العلم باب القراءة والعرض على المحدث. وينظر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تح على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ج1/41.

[4]- إبراهيم أنيس، في دلالة الألفاظ، دار الكتب، القاهرة ط 1 1997م ص 154.

والمراد به تضييق المعنى بعد توسع، وحصره بعد شموله، وهو تحويل الدلالة من المعني الكلي إلى المعنى الجزئي " ويكون التخصيص نتيجة إضافة بعض الملامح التَّمييزيةُ للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء قل عدد أفراده."[1]. وإنّ ما رصده العيني من المفردات في هذا الباب ما نتقل من العموم إلى التخصيص بسبب الاستعمال العرفي، ومن ذلك قوله في معنى "**الدابة**" التي جاءت في حديث "عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح...**﴾... قوله: (**الدواب**) جمع دابة، وهي ما يدب على وجه الأرض. وقال صاحب المنتهى: كل ماش على الأرض دابة ودبيب والهاء للمبالغة، والدابة هي التي تركب أشهر. وفي المحكم: تقع على المذكر والمؤنث وحقيقته الصفة. قلت: الدابة في الأصل كل ما يدب على وجه الأرض، ثم نقله العرف العام إلى ذات القوائم الأربع من الخيل والبغال والحمير، ويسمى هذا منقولا عرفيا."[2]. ومثاله أيضا لفظ "**الغائط**" في حديث أبي أيوب الأنصاري " قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا...**﴾... قوله: (**غائط**) وفي المحكم: الغائط والغوط المتسع من الأرض مع طمأنينة، وجمعه أغواط، وغياط وغيطان وكل ما انحدر من الأرض فقد غاط.. والغائط اسم للعذرة نفسها، لأنهم كانوا يلقونها بالغيطان... وفي الصحاح: جمع الغائط غوط، وفي المخصص: الغائط أصله المطمئن من الأرض، وسمي المتوضأ غائطا لأنهم كانوا يأتون لقضاء الحاجة، ثم سمي الشيء بعينه غائطا... وقال الخطابي: أصله المطمئن من الأرض كانوا يأتونه للحاجة فكنوا به عن نفس الحدث كراهة لذكره بخاص اسمه، ومن عادة العرب التعفف في ألفاظها واستعمال الكناية في كلامها وصَونُ الألسنة عما تصان الأبصار والأسماع عنه. قلت: الحاصل أنه استعمل للخارج وغلب على حقيقة الوضعية فصار حقيقة عرفية، لكن لايقصد به إلا الخارج من الدبر فقط للتفرقة في الحديث بينهما في قوله :(**بغائط أو بول.**)"[3]. فبعد أن فصل العيني في معنى"**الغائط**" خلص إلى أن المعنى الخاص الذي انتقل إليه والذي هو الحقيقة العرفية غلبت الحقيقة الوضعية. والأمثلة على هذا المنوال

---

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ص 245-246.

[2]- العيني، عمدة القارئ، ج7/497 كتاب جزاء الصيد باب ما يقتل المحرم من الدواب.

[3]- نفسه، عمدة القارئ ج2/ 390- 391 كتاب الوضوء باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء..وينظر علي بن إسماعيل بن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح مصطفى السقا وحسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة الباي، القاهرة ط1، 1958م ج28/6، وينظر أيضا ابن سيده المخصص، دار الفكر بيروت (د،ت) ج59/5.

كثيرة.. ومن أوضح النماذج على هذا النوع من التطور الدلالي وهو الانتقال من العام إلى الخاص هي تلك الألفاظ الإسلامية التي اتخذت ثوبا دلاليا جديدا، وتغيرت مفاهيمها عما كانت عليه قبل ظهور الإسلام وهي: الصلاة والزكاة والحج، والصوم والتيمم والجهاد وغيرها من الألفاظ الشرعية التي أصبح لها مدلولا خاصا واصطلاحا محددا في الفقه الإسلامي فيما بعد. وسأضرب لذلك مثالين: **الأول**: لفظ "**التيمم**" وهو مصدر تيمم تيمما من باب التفعل، وأصله من الأم وهو القصد. يقول: أمه يؤمه أما إذا قصده. يقال: أم وتأمم، ويم وتيمم بمعنى واحد، والتيمم أصله من ذلك، لأنه قصد التراب به. وفي الجامع عن الخليل: التيمم يجري مجرى التوخي. تقول: تيمم أطيب ما عندك فأطعمنا منه أي توخاه. وأجاز أن يكون التيمم العمد والقصد. وهذا الاسم كثر حتى صار اسما للتمسح بالتراب. قال الفراء: ولم أسمع يممت بالتخفيف. وفي التهذيب لأبي منصور: التيمم التعمد.. قلت: التيمم في اللغة مطلق القصد وفي الشرع: قصد الصعيد الطاهر واستعماله بصفة مخصوصة، وهو مسح اليدين والوجه لاستباحة الصلاة وامتثال الأمر.."[1].

الثاني: لفظ: "**الصوم**" " وهو في اللغة الإمساك قال تعالى حكاية عن مريم (**إِنّي نَذرتُ للرحمَنِ صَوْمًا**) مريم 26 أي صوما وسكوتا، وكان مشروعا عندهم، إلا ترى إلى قولها (**فَلَنْ أُكَلِّم اليَوْمَ إِنْسيًّا**) مريم26. وقال النابغة الذبياني:

خيل صيام ، وخيل غير صائمة *** تحت العجاج، وأخرى تعلك اللجما.

أي قائمة على غير علف. قال الجوهري، وقال ابن فارس: ممسكة عن السير. وفي المحيط وغيره: ممسكة عن الاعتراف. وصام النهار إذا قام الظهيرة. وقال: صام النهار وهجرا يعني: قام قائم الظهيرة. وقال أبو عبيد: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير صائم. والصوم ركود الريح، والصوم البيعة. والصوم ذرق الحمام وسلخ النعامة. والصوم اسم شجر. وفي المحيط: صام صوما وصياما واصطام، ورجل صائم وصوم، وقوم صوام وصيام وصوم وصم وصيم عن سيبويه كسروا الصاد لمكان الياء، وصيام وصيامي الأخيرة نادرة. وصوم وهو اسم للجمع، وقيل هو جمع صائم، ونساء صوم.وفي الصحاح: ورجل صومان. وأما في المشرع: فالصوم الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وما هو ملحق به من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس. وقال ابن سيدة: الصوم ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام وقال

[1]- العيني، عمدة القارئ ج3/ 185 كتاب التيمم.

ابن العربي: وقع الصوم في عرف الشرع على إمساك مخصوص في زمن مخصوص مع النية. وقال ابن قدامة: هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس."[1]. وفي المثالين فصّل العيني في المعنى اللغوي حاشدا أقوال أرباب المعاجم، ثم يختمه بالمعنى الاصطلاحي الذي ارتضاه الفقهاء كمفهوم شرعي يضع اللفظ في دائرة أضيق ومعنى أخص، وذاك هو عرف علماء الشريعة.

جـ- الانتقال من الحقيقة إلى المجاز:

ويعد هذا النوع من أهم أنواع التطور الدلالي عندما يستعمل اللفظ في غير معناه الذي وضع له في الأصل، وهذا الذي سموه بالمجاز، وهو المجاز البلاغي الذي يعمد إليه أهل الأدب، ويعد ضربا من ضروب فنون القول لأن الألفاظ كما هو مجمع عليه لها دلالتان: دلالة حقيقية ودلالة مجازية " وأن للغة طوران: طور استقرار الألفاظ على المعاني حيث يختص لكل معنى لفظ معين، وهذا الطور هو الحقيقة، وطور تجاوز هذا اللفظ أو عدوله إلى معنى آخر، هو طور المجاز."[2]. وهو الذي عبر عنه ابن جني وعقد له فصلا يحمل عنوان: " الفرق بين الحقيقة والمجاز" فقال: " الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان بعد ذلك."[3]. ويعتبر المجاز في نظر كثير من الباحثين من خصائص اللغات التي تستجيب لتطور الحياة ونمو الفكر البشري واتساع الحاجات التواصلية، والتغيرات الحاصلة في شتى المجالات من حياة الناس. وللبلاغيين في المجاز أقوال وتفصيلات، لا مجال للخوض فيها في هذا المقام، والذي يهم منه هو الجانب الذي كان له الأثر الكبير في نمو اللغة وإثرائها، والذي يعد مسلكا من مسالك التطور الدلالي، وهو ما أسهم فيه العيني عند شرحه للأحاديث وما رصده من الاستعمالات المجازية، ومتوصلا بذلك إلى ما تحمله الكلمات والعبارات من معاني وإشارات.ولقد اهتم العيني ببيان المجاز، وبيان مفهومه خاصة المجاز العقلي ومثاله ما جاء في حديث" عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ **يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟**...﴾... قوله (**كيف يأتيك الوحي**) فيه مجاز عقلي،وهو إسناد الإتيان إلى الوحي، كما في أنبت الربيع البقل، لأن الإنبات لله تعالى لا للربيع، وهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له ما هو له عند المتكلم في الظاهر، وسمي هذا القسم

---

[1]- المصدر السابق ، ج3/8-4 كتاب الصوم باب وجوب صوم رمضان.

[2]- محمد القباني، المجاز والنقل في اللغة العربية. دراسة تاصيلية، رسالة جامعية بإشراف مسعود سعيد بوبو جامعة دمشق- دمشق 1991ن ص 48.

[3]- ابن جنى، والخصائص ج442/2.

أيضا: مجازا في الإسناد، وأصله كيف يأتيك حامل الوحي؟ فأسند إلى الوحي الملابسة التي بين الحامل والمحمول."[1].

لقد اهتم العيني بتعريف المجاز في مواضع متعددة من شرحه، منها ما جاء في تعريف عموم المجاز فقال: " هو أن يُحمل الكلام على معنى مجازي يتناول الحقيقة."[2].ذكر ذلك عند شرحه لحديث عثمان بن عفان "... إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ **من بنى مسجدا– قال بكير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله– بنى الله له مثله في الجنة...**﴾... قوله (**من بنى**) حقيقته أنه يباشر البناء بنفسه ليحصل له الوعد المخصوص: فلا يدخل فيه الآمر بذلك. قلت: يتناول الآمر أيضا بنيته (**والأعمال بالنيات**) فإن قلت: يلزم من ذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو ممتنع. قلت: لا امتناع فيه عند الشافعي و أما عند غيره فبعُمومِ المجاز، وهو أن يحمل الكلام على معنى مجازي يتناول الحقيقة. وهذا سمى عموم المجاز، ولا نزاع في جواز استعمال اللفظ في معنى مجازي يكون المعنى الحقيقي من أفراده كاستعمال الدابة عرفا فيما بدت على الأرض، ومثال ذلك فيمن أوصى لأبناء زيد مثلا وله أبناء وأبناء أبناء، يستحق الجميع عند أبي يوسف ومحمد عملا بعموم المجاز، حيث يطلق الأبناء على الفريقين."[3].

وقال في موضع آخر عند شرح حديث " نُعَيْمَ المجْمِر قال: ﴿ **رقيت مع أبي هريرة على ظهر المسجد فتوضأ فقال: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل...**﴾... واللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إراداته فمجاز، كقولك: رأيت أسدا يرمي. وإن لم تقم قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو كناية كقولك: زيد طويل النجاد. ومعنى المجاز كجزء معنى الكناية من حيث إن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة، فلا يمتنع أن يراد من قولهم: فلان طويل النجاد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته، بخلاف المجاز فإنه ينافي الحقيقة فيمتنع أن يراد معنى الأسد من غير تأويل في نحو: رأيت أسدًا في الحمام، فالحقيقة جائزة الإرادة مع الكناية، غير جائزة الإرادة مع المجاز، فإن المجاز بهذا الاعتبار جزء من الكناية."[4].

---

[1]– العيني، عمدة القارئ ج1/ 79 كتاب بدء الوحي.

[2]– نفسه ج482/3 كتاب الصلاة باب من بني مسجدا.

[3]– المصدر السابق ج482/3.

[4]– نفسه، عمدة القارئ ج2/ 349– 353 كتاب الوضوء باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء.

بهذا التحليل، وبهذه القارنة يدقق العيني في معنى الحجاز متأسس في ذلك بمنهج البلاغيين القدامى ومستأنس بأقوالهم.

والمجاز العقلي نظر إليه علماء الدلالة على أنه يمثل إحدى المظاهر الأساسية من مظاهر التطور الدلالي والتي يتشكل بها المعنى بطرق مختلفة لا مجال للتفصيل فيها، ولكن يمكن الاكتفاء ببعض الأمثلة من شرح العيني: - **المثال الأول**: حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**)... قوله: (**حلاوة الإيمان**) فيه استعارة بالكناية. وذلك لأن الحلاوة إنما تكون في المطعومات، والإيمان ليس مطعوماً، فظهر أن هذا مجاز، لأنه شبه الإيمان ينحو العسل، ثم طوى ذكر المشتبه به، لأن الاستعارة هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، فالمشبه به عسل ونحوه، والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذي بينهما: هو الالتذاذ وميل القلب إليه، فهذه هي الاستعارة بالكناية، ثم لما ذكر المشبه أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه وهو الحلاوة على سبيل التخيل، وهو استعارة تخيليه[1]، وترشيح للاستعارة.[2]".[3] وهذا إدراك من العيني للمعاني المجازية في الألفاظ حين يفصل في أنواع الاستعارات الحاصلة عليها، وهذا قل ما نعثر عليه في كتب البلاغة المتخصصة. ولكن المنهج الذي سار عليه العيني جعله يقف على تطور اللفظ من حقيقته إلى المعنى الذي آل إليه. وهذا ما لا نجده عند شراح البخاري بهذه الكثافة، وهذا التحليل حيث اكتفى ابن حجر مثلا بالتعليق على هذه الصورة (**حلاوة الإيمان**) بقوله: " استعارة تخيلية، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم الشيء وأضاف إليه".[4] بينما لم يذكر الكرماني في ذلك شيئا.

ومن خلال طبيعة منهج العيني في شرح الحديث المبني على ذكر التفاصيل، وبناء على أسلوبه التعليمي يزيد في بيان بعض مسائل الاستعارة وتطور دلالة اللفظ فيها فيميز بين نوعيها ما دامت قائمة على التشبيه واعتمادا على نوع المشبه كما في حديث عبد الله بن عباس الطويل بين أبي سفيان بن حرب وهرقل عند قوله "﴿ **أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين**

---

[1]- الإستعارة التخيلية هي استعارة يكون المشبه المتروك شيئا وهميا محضا لا تحقق له إلا في مجرد الوهم، ينظر أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 2000م ص 482.

[2]- الاستعارة الترشيحية هي التي تكون بتعقيب صفات أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه، ينظر السكاكي، مفتاح العلوم ص 494.

[3]- العيني، عمدة القارئ ج1/ 229 كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان.

[4]- ابن حجر العسقلاني، فتح البارئ ج1/ 83.

فإن توليت فإن عليك إثم الآريسيين...﴾... قوله(**فإن توليت**) أي أعرضت، وحقيقة القول إنما هو بالوجه، ثم استعمل مجازا في الإعراض عن الشئ. قلت: هذه استعارة تبعية، وقد علم أن الاستعارة على قسمين: أصلية وتبعية، وذلك باعتبار اللفظ، لأنه إن كان اسم جنس سواء كان عينا أو معنى فالاستعارة أصلية كأسد وفيل. وان كان غير اسم جنس فالاستعارة تبعية، ووجه كونها تبعية أن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا.. فتقع الاستعارة أولا في المصادر ومتعلقات معاني الحروف، ثم تسري في الأفعال والصفات والحروف."[1]. هكذا يعمد العيني إلى مثل هذا التفصيل الذي يخدم به المعنى، ويزود القارئ بجملة من أدوات التفسير التي تساعد على إظهار المعنى على أتم وجوهه، لاسيما مثل هذه المفردات التي تقع لها انزياحات، وترد في سياقات غير سياقاتها الأصلية.

المثال الثاني: حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا...﴾**...قوله :(**ولا تتخذوها قبورا.**) من التشبيه البليغ البديع بحذف حرف التشبيه للمبالغة، وهو تشبيه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت من العبادة فيه."[2].والتشبيهات من هذا القبيل كانت محل عناية العيني، فقد تميزت بالإيضاح والتحليل الذي يعين على كشف دقائق المعاني وتذوق جمالها.

د- الانتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية:

يرى اللغويين أن نشأة الدلالة تبدأ بالمحسوسات، ومن ثم تتطور إلى الدلالات المجردة، وذلك بحسب تطور العقل الإنساني ونموه، فكلما ارتقى هذا الإنسان حضاريا وفكريا، أقبل على استخراج الدلالات المجردة وتوليدها، ثم الارتكاز عليها في الاستعمال والتواصل." وهذا اللإنتقال من المجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في صورة تدريجية، حيث تظل الدلالتان سائرتان جنبا إلى جنب زمنا طويلا."[3] ويحكم على اللغة بالحياة والتجدد حيث تمتلك القدرة على مسايرة الحياة وتطوراتها المختلفة في شتى المجالات، وهي آيلة إلى الجمود ثم الموت حين تفقد هذه القدرة، وتعجز عن هذه المواكبة للعصر والمجتمع الذي تحيا فيه، وللناطقين بها الذين يعبرون عن أغراضهم ورغباتهم ولا يفكرون إلا باللغة، وذلك أن "

[1]- العيني، عمدة القارئ ج1/ 153 كتاب بدء الوحي.

[2]- نفسه ج3/ 445- 446- كتاب الصلاة باب كراهية الصلاة في المقابر.

[3]- أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللغوي، دار الأندلس، بيروت ط1، 1983، ص127.

حركة اللغة بين الدلالة المادية المحسوسة والدلالة الذهنية المجردة لها منزلة علمية لأنها تعكس قدرة اللغة على تلبية حاجات المجتمع ومتطلباته الأكثر اتساعا وتعقيدا."[1].

وللعيني من خلال شرحه للنصوص النبوية عناية فائقة بمثل هذا الجانب اللغوي في بيان دلالة الألفاظ الأصلية الحسية، وانتقال الدلالة من هذا المعنى الحسي إلى المعنى الذهني المجرد والأمثلة على ذلك كثيرة منها حديث " جرير بن عبد الله قال: "﴿ **بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**...﴾...قوله: (**الدين النصيحة**) فيه حذف تقديره عماد الدين وقوامه النصيحة كما يقال: (**الحج عرفة**) أي عماد الحج وقوامه وقوف عرفة.. وأصل النصيحة مأخوذ من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه بالمنصح وهي الإبرة، والمعنى: أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه. وقال المارزي: النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبه تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط. وفي المحكم: النصح نقيض الغش.. وفي الجامع: النصح: بذل المودة و الاجتهاد وفي المشورة. وفي كتاب ابن طريف: نصح قلب الإنسان خلص من الغش.. وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له، ويقال: هو من وحيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا في **الفلاح**: ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى ما جمعت من خير الدنيا والآخرة."[2].

ومثاله أيضا لفظ "**الحسد**" في حديث عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ﴿ **لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالا فسلِّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**...﴾... قوله: (**لا حسد**)...قال ابن سيده: يقال: حسده يحسده حسدا ورجل حاسد من قوم حُسُد.. وحسده على الشيء وحسده إياه. وفي الصحاح: يحسده حسودا. وقال اللأخفش: وبعضهم يقول يحسده بالكسر، والمصدر حسد بالتحريك، وحسادة، وهم قوم حسدة مثل حامل وحملة. وقال ابن الأعرابي: الحسد مأخوذ من الحسود وهو القراد فهو يقشر القلب كما يقشر القراد الجلد فيمص الدم."[3].

---

[1]- فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق ط1 1985 ص289.

[2]- العيني، عمدة القارئ ج1/ 470 كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولأمة المسلمين وعامتهم.

[3]- نفسه ج79/2 كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة.

ففي المثال الأول كان "**النصح**" في أصل معناه حسيا ماديا يتعلق بخياطة الثوب أو عمل النَّحَّال (مربي النحل) حين يخلص العسل من الشمع عند جنيه. وكذلك معنى " **الحسد**" في الأصل الدويبة الصغيرة التي تقتات على دم البهائم في الغالب حين تعلق بأجسادها، ثم استعمل في معنى مجردٍ وهو تمنى زوال النعمة على المنعم عليه وهو مذموم وهو على مراتب، ويجتهد العيني بعد هذا التحليل في إبراز العلاقة بين المعنى الأصلي الحسي للفظ والمعنى المجرد المنقول إليه.

ومثاله أيضا لفظ: "**النفاق**" في حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار...**﴾... قوله: (**النفاق**) هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر. وقال إبن الأنباري في الاعتلال في تسمية المنافق منافقا ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه سمي به لأنه يستر كفره ويغيبه، فشبه بالذي يدخل النفق، وهو السرب يستتر فيه. **والثاني**: أنه نافق كاليربوع فشبه به لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه. **والثالث**: أنه سمي به لإظهاره غير ما يضمر تشبيها باليربوع، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر. ونافق اليربوع أخذ في نافقائه. ونفق اليربوع أي استخرجه. والنافقاء إحدى حجرة اليربوع، يكتمها ويظهر غيره. وهو موضع يرققه..وقال الصغاني: التركيب يدل على انقطاع الشيء وذهابه، وعلى إخفاء شيء وإغماضه."[1]. ومثلها كلمة: "**الكفر**"، ولفظ: " **الفسق**"، وغيرها.

هـ- الانتقال من الدلالة المعنوية إلى الدلالة الحسية:

كما تنتقل الدلالة وتتطور من المعاني الحسية إلى المعاني المجردة يحصل العكس أحيانا، حيث تتطور من الدلالة المعنوية إلى الدلالة الحسية، وقد عرج العيني على هذا الجانب من التطور الدلالي وأمثلة من شرحه كثيرة ومنها: لفظ " **السرير**" الذي ورد في حديث أبي جمرة قال:" "﴿ **كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره. فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي، فأقمت معه شهرا...**﴾... قوله: (**على سريره**) وفي العباب: السرير معروف، وجمعه أسرة وسرر قال تعالى: (**على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**.) الحجر 47، الصافات 44، إلا أن بعضهم يستثقل اجتماع الضمتين مع التضعيف، فيرد الأولى منهما إلى الفتح لخفته، فيقول سرر، وكذلك ما أشبهه من الجمع مثل: ذليل وذلل ونحوه وقيل: إنه مأخوذ من السرور، لأنه مجلس السرور. قلت: السرير أيضا مستقر الرأس والعنق، وقد يعبر بالسرير عن

[1]- العيني، عمدة القارئ ج1/ 230- 232 كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار.

الملك والنعمة وخفض العيش، وقال ابن السكيت: السرير موضع بأرض كنانة."[1].ومن ذلك أيضا لفظ: " **الكرسي**" في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري " وهو يحدث عن فترة الوحي: فقال في حديثه: "﴿ **بينما أنا أمشي إذا سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض...**﴾... قوله: **(على كرسي)** هو بضم الكاف وكسرها والضم أفصح، وجمعه كراسي بتشديد الياء وتخفيفها. قال ابن السكيت: كل ما كان من هذا النحو مفرده مشدد كعاوية وسرية جاز في جمعه التشديد والتخفيف. وقال الماوردي في تفسيره: أصل الكرسي العلم، ومنه قيل لصحيفة يكون فيها علم كراسة. وقال الزمخشري: الكرسي ما يجلس عليه، ولا يفضل على مقعد القاعد، وفي العباب: الكرسي من قولهم: كرس الرجل بالكسر إذا ازدحم علمه على قلبه. فإن قلت: ما هذه الياء فيه؟ قلت: ليست ياء النسبة وإنما هو موضوع على هذه الصيغة، فإذا أريد النسبة إليه تحذف الياء منه ويؤتى بياء النسبة فيقال: كرسي أيضا: فافهم."[2].

[1]- المصدر السابق ج1/445 كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان.

[2]-المصدر السابق ج1/84 – 112 كتاب بدء الوحي.

***نتائج الفصل:**

وبعد هذه الجولة الدلالية والمعجمية والصرفية في كتاب العيني، وفي ختام هذا الفصل يمكنني أن أسجل جملة من النتائج:

1. رجوع العيني أثناء التحليل المعجمي إلى أشهر المعاجم العربية، واعتماده على كبار اللغويين كالخليل والجوهري والأزهري وابن منظور والمبرد وغيرهم.
2. تترتب المسائل المعجمية والدلالية بعد المباحث الصرفية من حيث الكم العام للمسائل اللغوية المطروحة في كتاب العيني.
3. عناية العيني بالاحتجاج لما قدمه من مسائل معجمة،وقضايا صرفية متنوعة.
4. تترتب القضايا الصرفية بعد المسائل النحوية من حيث كثافة المسائل اللغوية في شرح العيني.
5. توظيف العيني لمعارفه الصرفية أثناء شرحه للأحاديث على اعتبار أن له مؤلفات في هذا الفن، وأسهم فيه بنصيب.
6. لم يكن العيني في مباحثه الصرفية ميالا إلى مذهب بعينه أو متعصبا لمدرسة من المدارس حيث رجع إلى المذهبين معا.
7. لم يفرد العيني للمسائل الصوتية عنوانا خاصا على غرار ما فعله مع القضايا الصرفية والمعجمية والنحوية والبلاغية، ولكن على قلتها نوقشت تحت باب الصرف.
8. اعتماد العيني في التحليل الصرفي على القواعد النظرية التي وضعها الصرفيون في أغلب المسائل.
9. تعد اختيارات و ترجيحات العيني للكثير من المسائل الصرفية مذهبا التزم به ورأيا تبناه وهو يتعرض للقضايا الخلافية بين الصرفيين.

الفصل الثالث: التحليل النحوي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني

تمهيد

I. .منهج العيني في الإحتجاج النحوي.

II. منهج العيني في إعراب الحديث النبوي.

III. آراء العيني النحوية واختباراته ومذ هبه النحوي.

.

تمهيد :

إلى جانب القضايا اللغوية التي ملأت أرجاء هذا الكتاب، سواء ما تعلق منها بالمسائل الدلالية أو التحليل المعجمي أو الصرفي والتي اتسمت كما أسلفت بالشمول والإطاحة، والتوسع والإطناب حيث شكلت مادة ثرية إغتنى بها كتاب العمدة، فجعلت منه محط أنظار ثلة من الباحثين، الذين وجهوا عنايتهم، وبشكل خاص الى القضايا النحوية ، والتي شكلت بدورها مادة أكثر ثراء في أوسع نطاق، ولقد بذل العيني في بيانها جهدا مضاعفا، حيث قدم الحديث النبوي في ثوب نحوى قشيب وأحاط الخطاب النبوي بتحليل نحوي مكثف ، مشيرا إلى الكثير من القضايا. فما هي معالم منهج العيني في التحليل النحوي ؟ وهل يملك العيني منهجا في إعراب الحديث الشريف ؟ وهل إنفرد بآراء نحوية ؟ وكيف تعامل مع التراث النحوي من خلال شرحه على صحيح البخاري؟ تلك أسئلة وغيرها سوف أحاول الإجابة عنها في هذه الصفحات القادمة .

I. منهج العيني في الإحتجاج النحوي :

لقد تميزت جهود العيني في خدمة صحيح البخاري بالإستيفاء والتدقيق، وحازت المسائل النحوية في شرفه عناية وإطاحة، وبلغت حصة الأسد، فجمع بين طياته مادة غزيرة تتعلق بإعراب الحديث وأصول النحو وفروعه ما يستحق التحقيق والدراسة، والجمع والإستقراء، لقد تمز العيني عن بقية الشارحين في توسعه اللافت في جوانب مهمة من علوم اللغة .والذي ساعده في ذلك **أولا:**شخصيته الأصيلة الراسخة في العلم، وثقافته النحوية الواسعة، من خلال المؤلفات التي ألفها في هذا المجال . **ثانيا:** الشيوخ النحاة الذين تتلمذ على أيديهم، وأخذ عنهم علم اللغة والنحو. **ثالثا** : العصر الزاخر بالعلوم الذي نشاء فيه العيني وترعرع، والذي كانت له خصوصيته العلمية المتألقة.

ولقد سبق لي أن ناقشت مسالة الإحتجاج، ومفهومه اللغوي والاصطلاحي، وهي مسالة في غاية الأهمية صنفها النحويون ضمن دائرة الأولويات، على اعتبار أنها تنتمي إلى أصول النحو الذي تأسس عليه علم النحو بقواعده وفروعه ومسائله، عندما اعتنى النحاة العرب منذ بداية الدرس النحوي على أدلة بنوا عليها الأحكام النحوية، وشيدوا عليها أبواب النحو العربي، وعززو بها ظواهره .قال ابن

فارس"إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولا تتفرع منها فروع ."[1].و بالرغم من عناية العلماء القدامى بالبحث في تاريخ النحو ونشأته والأطوار التي مر بها ثم القواعد التي وضعوها، والمبررات التي كانت وراء وضعه، وكانت عنايتهم خاصة بأصول النحو فألفوا فيها الكتب والمصنفات لما استقلت علما قائما بنفسه، وإن اختلفوا في عدد الأدلة فقد ذكر السيوطي أن ابن جني جعلها ثلاثة " السماع والقياس والإجماع ."[2]. وهي عند ابن الأنباري ثلاثة " النقل والقياس واستصحاب الحال ."[3].وقد استفاد السيوطي مما سبق فمزج بين أدلة ابن جني وأدلة ابن الأنباري فجعلها أربع " السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال ."[4].وقد مر في موضع سابق ان الذين كتبوا في أصول النحو قد نهجوا نهج علماء أصول الفقه، وتأسوا بهم في طرق التحليل النحوي والمعالجة، ويظهر ذلك جليا في إفتراضهم لجل المصطلحات التي وضعوها، وبوبوا عليها علم الأصول وشيدوه.

وكان العيني قد أدلى بدلو كبير في هذا الباب، حيث برع في إيراد الأدلة من أصول النحو في بيان الأحكام لنحوية وعرض أراء النحاة، وسوق أقوالهم، ومناقشة الخلاف الحاصل بينهم،وذلك من خلال تناوله للأحاديث بالشرح والتفسير والإعراب، والعيني في إقامة الأدلة على القضايا النحوية سلك مسالك السابقين فجاء منهجه في عرضها على النحو الآتي:

أ. السماع:

السماع في اصطلاح النحاة " ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القران، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا ."[5]والسماع طريق مهم إعتمده النحويون القدامى من مدرسة البصرة والكوفة على حد سواء، وجعلوا منه سندا متينا في وضع القواعد والأحكام،وكان وثيق الصلة بالقران وقراءاته، والحديث الشريف ورواياته، وكلام العرب شعرا ونثرا، ولقد اهتم علماء اللغة بالسماع وكان الوسيلة الرئيسية لجمع اللغة وإحصاء شواهده، فوضعوا لذلك من المعايير الدقيقة ما حير العقول في" نقد

[1] - ابن فارس ، الصاحبي ، ص 3 .

[2] – السيوطي الإقتراح ، ص 21.

[3] - أبو البركات بن الأنباري ، لمع الأدلة ، تح عطية عامر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1963 م ، ص 27 .

[4] - ابن مالك النحوي ، شرح عمدة الحافظ و عدة اللافظ ، تح عدنان عبد الرحمان الدوري ، مطبعة العاني بغداد ، 1977 م ، ص 51 .

[5] - علي أبو البركات ، أصول التفكير النحوي ، مطابع دار القلم ، بيروت ، 1973 م ، ص 52 . و ينظر محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ط1 ، 1980 م ، ص 329 .

مصادر المادة اللغوية التي جمعوها لتصفية المسموع والمروي، ومن أهم هذه الأسس تحديد القبائل التي يحتج بكلامها، حيث تتفاوت القبائل العربية في فصاحتها وسلامة لغتها فقد ذهب البصريون إلى تحديدها بالقبائل التي سكنت أواسط الجزيرة العربية دون غيرها من الأمم الأعجمية ."[1]. وقد حددت هذه القبائل بأسمائها وقيد زمن الإستشهاد بإطار محدود لم يتساهلوا في تجاوزه حين كان للفصاحة رقعتها الزمانية والمكانية. ولقد أخذ العيني بالسماع كثيرا، وعتنى به عناية فائقة، وهذا ما نلمسه من كثيرة إستشهاده بالقران الكريم وقراءاته متواترة أو غير ذلك، وبالحديث الشريف، وبكلام العرب شعره ونثره، وذلك عند تفسيره للمواد اللغوية، وبيانه للغاتها ودلالتها، وفي عرض الأحكام النحوية الغزيرة، فما هو منهجه في الإحتجاج ومناقشاته للمسائل النحوية ؟.

1.القرآن الكريم:

يعتبر القرآن الكريم أصح المصادر لعلماء اللغة العربية والمهتمين بشؤونها قديما وحديثا ومستقبلا في مختلف أبوابها وقضاياها فهي" لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ."[2].والقرآن أفصح حجة وأعلى بيانا، اتفقت كلمة علماء العربية قاطبة وأئمتها المرموقين أنه المنهل الصافي والمعين الذي لا ينضب للشواهد الصحيحة والأدلة الفصيحة، لذا طفق النحاة من جميع المدارس واختلاف المذاهب من بحره يغرفون، وإليه يحتكمون في وضع القواعد، ومن أجله شيد علم النحو العربي .فلا عجب أن نجد الإمام العيني يعطي أمر الإحتجاج بالآيات القرآنية عناية فائقة، ويكثر من إيراد الشواهد القرآنية في مختلف المسائل النحوية التي عرض لها، ولا يمكنني إحصاء الأمثلة على ذلك لكثرتها، ولا تكاد تخلو أبواب الشرح من ووردها فيما يناقش من المسائل اللغوية أو النحوية ، ومن النماذج ما يلي :

ما جاء في حديث" ابن عباس قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ **أوريت النار فإذا كثرة أهلها نساء يكفرن قيل :أيكفرن بالله؟ قال :يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا :قالت :ما رأيت منك خيرا قط** .﴾...قوله :(**أكثر أهلها**) منصوب لأنه بدل من النار ،ويجوز رفع أكثر على أنه مبتدأ ،والنساء مفعوله بالرفع أيضا خبره والجملة تكون حالا

[1] – السيوطي الإقتراح ، ص 21

[2] -الراغب الأصفهاني ، مفردات في غريب القرءان ، تح محمد سيد كيلاني ، نشر مكتبة المرتضوية ، طهران ،(د.ت) ، ص 6 .

بدون الواو،كما في قوله تعالى(**اهبطوا بعضكم لبعض عدوا**)البقرة36 ."[1] فاستدل على مجيء الحال جملة إسمية من دون الواو بالآية التي خلت من واو الحال :اهبطوا و بعضكم لبعض عدو وقوله عليه السلام (**أوريت النار وأكثر أهلها نساء**).

وفي استعمال الفعل "**دعا**" وتعديه بـ(**في**) الذي جاء في "﴿ **حديث ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ماد فيها أبا سفيان و كفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم.**﴾...قوله،(**فدعاهم في مجلسه**) الضمير المرفوع في "**فدعاهم** "يرجع إلى هرقل، والمنصوب إلى أبي سفيان ومن معه ،وقوله: (**في مجلسه**) حال أي في حال كونه في مجلسه فإن قلت: دعا سيعمل بكلمة إلى، يقال: دعا إليه، قال تعالى (**والله يدعوا إلى دار السلام**) يونس25 .

وكان ينبغي أن يقال :فدعاهم إلى مجلسه ،قلت :دعا هاهنا من قبيل قولهم :دعوت فلانا أي صحت به وكلمة في لا تتعلق به ولا هي صلته، وإنما هي حال كما ذكرنا تتعلق بمحذوف، وتقديره كما ذكرنا، أو تكون "**في**" بمعنى "**إلى**" كما في قوله تعالى(**فردوا أيديهم في أفواههم**)إبراهيم 9 .أي إلى أفواههم، ويدل عليه رواية (**شرح السنة**): دعاهم لمجلسه."[2].

كما ذكر العيني ما يتعلق بمعاني كلمة "**أم**"عند تفسير قوله تعالى:(**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء..**)البقرة 24(**أم حسبتم**)قد علم في النحو أن"**أم**"على نوعين متصلة وهي التي تتقدمها همزة التسوية نحو: (**سواء علينا أجزعنا أم صبرنا**) إبراهيم 21 ، وسميت متصلة الأن ما قبلها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن اللأخر. ومنقطعة وهي لا يفارقها معنى الإضراب وزعم ابن الشجرى عن جميع البصريين أنها أبدا بمعنى :**بل** وهي مسبوقة بالخبر المحض نحوا:(**تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه.**).السجدة 2-3 ومسبوقة بهمزة لغير الإستفهام نحوى :(**ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها**) الأعراف 195 إذ الهمزة فيها للإنكار، ثم إنهم قد اختلفوا فيها :فقال الزجاج:معناها : **بل** حسبتم .وقال الزمخشري

[1] - العيني ، عمدة القارئ ، ج1 /300 - 302 ، كتاب الإيمان ، باب كفران العشير و كفر دون كفر .

[2] - المصدر السابق ، ج1/127-147 .كتاب بدأ الوحي . و ينظر الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تح فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط2 1983 م ، ص 252 .

منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وفي تفسير ابن الجوزي **أم** هنا للخروج من حديث إلى حديث وفي تفسير ابن أبي السنان أم هذه متصلة بما قبلها لأن الإستفهام لا يكون في ابتداء الكلام فلا يقال :أم عندك خبر، بمعنى: عندك .وقيل :هي معطوفة على استفهام محذوف مقدم أي :أعلمتهم أن الجنة حفت بالمكاره أم حبستم أن تدخلوا الجنة بغير مكروه .)."[1]

وفي بيان أن (**إنْ**) تكون بمعنى (**إذ**) عند تفسير قوله تعالى (**إن اردن تحصنا**)النور 33 .أي تعففا يقال هنا إن(**إنْ**) ليست للشرط بل بمعنى **إذْ** وذلك كما في قوله تعالى (**وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مومنين**)البقرة 278 وقوله (**وأنتم الاعلون إن كنتم مومنين**) آل عمران 139 .وقوله (**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله**)الفتح 27.ومعنى(**إن**)في هذه الآيات كلها بمعنى (**إذْ**) وذكر ابن هشام أن هذا مذهب الكوفيين أن تكون بمعنى"**إذ**"ولكن الجمهور على أنها شرطية، ولم يثبت في اللغة كون **إنْ** بمعنى **إذْ**[2].

ومن الأمثلة في التوسع في بيان معاني الحروف ما جاء في معاني (**أنْ**) واستعمالاتها والتي جاءت في حديث أبي هريرة قال : "﴿ **قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى لله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ،أسعد الناس بشفاعتي يوم القامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه** ﴾...قوله: (**أن لا يسألنى**)..واعلم أن "**أن**" المفتوحة الهمزة الساكنة النون على وجهين اسم وحرف، فالحرف على أربعة أوجه، **الأول**: أن تكون حرفا مصدريا ناصبا للمضارع، وتقع في موضعين **أحدهما** ..في الإبتداء فتكون في موضع رفع نحو :(**وأن تصوموا خير لكم**)البقرة 184 **والثانى** :يعد لفظ دال على معنى غير اليقين، فيكون في موضع رفع نحو :(**ألم يان للذين ءامنوا أن تخشع قلوبكم لذكر الله**) الحديد 16 .ونصب نحو:(**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله**)يونس 37 .وخفض نحو :(**أوذينا من قبل أن تاتينا**) الأعراف 129 .ومحتملة لهما نحو:(**والذي أطمع أن يغفر لي**) الشعراء 82 .أصله :في أن يغفر لي.**الثانى** :أن تكون مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته نحو :(**أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا**)طه 89 ،(**علم أن سيكون**)

[1] – العيني عمدة القارئ ، ج456/12 ، كتاب تفسير القرآن ، باب أم حسبتم .

[2] – ابن هشام ، مغني اللبيب ، ص 39 .

المزمل 20 ،(**وحسبوا ألا تكن فتنة**) المائدة 71 .في من رفع (**تكون**)،فإن هذه ثلاثية الوضع، وهى مصدرية أيضا، وتنصب الإسم وترفع الخبر خلافا للكوفيين وزعموا أنها لا تعمل شيئا، وشرط إسمها أن تكون محذوفا، وربما ثبت فى الضرورة على الأصح، وشرط خبرها أن يكون جملة، ولا يجوز إفراده إلا إذا ذكر الاسم فيجوز الأمران .**الثالث** :أن تكون مفسرة بمنزلة **"أي"** نحو قوله (**فأوحينا إليه أن اصنع الفلك**)المؤمنون27 ...**الرابع** :أن تكون زائد ولها مواضع ذكرت في النحو."[1] .وفصل ابن هشام في المغني **أنْ** المفتوحة الهمزة الساكنة النون في أكثر من عشر صفحات، وعنه نقل العيني نقلا حرفيا مختصرا بعض الأوجه .

- **عناية الإمام العيني بالقراءات القرآنية :**

لقد اهتم النحاة بالقراءات القرآنية منذ النشأة الأولى لنحو، وكان لفيف من النحاة قراء، وكان أغلب القراء نحاة ،فظهر أثرهم البين فى الميدان، وبعد أن استقر النحو في قواعده، وتأسست مسائله وتباينت مذاهبه، وتنوعت مدارسه، اتجه النحاة إلى القراءات يحتجون بها ما يؤيدون وجهة نظر أو ينتصرون لرأي ،وكان الإحتجاج بالقراءات وفق مناهج مختلفة بحسب المدارس والمذاهب النحوية. ولقد عرفوا القراءات القرآنية بتعاريف كثيرة ،ولا مجال للتوسع فيها، وسأكتفي بالقدر الذى اتفق عليه الزركشي والسيوطى وهو"اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما."[2].والقراءات مراتب ودرجات صنفها علماء القرآن بحسب سندها و موافقتها للغة العربية ،وللرسم العثماني، وتنزل رتبتها، وتفقد صحة القراءة بها بحسب قوة أو ضعف هذه الشروط التى غربل بها عدد هائل من القراءات ،كذلك الجهد الذى بذله ابن مجاهد حين سبع السبعة واختار للناس القراءات المتواترة ،والتى صارت من بعده عشرا ثم أربعة عشر، وما يهم النحاة فى كل هذه هو التمهيد النحو، والحجج التى تبنى عليها القواعد النحو، فما ورد أنه قرئ في القرآن "جاز الاحتجاج في العربية سواء كان متواترا أم آحاد أم شاذا ،وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا ."[3].

---

[1] - العيني ، عمدة القارئ ، ج2 /176-177-178 ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، و بنظر ابن هشام ' مغني اللبيب ، ص 41 . 55 .

[2] - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت ، ط1980/3 م ، ج318/1 . و ينظر السيوطي الاتقان في علوم القرآن ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1987 ،ج222/1 .

[3] - السيوطي الإقتراح ، ص 36 .

وللإمام العيني جهود معتبرة بالاعتناء بالقراءات القرآنية أثناء شرحه للأحاديث، فلا غرو أن يعد كتابه العمدة مصدرا مهما في مجال القراءات فى ذكر وجوهها، وأحكامها وأعلامها، ومواطن الإستشهاد بها في تقرير الأحكام النحوية، وكانت عنايته بالقراءات القرآنية من خلال جوانب مختلفة فتارة بالموازنة بينها، وتارة بالترجيح فيما بينها، وأحيانا بالتخطئة والرد على أصحابها، يعتمد فى ذلك على أشهر ما ألف في عصره حول القراءات، ناقلا عن كبار علماء القراءة. والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها ما ذكر في معاني"**إلى**"عند تفسيره لقوله"(**إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا**..)المائدة 6 قوله:(**إلى الصلاة**)كلمة "**إلى**" تأتى لثمانية معان **الأول**:إنتهاء الغاية الزمانية نحو(**ثم أتموا الصيام إلى الليل**) البقرة 187، والمكانية نحو (**من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**) الإسراء 1 **الثانى** :المعية نحو (**من انصاري إلى الله**) آل عمران 52، الصف 14 **الثالث** :التبيين وهى المبينة لفاعلية مجرورها بعدما تفيد حبا أو بغضا من فعل تعجب، أو اسم تفضيل نحو (**رب السجن أحب إلي**) يوسف 33 **الرابع**: بمعنى اللام نحو الأمر إليك.**الخامس** :بمعنى "**في**" نحو (**ليجمعنكم إلى يوم القيامة**) النساء 78 الأنعام 12 .**السادس** :الإبتداء كقوله :

تقول وقد غاليت بالكوز فوقها *** أيسقى فلا يروى إلى ابن أحمرا .

السابع:بمعنى عندى نحو :أشهى إلي من الرحيق السلسل .أى عندي .**الثامن**: التوكيد وهى الزائدة أثبت ذلك الفراء مستدلا بقراءة بعضهم (**أفئدة من الناس تهوي إليهم**) إبراهيم 37 بفتح الواو."[1].

وكان من منهج العيني أن يذكر القراءة بتوجهها النحوي، وأحيانا ينسب القراءة إلى أصحابها من غير توجيه ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى(**سلاسلا وأغلالا**)" أشار به إلى قوله تعالى (**إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا**) الإنسان 4 . أعتدنا هيئنا. والسلاسل جمع سلسلة في كل سلسلة سبعون ذراعا، والأغلال جمع غُل بالضم، فالسلاسل في أعناقهم والأغلال في أيديهم والسعير يوقدون فيه لا يطفئ. وقيل: السلاسل القيود وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم سلاسلاً بالتنوين، وهي رواية هشام عن أهل الشام، وقرأ حمزة وخلف وحفص وابن كثير وأبو عمرُو بالفتحة بلا

[1]العيني ، عمدة القارئ ، ج2/219 -220-221 ، كتاب الوضوء باب ، ما جاء في الوضوء ، و قوله تعالى ، (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) ، و القراءة التي استدل بها ، هي قراءة علي و مجاهد ، كما ورد في معاني القرآن للفراء ، ج78/2 ، و تفسير الزمخشري ، ج 2 /380.

تنوين."[1].هكذا يورد العيني أنواع القراءات، فينسب القراءة إلى القراء. وأحيانا يذكر القراءة بتوجيهها النحوي، ومثاله ما جاء في تفسير سورة المسد عند قوله تعالى (**وامرأته حمالة الحطب**) "قرأ عاصم **حمالةَ** بالنصب على الذم، والباقون بالرفع على تقدير:سيصلى نارا هو وامراته وتكون امراته عطفا على الضمير في (**سيصلى**)، وحمالةُ بدل منها ."[2].

ويصنف العيني القراءات فيشير إلى المشهورة منها والشاذة كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى (**أن الله برئ من المشركين ورسوله**) التوبة 3. "أي ليعلم الناس بعضهم بعضا (**أن الله**) قرئ (**إن الله**) بالكسر لأن الإيذان في معنى القول. قوله (**ورسوله**) فيه قراءتان، الرفع وهي القراءة المشهورة[3] ومعناه: ورسوله أيضا برئ من المشركين، والنصب ومعناه: وأن رسولَ الله برئ من المشركين، وهي قراءة شاذة[4]."[5] كما يرجح بين القراءات. ويفاضل بينها، فكانت له إعتباراته في الترجيح وعباراته التي توحي بذلك كقوله (**وهو الفصيح**) أو(**أحسن**) أو (**أجود**) وغير ذلك، ومثاله ما جاء في حديث "عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بين الناس يسألونه...قوله: (**العاصي**):الجمهور على كتاباته بالياء، وهو الفصيح عند أهل العربية ويقع في كثير من الكتب العربية بحذفها،وقد قرأ في السبع نحوه كـ (**الكبير المتعال**) الرعد9 . و(**الدَاع**) القمر6-7. قال الكرماني وقيل أجوف وجمعه الأعياص. العاصي من العصيان وجمع عصاة كالقاضي يجمع قضاة. والأعياص جمع عيص بكسر العين وهو الشجر الكثير الملتف..وفي العباب: والجمع عيصان وأعياص وفيه: والأعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم الأربعة: العاص، وأبو العاص والعيص، وأبو العيص.."[6].وذكر بن

---

[1] – العيني ، عمدة القارئ ، ج451/13 ، كتاب تفسير القرآن ، سورة (هل أتى على الإنسان) .

[2] – المصدر السابق ، ج522/13 . كتاب تفسير القرآن ، باب (و امرأته حمالة الحطب) ، و ينظر أبو جعفر النحاس ، إعراب القرآن ، تح زهير غازي ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1988 م ، ج306/5 .

[3] - القراءة المشهورة : (هي ما صح سنده ، بنقل العدل الضابط و لم تبلغ درجة التواتر ووافق العربية و رسم المصحف و إشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط و لا الشذوذ) ينظر محمد عبد الكريم الرديني ، مختصر علوم القرآن ، دار الشهاب ، الجزائر ، (د.ت) ص 118-119 .

[4] - القراءة الشاذة : (عند علماء القراءات أن الشذوذ يطلق على كل قراءة خالفت المقاييس المجمع عليها . قال ابن الجزري :"ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أو عن من هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف و الخلف) ينظر ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، تح علي محمد الضباع دار الكتب العلمية بيروت ، (د.ت) ج9/1 .و ينظر التواتي بن تواتي ، القراءات القرآنية و أثرها في النحو العربي و الفقه الإسلامي ، دار الوعي ، الجزائر ط1 ، 2008 م ، 407 و ما بعدها .

[5] – العيني عمدة القارئ ، ج13/13-14 ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى (وأذان من الله و ررسوله أن الله برئ من المشركين و رسوله)

[6] – العيني ، عمدة القارئ ، ج123/2-124 . كتاب العلم باب ، الفتيا و هو واقف على الدابة و غيرها ،

خالويه وغيره في قوله (**الكبير متعال**)"وقرأ ابن كثير بإثبات الباء."[1] .وأما قوله (**الداع**) فقد وردت وردت في ثلاث مواضع الأول في قوله(**أجيب دعوة الداع**) البقرة 186. والثاني في قوله (**يوم يدع الداع**) القمر6، والثالث في قوله:(**مهطعين إلى الداع**)القمر 8. فقد "قرأ أبو عمرو ونافع بإثبات الياء في الوقف والوصل، وقرأ أبو عمرو وورش بإثبات الياء في الوصل."[2]وماله أيضا ما ذكره في قوله تعالى (**إلا أن تكون تجارة**)البقرة282، "فيه قراءتان: الرفع على أن(**تكون**)تامة،والنصب على تقدير: إلا أن تكون الأموال أموال التجارة فحذف المضاف وقيل:الأجود الرفع لأنه أدل على إنقطاع الإستثناء، ولأنه لا يحتاج إلى إضمار."[3] .

ومن منهج العيني في إيراد القراءات والإستشهاد بها، أنه يرد بعضها أو يصفها بالشذوذ و قراءها بالوهم، ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى:"(**فلم تجدوا ماء**) "القرآن هكذا في سورة النساء والمائدة ورواية الأكثرين على هذا وهو الصواب. وفي رواية النسفي وعبدوس و الحموي والمستملي(**فإن لم تجدوا**)، ووقع التصريح به في قصة عائشة..فأنزل الله آية التيمم (**فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا**) النساء 43- و المائدة 6 . والظاهر أن هذا وهم من حمّاد أو غيره، أو قراءة شاذة لحماد."[4] . وقد يستشهد العيني بالقراءات لتعزيز الأوجه الإعرابية المتنوعة التي يحتملها التركيب في حديث من الأحاديث كما فعل في حديث أبي هريرة "﴿ **لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه** ﴾..قوله: (**ثم يغتسل**) يجوز فيه الأوجه الثلاث: الجزم عطفا على (**لا يبولن**) لأنه مجزوم الموضع بلا التي للنهي، ولكنه بني على الفتح لتوكيده بالنون.والرفع على تقدير: ثم هو يغتسل فيه والنصب: على إظهار أن . وإعطاء ثم حكم: واو الجمع. ونظيره في الأوجه الثلاثة قوله تعالى:(**ثم يدركه الموت**) النساء100 .فإنه قرئ بالجزم: وهو الذي قرأته السبعة، والرفع والنصب على الشذوذ."[5]. ويوجه العيني رواية النصب وما توحي به من معنى ، وأثر ذلك على فهم حكم الإغتسال في الماء الراكد. فأورد في ذلك قول النووي الذي لم يجوز وجه النصب: "لأنه يقتضي أن المنهي عنه الجمع بينهما (**أي بين البول والإغتسال**) دون إفراد أحدهما وهذا لم يقله أحد، بل البول فيه منهي عنه سواء أراد الإغتسال فيه أو منه أم لا. ولا

[1] - ابن خلويه ، الحجة في القراءات السبع ،تح عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق القاهرة ، ط4 ، 1981 .م ، ص 200.

[2] – ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، ج 237/2 .

[3] - العيني عمدة القارئ ج161/10.

[4] – نفسه ، ج186/3 . كتاب التيمم .

[5] - المصدر السابق ج665/2-668 . كتاب الوضوء ، باب البول في الماء الدائم .

يقتضي الجمع إذ لا يريد بتشبيه ثم بالواو المشابهة من جميع الوجوه بل جواز النصب يعده فقط، سلمنا، لكن لا يضر إذ كون الجمع منهي يعلم من هنا. وكون الأفراد منهيا من دليل آخر كما في قوله تعالى: (**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق**) البقرة42. على تقدير النصب.[1] هذه نماذج تعكس عناية العيني بالقراءات القرآنية وطرق الاحتجاج بها، ما يجعلنا نخلص أن معرفته بها كانت معرفة مكنية، وأن قد إلتزم بمثل ما إلتزم به النحاة في استشهادهم بالقراءات في التقعيد والتأصيل، وإن رأيناه ينفرد ببعض الآراء ولكنه في شيء يسير.

2. الحديث النبوي الشريف:

أجمعت كلمت النحاة قدماء ومحدثين على الاجتماع بالقرآن الكريم وقراءاته، واحتجوا بكلام العرب الفصحاء شعره ونثره في تقعيد القواعد النحوية، ووضع الأصول اللغوية والصرفية، أما الحديث النبوي الذي كان من المفترض أن يكون رتبه بعد القرآن في الإحتجاج النحوي، تحَفظ عليه النحاة ولم يحض بإهتمامهم، وإن المتصفح لكتب النحو لا يكاد يجد ألا نزرا قليلا من الأحاديث وردت عرضا ولم تكن مقصودة لذاتها، ومن وقف النحاة الأوائل من الحديث الشريف قاد إلى ظهور الخلاف في الإحتجاج به فكانت المذاهب مابين مانعين منعا مطلقا، ومجيزين جوازا مطلقا، ومذهب حاول التوسط بينهما، وقد سبق لي أن تناولت ذلك بالتفصيل والتحليل والذي يهم هو موقف العيني من الحديث النبوي، والرأي مذهب ينتمي من هذه المذهب الثلاثة. وبعد البحث والاستقراء تبين إحتجاج العيني بالحديث الشريف في أثناء كلامه عن الموضوعات النحوية، مستدلا بها على تقرير الأحكام والأوجه الإعرابية، فكان كثير الإستشهاد إلى حد يمكننا الجزم من أن العيني كان يذهب مذهب الذين أجازوا الإحتجاج بالحديث النبوي، حتى أنه لم يرد على أحد من الذين استشهدوا بالحديث ولم يخطئ واحدا من أولئك الذين إحتجوا به على بعض مسائل النحو، والنماذج في ذلك وفيرة في شرح العيني بالأسماء أو في باب الأفعال أو في باب الحروف.

[1] - نفسه ج166/2 . كتاب الوضوء ، باب البول في الماء الدائم

أ . **نماذج من الأحاديث التي إحتج بها العيني:**

1. في باب الأسماء :

ومن الأمثلة في هذا الباب ما أجازه العيني من مجي: خير كان ضميرا متصلا، رغم أن أكثر النحاة لا يجيز ذلك ، فلا يكون خبر كان إلا ضميرا منفصلا. فيقال : **صديقي كنت إياه** ولا يجوز القول: **صديقي كنته**. واستدل العين على مجيء خير كان ضميرا متصلا بحديث عمر بن الخطاب في قصة ابن صياد "﴿ **فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله** ﴾..قوله: (**إن يكنه**) هذا ضمير المتصل في يكنه هو خيرها، وقد وضع موضع المنفصل واسم يكن مستتر فيه، ويروي: إن يكن هو، هو الصحيح المختار في خير كان هو الإنفصال، وعلى تقدير هذه الرواية لفظ: هو تأكيد للضمير المستتر، وكان تامة، أو وضع هو موضع إياه أي: إن يكن إياه أي الدجال."[1]. وقد دافع ابن مالك عن هذا الرأي فقال: "إن كان الفعل من باب "**كان**" واتصل به ضمير رفع جاز في الضمير الذي يليه الإتصال نحو: صديقي كنته، والإنفصال نحو:صديقي كنت إياه، والإتصال عندي أجود، لأنه الأصل وقد أمكن لشبه (**كنته**) بـ(**فعلته**)، فمقتضى هذا الشبه أن يمتنع:كنت إياه، كما يمتنع: فعلت إياه، فإذا لم يمتنع فلا أقل من أن يكون مرجوحا، وجعله أكثر النحويين راجحا، وخالفوا القياس والسماع، أما مخالفة القياس فقد ذكرت، وأما مخالفة السماع فمن قبل الاتصال ثابت في أفصح الكلام كقول النبي صلى الله عليه وسلم (**فإن يكنه فلن تسلط عليه**) وفي الكلام المنظوم كقول الشاعر:

فإن لا يكنها أو تكنه فإنّه *** أخوها غنته أمه بلبانها.[2]

ومن الأمثلة أيضا جواز استعمال "**قط**" في الإثبات والتي ذكرها ابن هشام فقال:" "**قط**" على ثلاثة أوجه: **أحدها**: أن تكون ظرف زمان لإستغراق ما مضى، وهذا بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة في أفصح اللغات، وتختص بالنفي، يقال: ما فعلته قط..**الثاني** : أن تكون بمعنى حسب وهي مفتوحة

[1] - المصدر السابق ، ج6 /233 -236 ، كتاب الجزائز باب : إذا أسلم الصبي و مات هل يصلى عليه ...

[2] - ابن مالك النحو ، شواهد التوضيح ، ص 27-28 .

القاف ساكنة الطاء..**الثالث**: أن تكون إسم فعل بمعنى يكفي، فيقال:قطني بنون الوقاية كما يقال: يكفيني. وقد احتج العيني على مجيء "**قط**" للإثبات بحديث سمرة بن جندب قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **فقالا لي (أي الملكان) انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط**.. ﴾ قوله "**قط**" أصل هذا الكلام ، وإذا حول الرجل ولدان ما رأيت أكثر ولدانا قط أكثر منهم... ولما كان هذا التركيب متضمنا معنى النفي جازت زيادة: من وقط التي تختص بالماضي المنفي.وقال ابن مالك: جاء استعمال قط في المثبت في هذه الرواية وهو جائز، وغفل أكثرهم عن ذلك وخصوه بالماضي المنفي. وقال الكرماني: يحتل أنه إكتفى بالمنفي الذي لزم من التركيب إذ معناه: ما رأيت أكثر من ذلك، أو يقال إن النفي مقدّر."[1] .

ومن النماذج إضافة الألف إلى التمييز، إذ القياس عند النحاة أن العدد "**ألف**" إذا جاء مضافا لا تدخله أل التعريف فلا يقال: عني الألف دينار، وإنما الصحيح عندهم: عندي ألف دينار، قال السيوطي في ذلك: "يعرف العدد المفرد فيقال: الواحد والإثنان والثلاثة والعشرة والعشرون والتسعون والمائة والألف، وتدخل "**أل**" في المتعاطفين، وفي ثاني المضاف دون أوله نحو:مئة الدرهم، وألف الدينار."[2]. وقد استدل العيني على هذا التركيب بأن العدد "**ألف**" يأتي مضافا إلى دينار، وهو معرف بأل في قصة رجل من بني إسرائيل الذي سأل رجلا أن يسلفه ألف دينار فقل علي الصلاة والسلام في ختام القصة على لسان الرجل الدّائن"﴿ **فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشية، فانصرف بالألف دينار راشدا** ﴾..قوله: (**بالألف دينار**) هو جائز على رأي الكوفيين."[3].

2. في باب الأفعال :

ومن النماذج في هذا الباب: الخلاف الوارد في "**هلمَّ**" فقد قال ابن مالك أنه: "اسم فعل على لغة الحجازيين وفعل على لغة ابن تميم، لأن الحجازيين لا يبرزون فاعلها في التأنيث التثنية والجمع، وبنو تميم يبرزونه"[4]. وذهب العيني إلى أن "**هلمّ**" جاءت على لغة الحجازيين في حديث جابر بن عبد الله يقول:

---

[1] - العيني عمدة القارئ ج16/321-324 ، كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح .

[2] - السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح عبد السلام محمد هارون و عبد العال سالم مكرم ، مطبعة الحرية بيروت ،1975 م ج2/150 .

[3] - العيني عمدة القارئ ، ج7/359-360 .

[4] – ابن مالك النحوي شرح الكافية الشافية ، تح عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المؤمون للتراث ، مكة المكرمة ، ط1/1982 ، ج3/390 .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "﴿ **قد توفي اليوم رجل صالح من الحبشة فهلمّ فصلوا عليه.**﴾ قوله(**فهلمّ**) بفتح الميم أي تعال. ويستوي فيه الواحد والجمع في لغة الحجاز، وأهل نجد يصرفونها فيقولون: (**هلمّا، هلمّوا، هلمّي، هلمنن**)."[1]. واستدل العيني أيضا بحديث عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالصدقة فقال: ﴿ **تصدقن، فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلم لكنّ فداء أبي و أمي...**﴾.. قوله:(**هلمّ**) :أي هاته وقربه، ويستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، تقول:هلمّ يا رجل، هلمّ يا رجلان، هلمّ يا رجال،هلمّ يا امرأة، هلمّ إمرأتان هلمّ يا نسوة، هذه لغةّ أهل الحجاز. وأما بنو تميم فيقولون:هلمّ، هلمّا، هلمّوا، هلمّي، هلممن فالأول أفصح."[2].والذي نطق به النبي الكريم جاء به القرآن العزيز كما أورده القرطبي بعد أن ذكر لغة أهل الحجاز ولغة بني تميم قال: "وعلى لغة أهل الحجاز جاء القرآن، ومنه قوله تعالى: (**قل هلمَّ شهداءكم**) الأنعام 150.وقوله تعالى: (**والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا**) الأحزاب 18."[3].

ومن الأمثلة أيضا مجيء: جواب فعل الشرط المضارع في صيغة الماضي، و وروده على هذا الحال كما يرى النحاة لا يخص إلا بالضرورة الشعرية، ولكن العيني أجازه في غير ذلك مستدلا بحديث "أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**من يقم ليلة القدر إيمانا وإحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** ﴾ قوله: (**غفر له**) جواب الشرط وهذا كما ترى وقع ماضيا. وفعل الشرط مضارعا والنحاة يستضعفون مثل ذلك. ومنهم من منعه إلا في ضرورة الشعر، وأجازو ضده وهو أن يكون فعل الشرط ماضيا والجوب مضارعا ، ومنه قوله تعالى: (**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم**) هود 15. وجماعة منهم جوزوا ذلك مطلقا، واحتجوا بالحديث المذكور، وبقول عائشة في أبي بكر الصديق: (**من يقم مقامك رق**). والصواب معهم:لأنه وقع في كلام أفصح الناس، وفي كلام عائشة الفصيحة. وقال بعضهم : واستدلوا بقوله تعالى: (**إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت**) الشعراء 4. لأن قوله (**فضلت**) بلفظ الماضي، وهو تابع الجوب، وتابع الجواب جواب قلت:لا نستلم أن تابع الجواب جواب،بل هو في حكم الجواب وفرق بين الجواب وحكم الجواب."[4].و ادّعى ابن حجر في شرحه[5] أن

[1] - العيني عمدة القارئ ، ج 165/6 -166 . كتاب الجنائز باب ، الصفوف في الجنازة .

[2] – نفسه ، ج405/5-406 .

[3] – القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج85/7 .

[4] - العيني عمدة القارئ ، ج336/1 -338 ، كتاب الإيمان باب : قيام ليلة القدر من الإيمان .

[5] - ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج114/1 .

هناك تصرفا من الرواة مستدلا برواية النسائي في عدم المقايرة بين الشرط وجوابه برواية (**من يقم ليلة القدر يغفر له**).ورد العيني على ابن حجر أن "لقائل أن يقول: لما لا يجوز يكون تصرف الرواة فيما رواه النسائي والطيراني.وان ما رواه البخاري بالمغايرة بين الشرط والجزاء هو اللفظ النبوي."[1].وأيد ابن مالك هذا الرأي فبعد أن ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقول عائشة قال: "تضمن هذان الحديثان وقوع الشرط مضارعا والجواب ماضيا لفضا لا معنى، والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصا بالضرورة والصحيح الحكم بجوازه مطلقا لثبوته في كلا أفصح الفصحاء، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء. "[2].

والنموذج الثالث في ذلك: إثبات حرف العلة في الفعل المعتل المجزوم. والقياس عند النحاة أن الفعل المجزوم إذا كان معتلا، كانت علامة الجزم حذف حرف العلة عن آخره، وقد ورد عن بعض العرب إثبات حرف العلة في الفعل المعتل المجزوم، وأجاز العيني هذه اللغة، واحتج لها ببعض الأحاديث منها حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)"﴿ **من أكل من هذه الشجرة –يريد الثوم– فلا يغشانا في مسجدنا** ﴾...قوله: "**فلا يغشانا**" من الغشيان وهو المجيء والإتيان أي: فلا يأتنا،وإنما أثبت الألف لأن الأصل فلا يغشانا، لأنه أجرى المعتل مجرى الصحيح كما في قول الشاعر:

إذا العجوز غضبت فطلق *** ولا ترضها ولا تملق "[3].

وما ذهب إليه العيني تعضده بعض القراءات القرآنية، من ذلك قول تعالى: (**إنّه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**) يوسف 90. فقد "قرأها ابن كثير بإثبات الياء "**من يتقي**" ."[4].وقوله تعالى: (**لا تخاف دركا ولا تخشى**) طه77. فقد "قرأها حمزة (**لا تخفْ درك ولا تخشى**) حيث جزم الفعل (**تخف**)، وأبقى حرف العلة في الفعل (**تخشى**) مع أنه معطوف على الفعل المجزوم قبله."[5]. ومثله ومثله حديث عائشة قالت: "﴿ **لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه في صلاة، فقال: مُروا أبا بكر فليصل ...كررها ثلاث.**﴾..**قوله:** (**فليصل**) أمر المجزوم

[1] - العيني عمدة القارئ ، ج1/336-338 ، كتاب الايمان ، باب : قيام ليلة القدر من الإيمان .

[2] - ابن مالك شواهد التوضيح ، ص 14-15 .

[3] - العيني عمدة القارئ ، ج5/219-220 ، باب ما جاء في الثوم النئ و البصل و الكراث .

[4] - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج9/256 .

[5] – ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، ج2/ 321 .

ويجوز بإثبات الياء فيه في موضعين وهو من قبيل إجراء المعتل مجري الصحيح، والإكتفاء بحذف الحركة."[1].

3. في باب الأدوات والحروف :

والنماذج في باب الحروف وعملها كثيرة أذكر منها: **الأول**: مجيء "**لن**" حرف جزم مع أن الأصل فيها النصب للفعل المضارع، وقد تأتى جازمة على لغة بعض القبائل العربية، واحتج العيني على ذلك ببعض الأحاديث كحديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال لابن صياد:"﴿**إني قد خبأت لك خبيئا. فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال:إخسأ فلن تعدو قدرك..** ﴾.. قوله :(**فلن تعدو**) بالنصب لكلمة (**لن**) وقال السفاقسي: وقع هنا :فلن تعدو بغير واو. وقال القزاز:وهي لغة لبعض العرب يجزمون بلن مثل لم . وقال ابن مالك: الجزم بلن لغة حكاها الكسائي. وقيل: حذفت الواو تخفيفا. وقيل **لن** بمعنى **لا** أو **لم** بالتأويل."[2] . وقد أحتج العيني بحديث عبد الله بن عمر: :"﴿ **ثمّ أُراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال: لن تراع نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة** ﴾قوله: (**لن تراع**) هكذا في رواية الكشميهني ووقع عند كثير من الرواة (**لن ترع**) بحرف "**لن**" مع الجزم، والجزم بلن لغة قليلة حكاها الكسائي."[3]. وما ذهب إليه العيني أيّده الرماني في قوله: "واعلم أن من العرب من يجزم "**بلن**" تشبيها بها "**بلم**" لأنها للنفي مثلها، أما النون أخت الميم في اللغة."[4]. وقال ابن مالك: "وينصب المضارع أيضا "**بلن**" هذا هو المشهور في لسان العرب، وحكى الجزم بها في اللغة."[5].

الثاني: حذف همزة الإستفهام مع (**أم**)المتصلة، والتي أجازها العيني، واحتج لها بحديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿ **إن الله وكّل بالرحم ملكا يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقض خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه.** ﴾ قوله: (**شقي أو سعيد**) .. ومعنى شقي عاص لله تعالى وسعيد

---

[1] - العيني عمدة القارئ ، ج346/4 ، كتاب الأذان باب : من أسمع الناس تكبير الإمام .

[2] – المصدر السابق ، ج233/6-235 -236 ، كتاب الجنائز ، إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه .

[3] - نفسه ، ج306/16-307 ، كتاب التعبير ، باب : الأمن و ذهاب الروع في المنام .

[4] - أحمد عبد النور المالقي ، رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تح أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 1985 م ، ص 357 .

[5] – بهاء الدين بن عقيل ، المساعد على تسهيل الفوائد ، تح محمد كامل براكات ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط2 ، 2001 م ، ج66/3 .

مطيع له، قال الكرماني:فإن قلت: أم المتصلة ملزومة لهمزة الإستفهام، فأين هي؟ قلت مقدرة ووجودها في قرينها يدل عليه ، كما هو قول الشاعر :

..... بسبع رمين الجمر أم بثمان.

أي أبسبع."[1]. وما أجازه العيني هو الصحيح، وتأيده بعض القراءات كقراءة ابن محصين في قوله تعالى: (**سواء عليهم ءانذرتهمو أم لم تنذرهم**) البقرة 6 . بهمزة واحدة ، وقراءة أبي جعفر (**سواء عليهمو أستغفرت لهمو أم لم تستغفر لهم**) المنافقون 6 . بهمزة وصل في "**استغفرت**"[2]. ومن حذف همزة الإستفهام مع "**أم**" المتصلة في كلام العرب قول إمرئ القيس.

تروح من الحي أم تبتكر *** وماذا عليك بأن تنتظر. [3]

وهو يريد: أتروح .

الثالث:وجود جواب "**لو**" مضارعا منفيا، خلافا لما ذهب إليه النحاة أن جوابها إما أن يكون فعلا ماضيا أو مضارعا مجزوما "**بلم**" وإلا هذا أشار ابن هشام أن "جواب: "**لو**" إما مضارعا منفي بلم نحو "**لو لم يخف الله لم يعصيه**". أو ماض مثبت أو منفي بـ: "**ما**"."[4]. و احتج العيني على جواز مجيء جواب "**لو**" مضارعا منفيا بحديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن لا يمر عليّ ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لِدَيْن.** ﴾ قوله : (**ما يسرني**) جواب **لو**، وقال ابن مالك: الأصل في وقوع جواب "**لو**" أن يكون مضارعا منفيا بما، فكأنه أوقع المضارع موضع الماضي."[5].

---

[1] – العيني ، عمدة القارئ ، ج3/148-151 ، كتاب الحيض ، باب : (**مخلقة و غير مخلقة**) ، و تتمة البيت و هو لعمر بن أبي ربيعة . (**لعمرك ما أدري و إن كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان**). ينظر ديوان عمر بن أبي ربيعة الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1978 م ج2/209 .

[2] - ابن مالك شواهد التوضيح ، ص 78 .

[3] – إمرؤ القيس ، ديوان إمرؤ القيس ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف مصر ، 1958 م ، ص 154 .

[4] - ابن هشام ، مغني البيب ، ص 358 .

[5] - العيني عمدة القارئ ، ج9/105-106 . كتاب في الاستقراض و أداء الديون ، باب : أداء الديون .

ب. منهج العيني في الإحتجاج بالحديث النبوي :

من خلال هذه النماذج المعروضة، وهي كثيرة تبين أن العيني يجعل من الحديث النبوي الأصل الثاني في الاحتجاج النحوي، ورده أقوال بعض اللغويين الذين وصفو حديث الرسول بالضرورة لتعارض نص الحديث بقاعدة نحوية عندهم. كما فعل في جواز وقوع جواب الشرط فعلا ماضيا مع وقوع فعله مضارعا حيث أجازه بعضهم في ضرورة الشعر، والجواب جوازه مطلقا لوروده في كلام أفصح الناس. وردّه على القائلين بالضرورة أيضا في حديث أنس بن مالك "﴿ **أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغزو بنا حتى يصبح وينظر**...﴾ الأصل في (**يغزو**) إسقاط الواو علامة للجزم، ولكنه على بعض اللغات، وهو عدم إسقاط الواو، وإخراجه عن الأصل ، ثم قيل هذه لغة وقيل: ضرورة، ولا ضرورة إلا في الشعر، ووروده هكذا يدل على أنها لغة،وهي رواية كريمة."[1].

وكان العيني كثيرا ما يستأنس بالشعر العربي في مجال إحتجاجه بالحديث النبوي. ومثال ذلك حديث البراء بن عازب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **إذ أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم إضطجع على شقك الأيمنُ ثمّ قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك** ﴾.. فإن قلت: كيف يتصور أن يكون راغبا وراهبا في حالة واحدة لأنهما شيئان متنافيان؟ قلت فيه حذف تقديره: راغبا وراهبا منك، فإن قلت: إذا كان التقدير راهبا منك، كيف استعمل بكلمة (**إلى**)، والرهبة لا تستعمل إلا بكلمة (**من**)، قلت: (**إليك**) متعلق برغبة، وأعطي للرهبة حكمها والعرب تفعل ذلك كثيرا كقول بعضهم:

ورأيت بعلك في الوغى *** متقلدا سيفا ورمحا.

والرمح لا يتقلّد. وكقول الآخر:

..... *** علفتها تبنا وماء باردا.

[1] - نفسه ، ج4/162-136 . كتاب الأذان باب ما يحقن بالأذان من الدماء . و كريمة هي بنت أحمد المروذية ، و يقال لها أم الكرام و ست الكرام ، ولدت سنة 365 هـ ،و وكانت محدثة تروي صحيح البخاري ، و قد انتهى إليها علوم الإسناد للصحيح ، و توفيت في المدينة سنة 436 هـ . ينظر عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني،المعروف بابن الأثير ، دار صادر بيروت ، ط 1/ 1979م ج8/390.

والماء لا يعلف."[1]. ومثاله أيضا ما جاء في حديث "﴿ **اللهمّ اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف.**﴾ ...قوله: "**كسني يوسف**" أي كالسنين التي كانت في زمن يوسف وجمع السنة بالواو والنون شاذ من جهة أنه ليس لذوي العقول ومن جهة تغير مفرده يكسر أوله ولهذا جعل بعضهم كحكم المفردات، وجعل نونه متعقب الإعراب كقول الشاعر:

دعاني من نجد فإن سنينه *** لعبن بنا شيبا وشيبننا مُرْدَا."[2].

وكان من منهج العيني في الإحتجاج بالحديث النبوي في المسائل النحوية،احتجاجه بأقوال للصحابة وللتابعين والشواهد في ذلك عديدة أذكر منها:**إستشهاد العيني على جواز اتصال نون النسوة بالفعل مع ذكر الفاعل** بقول عائشة فيما رواه البخاري "﴿ **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى الصبح بغلس فينصرفن نساء المومنين لا يعرفن من الغلس**[3]**، أو لا يعرف بعضهن بعضا**﴾...قوله: "**فينصرفن نساء المومنين**" وهو على لغة: (**أكلوني البراغيث**) وهي لغة بني الحارث، وكذا قوله: (**لا يعرفن بعضهن بعضا**) وهي في رواية الحموي والكشميهني، وفي رواية غيرهما (**لا يعرف**) بالإفراد في الأصل."[4].

كما استشهد العيني **على جواز حذف حرف العطف** بقول عمر بن الخطاب في صحيح البخاري "﴿ **عن أبي هريرة قال: قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد فقال: أو كلكم يجد ثوبين؟ ثم سأل رجل عمر فقال: إذا وسّع الله فأوسعوا. جمع رجل عليه ثيابه صلّى رجل في إزار ورداء في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سروال ورداء، في سروال وقميص، في سروال وقباء، في تبان وقباء، في تبان وقميص**﴾...فإن قلت: كان المناسب أن يقول: أو كذا أو كذا بحرف العطف فلمَ ترك حرف العطف؟ قلت: أخرج هذا على سبيل التعداد فلا حاجة إلى ذكر حرف العطف كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (**تصدق امرؤ من دينار من درهمه من**

---

[1] - العيني ، عمدة القارئ ، ج2/695-697 ، كتاب الوضوء ، باب : فضل من بات على وضوء .

[2] – نفسه ، ج4/540-542. كتاب صفة الصلاة ، باب :يهوي بالتكبير حين يسجد .

[3] - الغلس بقية ظلمة الليل .

[4] - العيني ، عمدة القارئ ، ج4/652 ، كتاب صفة الصلاة ، باب سرعة انصراف النساء من الصبح .

صاع تمره) ويجوز أن يقال: حذف حرف العطف على قول من يجوز ذلك من النحاة، والتقدير حينئذ: صلى رجل في إزار ورداء أو في إزار وقميص، أو في إزار وقباء،...إلى آخره."[1].

ومن منهج العيني إحتجاجه بالحديث النبوي يعضد به آية من القرآن، ومثاله ما ذكره في شرح حديث عائشة "﴿ **كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله فقدم رسول الله وقد افترق ملاهم وقتلت سرواتهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله في دخولهم في الإسلام** ﴾...قوله: "**في**" بمعنى التعليل في القرآن والحديث أما القرآن فقوله تعالى: (**فذلكن الذي لمتُنَني فيه**) يوسف32. وأما الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم: (**إن امرأة دخلت النار في هرة**)."[2]. وقد يستشهد العيني في أكثر من حديث في بيان بعض الأحكام النحوية، كاستشهاده على **الباء الزائدة** عند شرحه حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**فعليكم بالسكينة**" وفي رواية غيره "**فعليكم السكينة**" بالنصب وضبطها القرطبي بالنصب على الإغراء وضبطها النووي بالرفع على أنها جملة في موضع الحال... وقد قيل أن دخول الباء لا وجه له لأنه متعد بنفسه كما في قوله تعالى: (**عليكمو أنفسكم**) المائدة105. والصحيح أن الباء زائدة للتأكيد ولم تدخل التعدية كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "عليكم برخصة الله تعالى "وقوله: (**فعليه بالصوم فإنه له وجاء**) وقوله: (**وعليكم بقيام الليل**) ونحو ذلك."[3].

وكان العيني في بيان القضايا النحوية يعرض لأقوال النحاة في المسألة ثم يعتمد قولا، منها ويميل إليه ثمّ يقوي رأيه بطائفة من الأحاديث، ومثال ذلك حديث سعد بن أبي وقاص قال: "﴿ **جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة...قلت يا رسول الله أوصي بمال كلّه؟ قال: لا. قلت: فالشطر؟قال: لا. قلت: الثلث؟ قال فالثلث والثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس...** ﴾..قوله: (**إنك أن تدع**) وكلمة "**إن**" يجوز فيها فتح الهمزة وكسرها، ففي الفتح تكون " **أن**" مصدرية وتقديره بأن يترك أي تركه ورثته أغنياء. فقوله: أن يترك في محل الرفع على الإبتداء بالتقدير المذكور، وقوله: (**خير**) خيره. وفي الكسر تكون "**إن**" شرطية وجزاؤها محذوف وتقديره:إن يترك ورثته أغنياء فهو خير. وقال ابن مالك من خص هذا الحكم بالشعر فقد ضيق الواسع..وقال النووي:فتح "**إن**" وكسرها صحيحان، يعني بالفتح تكون التعليل وبالكسر تكون للشرط

[1] – المصدر السابق ، ج3/285-286 ، كتاب الصلاة ، باب : اصلاة في القميص و السروال و التبان و القباء .

[2] – نفسه ، ج11/496-497 .كتاب مناقب الأنصار باب : مناقب الأنصار .

[3] - نفسه ، ج4/212-113 ، كتاب الأذان ، باب :لا يسعى الى الصلاة وليأت بالسكينة و الوقار .

وقال القرطبي: لا معنى للشرط هنا لأنه يصير لا جواب له ويبقى: **خير** لا رافع له.وقال ابن الجوزي: سمعنا من رواة الحديث بالكسر. وأنكره شيخنا عبد الله بن أحمد يعني: ابن الخشاب.وقال لا يجوز الكسر لأنه لا جواب له لخلو لفظ "**خير**" من الفاء. انتهى. قلت: هذا الكلام ساقط من رجل ضابط، وقد قلنا الفاء حذفت وتقديره: **فهو خير**، وحذف **الفاء** من الجزاء سائغ شائع غير مختص بالضرورة."[1].

وقد سبق للعيني أن أورد نفس الحديث برواية مختلفة وعرض لآراء النحاة في "**أن**" في حديث سعد بن أبي وقاص جاء فيه:"(**إنك أن تذر ورثتك أغنياء...**)..قوله: (**إنك أن تذر**) أي أن تترك، قال عياض:رويناه بفتح الهمزة وكسرها وكلاهما صحيح.وقال ابن الجوزي: سمعنا من رواة الحديث بكسر "**إن**". وقال لنا عبد الله بن أحمد النحوي:إنما هو بفتح الألف ولا يجوز الكسر لأنه لا جواب له، أو يبقى خبرا لا رافع له.وقال بعضهم: لا يجوز كسرها لأنها تكون شرطية، والشرط لما يستقبل وهو قد فات. انتهى. قلت التحقيق فيما قاله ابن مالك: إن الأصل أن تركت ورثتك أغنياء فهو خير لك فحذف الفاء والمبتدأ. ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم لأُبيٍّ بن كعب: (**فإن جاء صاحبها وإلا فاستمتع بها**). وقوله لهلال بن أمية: (**البيّنة وإلا حد في ظهرك**)، وذلك مما زعم النحويون أنه مخصوص بالضرورة وليس مخصوصا بها، بل يكثر استعماله في الشعر ويقال في غيره، ومن خص هذا الشعر حاد عن الطريق وضيق حيث لا تضييق."[2].فبعد أن عرض رأي القرطبي وابن هشام والنووي ورأي ابن حجر الذي عبر عنه بـ (**وقال بعضهم**)، وكلام ابن مالك الذي مال إليه وقوّاه بالحديثين.

3. كلام العرب:

لقد استقر الوضع عند علماء العربية فأجمعوا على الاحتجاج بكلام الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وعدم الاستشهاد بكلام المولدين نظما ونثرا، إلا من شذ عن هذا القيد وهو الزمخشري الذي أجاز كلام المولدين. وكلام العرب حجة إذا كان في حدود المكانية والزمانية التي اشتهد وضعها على اللغة قيل أن يفسد اللسان العربي بعدد من العوامل والمبررات، التي احتاط لها اللغويون وأسس النحاة وقواعدهم في أجواء لغوية صافية يقيدها حماية للعرب، وضمونا للقرآن الكريم. وكان شرح العيني

[1] - المصدر السابق ، ج 12/10-14 . كتاب الوصايا ، باب ، أن تترك ورثتك أغنياء .

[2] – المصدر السابق ، ج121/6-122 . كتاب الجنائز ، باب : رثا النبي صلى الله عليه و سلم سعد بن خولة .

غنيا بمادة ثرية من كلام العرب يستشهد به على ما يناقش من مسائل النحو، وقضايا اللغة العربية. ولكن إذا كان المصنفون القدماء قد غالوا في الاستشهاد بكلام العرب نظمه ونثره،فلقد كان العيني متقصدا في ذلك إذا ما قورن احتجاجه بالقرآن الكريم وبكلام سيد المرسلين. وفيما يلي بيان لوقف العيني من الاحتجاج بكلام العرب.ومنهجه في التعامل مع شواهد الشعر والنثر في احتجاجه النحوي.

أ. منهج العيني في عرض الشواهد الشعرية وموقفه منها:

لقد عني علماء العربية بشواهد الشعر عناية كبيرة. وأولوها اهتمام خاصا، فاتخذوا منها مادة يحتجون بها في دراساتهم اللغوية والنحوية فلا غروا في ذلك لأن الشعر"ديوان العرب وبه حفضت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جلّ ثناؤه وغريب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحديث صحابته والتابعين."[1].ولقد رجع إلى الشعر علماء اللغة ومفسرون القرآن. وشراح الحديث الشريف، وفقهاء الشريعة في تسيير لفظ. أو بيان الدلالات اللغوية للكلمات. وكان العيني من المحتجين بالشعر في بيانه للأحكام النحوية والصرفية وتوجيه القراءات وبيان اللغات وتفسير المفردات ولم يبالغ كثيرا كما رأيناه في استشهاده من الطبقات الثلاثة الأولى الذين أجمع على الإحتجاج بهم والأمثلة في ذلك كما يلي:

فمن شعر الجاهلين بشعر امرئ القيس على أن "**في**" تأتي بمعنى "**من**" كما في حديث أبي قلابة قال: جاءنا مالك بن الحويرث في مسجدنا هذا فقال: إني لأصلي بكم ولا أريد الصلاة، أصلي كيف رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي... وكان شيخنا يجلس إذا رفع رأسه من السجود قبل أن ينهض في الركعة الأولى)... قوله: (من السجود) أي السجود الذي في الركعة الأولى لا بقوله: قيل أن ينهض، لأن النهوض يكون منها لا فيها: ويجوز أن تكون كلمة "**في**" بمعنى "**من**" فإن قلت : هل جاء "**في**" بمعنى "**من**"؟ قلت نعم كما في قول إمرئ القيس:

وهل يعمن من كان عهده *** ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال.

[1] - ابن فارس الصاحبي ، ص 467 .

أي: من ثلاثة أحوال. فان قلت: بعده ضرورة الشعر. قلت: ألا ضرورة هنا لأن هذا من الطويل فلو قال: **من** لا يختل الوزن."[1].

ومن شعر المخضرمين احتج بشعر حسان بن ثابت على وجود حذف ألف (**ما**) الإستفهامية إذا سبقها حرف جر نحو: **مم** ، **وعمّ**. كما في حديث إبي موسى الأشعري قال:﴿ **سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها، فلما أُكثر عليه غضب ثمّ قال للناس:سلوني كما شئتم** ...﴾...قوله"**عما شئتم**" وفي بعض النسخ: "**عم شئتم**" بحذف الألف. قلت : إنه يجب حذف ألف ما الإستفهامية إذا جُرت وإبقاء الفتحة دليلا عليها نحو: **فيم** ، **وإلام** ، **وعلام**، وعلة الحذف والخبر فلهذا حذفت،في نحو:(**فيم أنت من ذكراها**)النازعات43،وثبت في(**يومنون بما أنزل إليك**) البقرة4. وأما قول حسان:

علاما قام يشتمني لئيمٌ *** كخنزيرٍ تمرغ في رماد.

فضرورة."[2]

كما استشهد بشعر الشعراء الإسلاميين كشعر جرير في "**حتى**"الإبتدائية الواردة في حديث أنس ابن مالك قال: "﴿ **رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوَضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتي توضؤوا من عند آخرهم.**﴾...قوله:(**حتى يتوضؤوا**). قلت :**حتى** هاهنا حرف ابتداء يعني حرف يبتدئ بعده جملة فاصلة أي تستأنف فتكون إسمية أو فعلية. والفعلية يكون فعلها ماضيا ومضارعا:ومثال الإسمية قول جرير:

فما زالت القتلى تمج دماءها *** بدِجلة حتى ماء دِجلة أشكلُ.

ومثال الفعلية التي فعلها ماض(**حتى عفوا**) الأعراف 95...،ومثال الفعلية التي فعلها مضارعٌ:

---

[1] – العيني ، عمدة القارئ ، ج4/280-281 ، كتاب الأذان ، باب : من صلى بالناس و هو لا يريد إلا أن يعلمهم صلاة النبي صلى الله عليه و سلم و سننه ، و ينظر امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ، ص 27 .

[2] - المصدر السابق ، ج2/158-159-160 ، كتاب العلم ، باب : الغضب في الموعظة و التعليم إذا رأى ما يكره . و ينظر حسان ابن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ، تح ، وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، 1984 م ، ص 258 .

(**حتَى يقولُ الرسولُ**)البقرة214. في قراءة نافع."[1].

لقد استشهد العيني في عمدته بطائفة كبيرة من الأشعار في مختلف المسائل اللغوية والنحوية فأحصى منها بعض الباحثين أكثر من مائتين وخمسة وعشرين شاهدا شعريا.[2]. "ومجموع شواهده في الأجزاء الأربعة الأولى من غير تكرار ما زادت على خمس وثلاثين بيتا. غير أنه انتزع من كنانة النحاة شواهد أخر في سياق عرضه لآرائهم المنثورة في عمدته.ومن أبرز الملاحظات على شواهده الشعرية: **الأولى**: جاءت في أغلبها كاملة حتى بلغ عددها عشرين بيتا، وما بقي من شواهده الشعرية جاء مجزوءًا أو مشطورا فمثال الكامل منها قول الشاعر :

ولولا الشعر بالعلماء يزري *** لكنت اليوم أشعر من لبيدِ [3]

ومن أمثلة الشواهد المشطورة يذكر العيني صدر البيت ولا يذكر عجزه كقول لبيد:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول[4] .....

وقد يأتي بعجز البيت مستغنيا عن صدره كقول الشاعر:

..... *** يظُنانِ كل الظَنِ ألا تلاقياَ.[5]

وقد يقتصر العيني على جزأ من البيت هو مواطن الشاهد كما في قول الشاعر:

ياتَيمُ تيمُ عَدِيْ.....[6]

وكان العيني قليلا ما يذكر الشاهد منسوبا إلى قائله، ومن ذكرهم هم المشاهير الإعلام كلبيد والفرزدق وجرير والهذلي...وأغلب الشواهد الشعرية غير منسوبة لشهرتها وكثرة تداولها على السنة النحاة والنحويون، يهتمون بقول أكثر من القائل، ونسبت الشاهد إلى قائله لا تفيد النحاة إلا في معرفة أصل

---

[1] - العيني ، عمدة القارئ ، ج2/477-478 ، كتاب الوضوء ، باب : التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، و ينظر ، جرير ، ديوان جرير ، تح نعمان محمد أمين طاه ، دار المعارف القاهرة ، 1971 م ، ص 143 .

[2] - سامي الجميلي ، الدراسات النحوية في عمدة القارئ للعيني ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ، ط1، 2008 م ، ص 152 .

[3] - محمد بن إدريس الشافعي ، ديوان الشافعي ، تح محمد عفيف الزغبي ، دار الجيل بيروت ، ط3، 1994 م ، ص 29 . و ينظر العيني ، عمدة القارئ ج2/287 ، كتاب العلم ، باب : من ترك بعض الإختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه .

[4] - لبيد بن ربيعة العامري ، ديوان لبيد ، تح ، حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1993 م ،ص 131 . و تتمة البيت : **أنحب فيقضى أم ضلال و باطل** .

[5] - البيت لقيس بن ملوح المجنون ، و الذي ورد عند ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت ، 2000 م ، ج14/4 . و صدر البيت : **قد يجمع الله الشتيتين بعدما** .

[6] - ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تح نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981 ، ص 219 . و تمام البيت **يا تيم تيم عدي لا أبا لكم * لا يوقعنكم في سوءة عمر .**

الاستشهاد..وشواهد العيني وإن كانت عارية عن الشكل وعلامات الإعراب ألا أنها سليمة من التحريف بعيدة عن التصحيف...كما احتج بشعر الشعراء المولدين: كالمتنبي والفرزدق وجرير وابن رومة.. والتوسع في دائرة الإحتجاج إستفادة من الشاهد الشعري، هو بذلك إنما يجاري سيبويه في الإستشهاد لبعضهم على الرغم من الطعونات مثل: الكميت وأمية بن أبي صلت والحطيئة وذي الرومة والفرزدق وجميل وأبي النجم العجلي. ولقد سار العيني على نهج النحاة في الشعر المجهول قائله حيث استشهد ببعضه، والنحاة قد عدوا الأشعار المجهولة في كتاب سيبويه حجة يمكن الإعتماد عليها. و من الأمثلة التي إحتج بها العيني و هي غير منسوبة إلى قائل، و لكنها جاءت في كتاب سيوية فحظيت بالتسليم لها: قول الشاعر:

أمنجز أنتم وعدا وثقت به *** أم أقتفيتم جميعا نهج عرقوب.

وقول الشاعر:

استغن ما أغناك ربك بالغنى *** وإذا تصبك خصاصة فتحمّل."[1].

وللعيني في الإحتجاج بالشعر على المسائل النحوية مسالك متعددة، تشكوا كل في مجموعها منهجا إمتاز به أثناء شرحه للأحاديث ، وهو ما أغنى به شرحه، وفسح المجال للقارئ أن يكون لنفسه ثقافة نحوية متنوعة من خلال الإطلاع على شرحه. وقد اهتم بعض الباحثين ببعض جوانب هذا المنهج الذي قدم به العيني شواهده الشعرية حيث وظفها توظيفا مميزا، فاحتج بها في المسائل الخلافية التي تباينت فيها أراء النحاة ومثالها في قوله في لفظ "**جذعا**"التي وردت في حديث عائشة "قالت: "﴿ **أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة...فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل...فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزّل الله عل موسى ياليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا**... ﴾ قوله: "**جذعا**"بالنصب والرفع. وجه النصب: أن يكون خير كان المقدر وتقديره: ليتني أكون جذعا. وإليه مال الكسائي، وقال القاضي عياض: هو منصوب على الحال، وهو منقول عن النحاة البصرية، وخبر ليت حينئذ قوله "**فيها**" والتقدير : ليتني كائن فيها تشبيه وصحة وقوة

[1] - موسى سالم أبو جليدان ، بدر الدين العيني و منهجه النحوي في كتابه ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دراسة نحوية تحليلية،رسالة جامعية بإشراف عبد الهادي عبد الكريم ، محمد برهوم ، الجامعة الإسلامية غزة فلسطين ، 2009 م ، ص 93 و ما بعدها .

لنصرتك، وقال الكوفيون: ليت أَعملت عمل : تمنيت، فنصب الجزأين كما في قول الشاعر: يا ليت أيام الصبا رَواجِعَا.

وجه الرفع ظاهر، وهو كونه خبر ليت."[1]

وقد يستشهد العيني بأكثر من شاهد شعري للمسألة النحوية الواحدة، ومثال ذلك حديث البراء بن عازب المتقدم وفيه "﴿ **اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك**.. ﴾ .قوله: (**رغبة ورهبة**) منصوبان على المفعول له على طريقة اللف والنشر أي فوضت أموري إليك رغبة، وألجأت ظهري عن المكاره والشدائد إليك رهبة منك، لأنه لا ملجأ ومنجا منك إلا إليك. ويجوز أن يكون انتصابها على الحال بمعنى: راغبا وراهبا. فإن قلت كيف يتصور أن يكون راغبا وراهبا في حالة واحدة لأنهما شيئا ن متنافيان؟ قلت: فيه حذف تقديره راغبا إليك وراهبا منك، فإن قلت: إذا كان التقدير راهبا منك كيف استعمل بكلمة "**إلى**". والرهبة لا تستعمل إلا بكلمة "**من**"؟ قلت: إليك متعلق برغبة، وأعطى للرهبة حكمها والعرب تفعل ذلك كثيرا كقول بعضهم:

ورأيت بعلك في الوغى *** متقلدا سيفا ورمحا.

والرمح لا يتقلد، وكقول الآخر:

... . علفتها تبنا وماء بارداً

والماء لا يعلف."[2]

ويورد العيني شاهد الشعر ليقوي به آية من القرآن أو قراءة قرآنية، ومثاله في **الأولى**: في بيان مجيء الباء للتبعيض وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في آية الطهارة(**وامسحوا برؤوسكم**)المائدة 6. "وقال أبو بكر الرازي في "**الأ حكام**" قوله تعالى:(**وامسحوا برؤوسكم**) يقتضي مسح بعضه وذلك لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني، وإن كان قد يجوز دخولها في بعض المواضع صلة

[1] - العيني ، عمدة القارئ و ج1/83 -100 101 ، كتاب بدء الوحي .

[2] – نفسه ، ج2/695 697 ، كتاب الوضوء ، باب فضل نمن بات على الوضوء ، و تتمة البيت : ....**حتى شتت همالة عيناها** ، و هو في الإنصاف ج2/613 .

فتكون ملغاة، ويكون وجودها كعدمها سواء، وللكن لما أمكن استعمالها هاهنا على وجه الفائدة لم يجز إلغاءها، فلذلك قلنا: إنها للتبغيض، والدليل على ذلك أنك إذا قلت: مسحت يدي بالحائط كان معقولا مسحها ببعضه دون جميعه، ولو قلت: مسحت الحائط كان معقولا مسحه جميعه دون بعضه فوضح الفرق بين إدخالها وإسقاطها في الصرف واللغة، فإذا كان كذلك تحمل الباء في الآية على التبعيض توفية لحقها، وإن كان في الأصل الإلصاق، إذ لا منافاة بينهما...إنتهى. فان قلت: إذا كانت للتبعيض لما جار أن يقال: (**مسحت رأسي كله**)، كما لا يقال: (**مسحت ببعض رأسي كله**). قلت: قد بيّنا أن حقيقتها إذا أطلقت التبعيض مع احتمال أن كونها ملغاة، فإذا قال: مسحت برأسي كله، علمنا أنه أراد أن تكون الباء ملغاة، نحو قوله تعالى: (**مالكم من إله غيره**) الأعراف59 . ونحو ذلك. فإن قلت: قال ابن جني وابن برهان : من زعم أن الباء جاء للتبعيض فقد جاء أهل الغة بما لا يعرفونه. قلت: أثبت الأصمعي والفارسي والقتيبي وابن مالك التبعيض، وقيل هو مذهب الكوفيين.وجعلوا منه (**عينا يشرب بها عباد الله**) الانسان6. وقول الشاعر:

شربن **بِماءِ** البحر ثم ترفعت."[1]

ومثاله في **الثانية**: في شرح لفظ (**دعه**) التي جاءت في حديث"﴿ **عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله دعه فإن الحياء من الإيمان**﴾ ... قوله (**دعه**) أي اتركه، وهو أمر لا ماضي له، قالوا: أماتوا ماضي يدع ويذر. قلت : استعمل ماضي دع ومنه قراءة من قرأ (**ما ودعك ربك**) الضحى3. بالتخفيف فعلى هذا هو أمر من ودع يدع، وأصل يدع:يودع فحذفت الواو فصار يدع، والأمر: دع. وفي العباب : قولهم دع ذا أي أتركه، وأصله: ودع يدع، وقد أميت ماضيه. لا يقال: ودعه، وإنما يقال: تركه ولا وادع ولكن تارك، وربما جاء في ضرورة الشعر، ودعه فهو مودع على أصله. قال أنس بن زنيم:

ليت شعري عن خليلي ما الذي *** غاله في الوعد حتى ودعه.

[1] – المصدر السابق ، ج2 319 -324-325 ، كتاب الوضوء ، باب : ما جاء في الوضوء .

ثم قال الصغاني: وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم هذه اللغة فيما روى ابن عباس أنه قرأ (**ما ودعك ربك**) بالتخفيف أعن تخفيف الدال وكذلك قرأ بهذه القراءة: عروة ومقاتل وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد النحوي رحمهم الله.."[1].

وقد وسع العيني فضاء الإستشهاد بالشعر حين يستدل به على "لغات القبائل في توجيه بعض الأحكام النحوية، ومن ذلك في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **أما أن فافيض على رأسي ثلاثا وأشار بيديه كلتيهما** ﴾،حين ذكر أن(**كلتيهما**)كذا في رواية الأكثرين، وفي رواية الكشميهني: **كلاهما** وحكى ابن التين في بعض الروايات (**كلتاهما**). قلت: كون كلى وكلتا عند إضافته إلى الضمير في الأحوال الثلاثة بالألف لغة من يراه تثنية، وإن التثنية لا تتغير كما في قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها *** قد بلغا في المجد غايتاها."[2].

و استشهد العين بالشعر على مسألة نحوية شاذة، وذلك من خلال كلامه على قوله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **أتشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدّي على خدّه وهو يقول دونكم يا بني أرفدة...**﴾...قوله: (**دونكم**): بالنصب على الظرفية، وهي كلمة الإغراء بالشيء والمغزى به محذوفا أي إلزموا ما أنتم فيه وعليكم به، والعرب تغري بعليك وعندك وأخواتهما، وشأنها أن يتقدم الإسم كما في هذا الحديث، وقد جاء تأخيرها شاذّا كقوله:

يا أيها الماتح دلوي دونك *** إني رأيت النّاس يحمدونكا."[3].

ومن السمات في منهج العيني تفسيره للشاهد الشعري وتوضيح أحكامه النحوية، وذلك في نحو تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم:. "﴿ **إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي. مرتين فما أوذي بعدها...** ﴾...قوله: (**تاركو لي صاحبي**) وفي رواية التفسير(**تاركون لي**) على الأصل. قوله "**لي**" فصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الاختصاص، وذلك جائز كقول الشاعر:

[1] - المصدر السابق ، ج1 /265 266، كتاب الإيمان ، باب الحياء من الإيمان .

[2] - نفسه ، ج18/3 ،كتاب الغسل ، باب : من أفاض على رأسه ثلاثا .

[3] - نفسه ، ج153/5 -157 ، كتاب العيدين ، باب : الحراب و الدرق يوم العيد .

فرشني بخير لا أكونن ومدحتي *** كناحت – يوما – صخرة بعسيل.

قلت رشني: أمر من راش يريش، يقال: رشت فلانا: أصلحت حاله، والواو في (**ومدحتي**) للمصاحبة أي مع مدحتي والإشتشهاد فيه في قوله:**يوما** فإنه ظرف فصل به بين المضاف وهو قوله وهو: (**كناحت**) و بين المضاف إليه و هو (**صخرة**) والتقدير: كناحت صخرة يوما بعسيل، بفتح العين المهملة وكسر السين المهملة، وهو (**قضيب الفيل**)، قاله الجوهري[1]."[2]. فترك العيني الحديث الذي ساق لأجله الشاهد الشعري في بيان الفصل بين المضافق و المضاف اليه بالجار و المجرور و طفقا يشرحه الشاهد نفسه ويبين أحكامه النحوية، وانشغل به عن الحديث، ولكن بيانه لِمَا جاء في الشاهد هو بيان لما جاء في نص الحديث لهذه المسألة، ولا ضير في ذلك.

ب. شواهد النثر عند الإمام العيني:

في كتب النحاة بعض الأقوال أو الأمثال، جمعوها من منثور الكلام، واتخذوها شواهد على القواعد والأحكام النحوية غير أن النثر لم يحظ بما حضي به الشعر من اهتمامتهم، وذلك لأنه أعلى رتبة، وأسهل حفظا ونقلا من النثر "ولكونه أقرب ما يريده العلماء من فصاحة وصفاء وبلاغة وصحة تعبير عن العواطف السامية."[3].وقد عول النحاة على لغات القبائل في التدليل على المسائل النحوية وتوجيهها، أو لتصحيح المذاهب، وقد عبروا ببعض الصيغ الدالة على اعتمادهم على هذه اللغات من بعض القبائل الموثوق في عربتهم وفصاحتهم كأن يقولوا: (**قال بعض العرب الموثوق بهم**) أو (**قال ناس من العرب**) أو (**قوم من لعرب يقولون**) ونحو هذا .وكان موقف اللغويين و النحويين من اللهجات العربية متباينا والحكم عليها مختلفا، غير أنهم لم " يغفلوا الخلافات بين هذه اللغات في المجالات الصوتية والصرفية والنحوية. ومن الممكن إجمال ذلك في ثلاثة مواقف:

الأول: ذكر اللغة من غير ترجيح إحدى اللغات على الأخرى ومن ذلك ما ذكره الخليل في كسر ياء المضارع وهي لغة هذيل في "**وجع**" وفيها ثلاث لغات:**يوجع و ييجع و ياجع**، ومنهم من يكسر الباء فيقول: **يِيْجَعْ** . **الثاني**: المفاضلة بين اللغات كقول سيبويه في باب الإدغام في سكون آخر المثلين

1- المصدر السابق ، ج395/11 -396 ، كتاب فضائل الصحابة .

[2] – سامي الجميلي ، الدراسات النحوية في عمدة القارئ للعيني ، ص 163-164 .

[3] – خديجة الحديثي ، دراسات في كتاب سيبويه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، (د.ت) ص 80 .

عند أهل الحجاز في الجزم فقالوا:اردُد ولا تردُد وهي اللغة التي اعتبرها جيدة. ولكن بني تميم أدغموا ولم يشبهوها بـ: (**رددت**).**الثالث**: الحكم برداءة اللغات فقد وصفت طائفة من النحاة بعض الظواهر اللهجية بالرداءة وعدم الجودة."[1].

والأمثلة التي عرضها العيني من مسائل النحو، وجاءت تمثل لهجات بعض القبائل العربية كثيرة سأكتفي بمثالين اثنين. **الأول**: حديث "ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ **إن المتبايعين بالخيار في بيعهما ما لم يتفرقا أو يكون البيع خيارا** ﴾...قوله:(**إن المتبايعان بالخيار**) هكذا في رواية الأكثرين على الأصل، وحكى ابن التين عن القابسي: **إن المتبايعان** وهي لغة. قلت: هذه لغة بلحارث ابن كعب في إجراء المثنى بالألف دائما."[2].

الثاني: في قوله عليه الصلاة والسلام: "﴿ **ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرّم الفواحش وما من أحد أحب إليه المدح من الله** ﴾"[3]. و الشاهد في إعمال "**ما**" النافية وإهمالها في قوله: (**ما من أحد أغير**) حيث "يظهر الاختلاف النحوي بين لهجة تميم ولهجة أهل الحجاز، فهي تعمل عند الحجازيين عمل ليس بشروط معلومة. فيرفعون بها الإسم، وينصبون الخبر نحو قوله تعالى: (**ما هذا بشرا**) يوسف31. وقوله: (**ما هنّ أمهاتهم**) المجادلة 2. ولا تعمل عند التميميين نحو: ما زيد قائم وما يقوم زيد. وعلى هذه اللغة قرأ عاصم الجحدري قوله تعالى:(**ما هنّ أمّهاتهم**) برفع أمهاتُهم.وعلى هذا الاختلاف جوّز العين الرفع والنصب في خير ما النافية نحو (**أغير**) و(**أحبَّ**)... وإنما أعملت عند الحجازيين لأنهم يشبهونها بـ (**ليس**).وذكر بعض النحاة أن أهل الحجاز أعملوها وإن لم تكن مختصة لأنها أشبهت ليس من حيث المعنى وذلك أن معنى ليس في الأصل: ما كان، ثمّ تجردت عن الدلالة على الزمان فبقي بعيدا نفي الكون ومعنى (**ما**) مجرد النفي ومعلوم أن نفي الشيء بمعنى نفي كونه."[4].

ومن أقوال العرب المأثورة. سواء كانت حكمة مشهورة أو أمثالا سائرة أستشهد العيني على بعض المسائل النحوية كغيره من العلماء النحاة.ولكن احتجاجه بالأمثال والحكم لم يتجاوز أصابع اليد إذا ما

[1] - سامي الجميلي ، الدراسات النحوية في عمدة القارئ للعيني ، ص 165-166 .
[2] - العيني عمدة القارئ ، ج383/8 ، كتاب البيوع ، باب ، كم يجوز الخيار .
[3] - نفسه ، ج 33/11 .
[4] - سامي الجميلي الدراسات النحوية في عمدة القارئ ، ص 171 .

قورن ذلك بالمصادر الأخرى من قرآن وحديث وشعر ، التي كان استشهاده بها متفاوتا ولكنه كان عزيزا، ويبلغ عدده الأمثال الواردة في شرح العيني قليل قد وردت في الأجزاء الثلاثة الأولى. وهي كالآتي:

(تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.) ، **(لا أبالك)** ، **(هذا حجر ضب خرب).(البر الكر بستين) (هو أشغل من ذات النحيين وهو أكسر من البصل.)** ،(**ظهراهما مثل ظهور الترسين**). وهناك غيرها ولكنه نادر الورود لعدم تعويل العيني عليه كثيرا. وسأكتفي بذكر بعض الأمثال ومحل الاستشهاد بها. **الأول** :"**(تسمع بالمعيد خير من أن تراه)** قاله ابن ماء السماء. ويضرب لمن خبره خير من مرآه."[1]. وقد مثل به العيني عند شرحه لحديث"﴿**عبد الله بن عمر أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**﴾ ...قوله:(**تطعم**) في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف بتقدير: أن، أي هو أن تطعم، فان مصدرية والتقدير: هو إطعام الطعام. وهذا نضير قولهم: (**تسمع بالمعيدي خير من أن تراه**)، أي: أن تسمع أي سماعك، غير أن (**أن**) في هذا المؤول مبتدأ، وفي الحديث المؤول خبر."[2].

الثاني، (**تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها**) حيث أورده العيني عند شرحه لحديث. " شريك بن عبد الله بن أبي نمر أنه سمع انس بن مالك يذكر أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله قائما يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقال: ﴿ **يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبيل فادع الله يغيثنا...ثمّ دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله قائما يخطب فاستقبله قائما فقال:يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال: فرفع رسول الله يديه ثمّ قال: اللهم حوالينا ولا علينا...**﴾...قوله :(**حوالينا**) وفي رواية مسلم (**حولنا**) وكلاهما صحيح، والحول والحِوال بمعنى الجانب، والذي في رواية البخاري تثنية حَوال وهو ظرف يتعلق بمحذوف تقديره: اللهمّ أنزل أو أمطر حوالينا ولا تنزل علينا: فإن قلت: إذا أمطرت حول المدينة فالطريق تكون ممتنعة، وإذن لم يزل شكواهم ؟ قلت: أراد بقوله: (**حوالينا**) والآكام والضراب، وشبههما كما في الحديث، فتبقى الطريق على هذا مسلوكة، كما سألوا. وأيضا أخرج الطرق بقوله: (**ولا علينا**). وقال الطيبي: في إدخال الواو هاهنا معنى لطيف وذلك أنه لو اسقطها لكان

[1] – أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ، مجمع الأمثال ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، ج1/227 .

[2] - العيني عمدة القارئ ، ج1/212-213 . كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام .

مستسقيا للأكام وما معها فقط ،ودخول الواو يقتضي أن طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ،ولكن ليكون وقاية من أذى المطر، فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل.وهو كقولهم: (**تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها**) فإن الجوع ليس مقصودا لعينه. و لكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة إذ كانوا يكرهون ذلك."[1].

الثالث: (**البر الكر بستين**) واستشهد به العيني عند شرحه لحديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**...﴾...فإن قلت : الجملة إذا وقعت خبرا فلا بد من ضمير فيها يعود مبتدأ، لأن الجملة مستقلة بذاتها فلا يربطها بما قبلها إلى الضمير وليس هاهنا ضمير يعود إليه، و الضمير في:(**فيه**)يرجع إلى:(**من**)لا إلى (**ثلاث**)؟ قلت:العائد هاهنا محذوف تقديره:ثلاثة من كن فيه منها وجد حلاوة الإيمان كما في قولك: (**البر الكر بستين**) أي:منه"[2] .

تلك هي أهم الأصول الاستشهادية التي نهل منها العين، فجعل منها أدوات التحليل النحوي ويبان القضايا النحوية، والت تتعلق بالسماء شأنه في ذلك شأن جمهور النحاة و أهل اللغة الذين قدموا السماء على كل دليل، والذي كان محفوفا بعناية لا نظير لها من حيث الزمان ومن حيث المكان ومن ذا جميعا أستنبط النحو العربي.

ب . القياس:

أما الشق الثاني الذي كان مرجع في التأصيل النحوي عند الإمام العيني فهو القياس والذي كان محط عناية النحاة في تقعيد قواعد النحو بعد استقرائهم لما وصلهم من كلام العرب، ونظروا في الحكم السائدة في الأعم الّأغلب منه. فاستنبطوا علله وصنفوها،ثمّ وضعوا قوانينهم المطرّدة،واستخدموا القياس أوسع استخدام كلما رأوا المناسبة لإجرائه، ومن ثم كان لظاهرة القياس أثر كبير في الصناعة النحوية، وإتساع دائرتها وثراء مباحثها حتى غدا عماد النحو. وإنهم لما أرادوا تعريف النحو قالوا "النحو هو العلم بمقياس مستنبطه من استقراء كلام العرب، وقيل: هو معضم أدلة النحو والمعول عليه في غالب مسائله عليه، وإنما النحو قياس يتبع. والقياس عندهم عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل وقيل هو حامل الفرع على

[1] – المصدر السابق ، ج5 /262 –266 ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع .

[2] – المصدر السابق ، ج1/225-226 ، كتاب الإيمان ، باب : حلوة الإيمان

الأصل بعلة، وإجراء حكم الأصل عل الفرع."[1]. ولولا القياس لضاع النحو لأن النصوص المسموعة محدودة والتعبيرات غير محدودة فيحمل بعضها على بعض في دائرة من الأشباه والنظائر. ولا يهمني في هذا المبحث الخوض في تفاصيل المتعلقة بالقياس: أركانه ومسائله بقدر ما يهمني منهج العيني في إعمال القياس أثناء بيانه للمسائل النحوية، وهل يعتبر أصلا أعتمد عليه في إظهار القاعدة النحوية وتطبيقها ؟ وهل صرح به أثناء شرحه ؟ .

لقد كان القياس أساسا استند عليه العيني في العديد من مسائل النحو التي ناقشها، وفي توجيه الأوجه الإعرابية مقتفيا في ذلك أثار النحاة من قبله حيث جعل من القياس "معيارا نقديا يركن إليه لبيان الصحيح الذي يجب أن يتبع على وفق القواعد العامة التي وضعها النحاة، والاشارة على ما خالف هذه القواعد وما يجب أن يكون عليه الاستعمال..ومن أمثلة العيني على ذلك ما ذكره في توجيه قوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب في ابن صياد: " إن يكنه فلن تسلط عليه، وإلا لا يكنه فلا خير لك في قتله. فقد ذكر العيني في قوله: (**إن يكنه**) أن القياس: إن يكن إياه، لأن المختار في خبر كان الإنفصال.. وإنما كان في المختار في خبر كان الإنفصال، لأن اسمها ليس فاعلا حتى يكون جزء من عامله،وإنما الفاعل في الحقيقة مضموم الجملة لأن الكائن في قولنا: كان زيد قائما: قيام زيد، وأما وجه الإتصال فكون الإسم كالفاعل والخبر كالمفعول، ويكون: كنته كضربته. وذهب ابن مالك إلى ما يخالف إختيار جمهور النحاة، حيث رجح الإتصال فيما إذا كان الضمير خبرا لكان أو إحدى أخواتها لوروده في أفصح النثر واستدل على ذلك بالحديث المذكور.

ومثاله أيضا ما أورد العيني في أثناء تفسيره لقوله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. أما تكذيبه إياي أن يقول إني لن أعيده كما بدأته...**﴾. فحذف الفاء من جواب (**أما**)على وفق ما يقتضيه القياس فقال: القياس أن يقال: فإن يقول بالفاء، وهذا دليل من جوّز حذف الفاء من جواب (**أما**)..فقد يذكر العين مسائل نحوية خولف فيها القياس، غير أنه يسعى إلى أن يجد لها وجه يسوغها في الإستعمال، مؤيدا ذلك من القرآن الكريم... ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم: "﴿ **لا تلبسوا الحرير ولا الدباجة ولا تشربوا في آنية الذهب**

[1] -ابن الأنباري ، الإغراب في جدل الإعراب ، تح سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، 1957 م ، ص 93 . و ينظر السيوطي الاقتراح ، ص 94

والفضة، ولا تأكلوا في صحافها...﴾ قوله (**صحافها**) الضمير يرجع إلى الفضة، وكان القياس أن يقال: صحافهما وهذا كما في قوله تعالى: (**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها**) التوبة 34. فإذ علم حكم الفضة يلزم حكم الذهب بالطريق الأولى."[1].وقد يستعمل العيني الموازنة بين القياس والكثرة فيرجح أحدهما على الآخر، والظاهر أنه يرجح القياس بالرغم من ودود الحكم في كلام العرب، وقد يوازن العين بين القياس والقلة، فيجوز مخالفة القياس رغم ورود الحكم قليل في كلام العرب. ومثاله ترجيح القياس رغم كثرة الورود كلام العرب حديث أبي هريرة "﴿ **أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال.. فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده...﴾** قوله: (**أحب**) نصب لأنه خبر أكون، ولفظة: (**أحب**) أفعل التفضيل بمعنى المفعول وهو على خلاف القياس، وإن كان كثيرا إذِ القياس أن يكون بمعنى الفاعل. وقال ابن مالك إنما يشذ بناءه للمفعول إذا خيف اللبس بالفاعل فإن أمن بأن لم يستعمل الفعل للفاعل، أو قورن به ما يشعر بأنه للمفعول لا يشذ كقولهم ... وعبد الله بن أُبَي ألعن من لعن على لسان داود وعيسى ولا أحرم ممن عدم الإنصاف ، ولا أظلم من قتيل كربلاء ، وهو أزهى من الديك وأرجى وأخوف، ولا يقتصر على السماع لكثرة مجيئه."[2].

ومثاله في جواز مخالفة القياس مع القلة في كلام العرب حديث أبي هريرة"﴿**عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:يأتيني على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال من حلال أم من حرام** ﴾. ...قوله: (**بما أخذ**) القياس حذف الألف من كلمة (**ما**) الإستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر ولكن ما حذف هنا لوجود عدم الحذف في كلام العرب على وجه القلة."[3]. ومن منهج العيني في اعتماد القياس إلى لغات القبائل حتى يجد فيها ما يسوغ به مخالفة القياس وقد يعتمد على الرواية ليوجه حكمها النحوي وإن خالفة القياس.ومثال اعتماد على لهجات القبائل حديث عائشة قالت: ﴿**كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر متفلعات بمروطهن...** ﴾... قوله (**كن**) أي النساء، والقياس أن يقال : كانت نساء المؤمنات، ولكن هو من قبيل: (**أكلوني البراغيث**)، في أن البراغيث إما بدل أو بيان، وإضافة النساء إلى المؤمنات مؤولة لان إضافة الشيء إلى

[1] - سامي الجميلي ، الدراسات النحوية في عمدة القارئ للعيني ، ص 177-178 ، و ينظر العيني ، عمدة القارئ ، ج302/14 ، و ج9/20 .

[2] – العيني عمدة القارئ ، ج220/1-221 ، كتاب الإيمان ، باب : حب الرسول من الإيمان .

[3] – نفسه ، ج346/8-347 ، كتاب البيوع ، باب قول الله تعالى : (يا أيها الذين أمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة).

نفسه لا تجوز، والتقدير نساء الأنفس المؤمنات، أو الجماعة المؤمنات."[1]. ومثال اعتماده على الرواية حديث علي يقول:﴿ **بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى إنتهينى إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب قالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عفاصها...**﴾... قوله: (**أو لتلقين الثياب**) قال ابن التين: صوابه في العربية بحذف الياء فقلت: القياس ما قاله، لكن صحة الرواية بالياء فتأول الكسرة بأنها لمشاكله(**لتخرجن**) وباب المشاكلة واسع فيجوز كسر الياء وفتحها فالفتحة بالحمل على المؤنث الغائب على طريق الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة."[2]. هذه بعض النماذج التي تظهر بجلاء أسلوب العيني في الإعتماد على القياس النحوي عند مناقشة للمسائل النحوية وموفقة منه عند توجيه الأوجه الإعرابية، وتسويغ أو ترجيح الأحكام النحوية.

II. منهج العيني في إعراب الحديث النبوي :

الإعراب عند ابن جني هو " الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[3]. وهو عند ابن فارس من العلوم الجليلة التي "خصت بها العرب، فهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام،ولولاه ما مُّيز فاعل من مفعول ولا مضاف عن منعوت ولا تعجب عن استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا تعجب من تأكيد....وقد يكون الإعراب في غير الخبر لأنا نقول: أزيد عندك؟ أزيدا ضربت؟ فقد عمل الإعراب وليس هو من باب الخبر."[4].ولما كان الإعراب بهذه المكانة تأكدت إليه الحاجة في تجلية المعاني وتمييز بعضها عن بعض، لذا اشتهرت عناية علماء النحو بإعراب القرآن ودعوتهم إليه لما يتوقف عليه من إدراك المعاني وفهم المقاصد .أما إعراب الحديث فلا يقل أهمية عن إعراب القرآن، فكلاهما يصب في وعاء واحد، ولكن اللافت أن ما ألف في إعراب القرآن يفوق بكثير ما ألف في إعراب الحديث. ولقد عبر الجرجاني عن أهمية إعراب القرآن فقال: "وأما زهده في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم الذي تقدم أي الشعر... إذ كان علم

[1] – نفسه ، ج104/4 ،كتاب مواقيت الصلاة ، باب : وقت الفجر .

[2] - المصدر السابق ، ج319/10-321 ، كتاب الجهاد و السير ، باب : الجاسوس .

[3] – ابن جني ، الخصائص ، ج35/1 .

[4] - ابن فارس الصاحبي ، ص 77 .

أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها . وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ،ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غالط في الحقائق نفسه ."[1]. وفي الإمكان أن ينسحب كلام الجرجاني في أهمية إعراب القرآن الكريم ، على أهمية إعراب الحديث النبوي الشريف، ولعل في انصراف النحاة عن تأليف مؤلفات في إعراب الحديث جملة من المبررات ولكنها لا ترفع عنهم العذر في التقصير .ومن هذه لأعذار : الاكتفاء بما جاء في شروح السنة من حديث عن الإعراب ، أو كثرة المصنفات وتعدد الروايات جعل من العسير عليهم الإحاطة بكل المرويات .أو أن الإختلاف في الإحتجاج بالحديث النبوي في النحو جعلهم ينصرفون عن إعرابه والعناية به، وهذا الذي أرجحه.

ويعد أبو البقاء العكبري من السابقين إلى تخصص كتاب في إعراب الحديث سماه بهذا الإسم ولكنه لم يتجاوز إعراب أربعمائة وخمس وعشرين حديثا ، ويضاف إلى هذا الجهة اليتيم من ألفه أبي مالك في حل مشكلات الجامع الصحيح والكتابان على أهميتها لم يستوعبا المطلوب في إعراب الحديث النبوي ، ثم جاء السيوطي فاعتمد على الكتابين وزاد عليهما شيئا مضاعفا في كتابه (**عقود الزبرجد**).ولقد أسهم شراح الحديث بقسط وافر وكنه متفاوت في إعراب الحديث أثناء شرحهم له والتعرض إلى المسائل النحوية واللغوية إثراء للمعنى، وبيانا للفوائد والأحكام ، وقد نال صحيح البخاري حظه من الإعراب من قبل ثلة من الشراح يأتي في منهم الكرماني في (**الكواكب الدراري**) وابن حجر العسقلاني في (**فتح الباري**) ولكن عناية العينى بإعراب الحديث في شرحه لصحيح البخاري كانت عناية فائقة، فاق بها شراح كثيرون من حيث الإستعاب والإستقصاء، منسجما مع منهجه التعليمي الذي أشرنا إليه من قبل.وفي هذه الصفحات أحاول أن أبين شيئا عن منهج العيني في إعراب الحديث منه خلال ما قدمه وبشكل ثري من مسائل النحو في الحديث .ويتجلى هذا المنهج في القضايا الآتية:

1. بيان الأوجه الإعرابية المحتملة :

[1] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح محمود محمد شاكر .مكتبة الخانجي القاهرة (د، ت) ص28

قد تتعدد الأوجه الإعرابية تبعا للمعاني التي يحتملها اللفظ ، وقد ولع العني بهذا اللون من لإعراب وهرول وراء لأوجه يحصيها ويجليها ويناقشها مناقشة النحوي المتمكن، غير أني وجدت العيني لا يهتم بإعراب ألفاظ الحديث فحسب، ولكنه توسع في إعراب تراجم الأبواب والتعليقات والأسانيد موظفا ثقافته النحوية في سبيل تقريب المعانى وإيضاح مقاصد البخاري في صحيحه .ولقد اعتنى العيني بأوجه الإعراب من ناحيتين أساسيتين :**الأولى** :بيان الأوجه التي يحتملها اللفظ بإختلاف حركات لإعراب من رفع أو نصب أو جر. **الثانية** : بيان الوجوه التي يحتملها اللفظ عندما يلتزم حركة إعرابية واحدة . ومثال **الأول** :إعراب لفظ (**خمس**) الواردة في حديث طلحة بن عبد الله يقول﴿ **جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن لإسلام . فقال رسول الله : خمس صلوات في اليوم والليلة....**﴾... قوله : (**خمس صلوات**) يجوز فيه الرفع والنصب والجر : أما الرفع فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي خمس صلوات . وأما النصب فعلى تقدير :خذ خمس الصلوات أو هاك أو نحوها .وأما الجر فعلى أنه بدل من الإسلام ، وفيه حذف أيضا تقديره : إقامة خمس صلوات .فعين الصلوات الخمس ليست عين الإسلام، بل إقامتها من شرائع الإسلام ."[1].ومثال **الثانية** :إعراب لفظ :(**انتزاعاً**) التي جاءت في حديث عمرو بن العاص قال : ﴿ **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد...**﴾...قوله : (**انتزاعا**) يجوز في نصبه أوجه : **الأول** : أن يكون مفعولا مطلقا عن معنى يقبض ، نحو رجع القهقرى ، وقعد جلوسا . **الثاني** : أن يكون مفعولا مطلقا مقدما على فعله وهو : (**ينتزعه**) .ويكون :(**ينتزعه**) حالا من الضمير في : (**يقبض**) تقديره :إن الله لا يقبض العلم حال كونه ينتزعه انتزاعا من العباد .**الثالث**:أن يكون حالا من العلم بمعنى منتزعا تقديره : إن الله لا قبض العلم حال كونه منتزعا."[2].

2. دور الإعراب في بيان المعنى وإيضاح المشكل عند العيني :

[1] العيني، عمدة القاري ج 390/1 . 393 كتاب الإيمان باب :الزكاة من الإسلام .

[2] المصدر السابق .ج183/2. 184 كتاب العلم باب :كيف يقبض العلم .

لقد جُعل الإعراب دالا على المعاني دون أن يكون في الألفاظ ما يميز معنى عن آخر، وإن العوامل تتعاقب على الكلمات فتختلف الدلالة :وقد أولى العني بدلو كبير في ربط الإعراب بالمعنى واستعمل الإعراب في توجيه الدلالة ، والأمثلة كثيرة أذكر منها : **الأول**: عند شرحه لحديث حبريل الطويل الذي جاء فيه ﴿ **قال ما الإحسان ؟قال :أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...**﴾... قوله: (**لم تكن تراه**) جملة وقعت فعل الشرط . فإن قلت أين جزاء الشرط ؟ قلت :محذوف تقديره :فإن لم تكن تراه فأحسن العبادة فإنه يراك . فإن قلت: لِمَ لا يكون قوله :(**فإنه يراك**) جزاء الشرط ؟ قلت: لا يصح لأنه ليس مسببا عنه ،وينبغي أن يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء ،كما تقول في إن جئتني أكرمتك ، فإن المجئ هو السبب للإكرام ، وعدمه سبب لعدمه ، وهاهنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فإنه الله تعالى يراه وجدت من العبد رؤية أم لم توجد."[1].

الثاني :عند شرحه لحديث"﴿ **ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى في السفر على راحة حيث توجهت به يومئ إيماء صلاة الليل إلا الفرائض ويوتر على راحلته.**﴾...قوله (**إلا الفرائض**) استثناء منقطع أي :لكن الفرائض لم تكن تصلى على الراحلة. ولا يجوز أن يكون الإستثناء متصلا لأنه ليس المراد استثناء فرائض الليل فقط ، إذ لا تصلى فريضة أصلا على الراحلة ليلية أم نهاريه."[2]. وقد تخفى بعض لأساليب من جهة الإعراب ويستشكل المعنى، فيجتهد العيني في إزالة الكثير من تلك الغوامض بطريقة عملية اتبع في أغلبها طريقة إثارة الإشكال عن طريق الإستفهام ثم المبادرة بالجواب وكأنه في حوار دائم مع القارئ يضع نفسه في مكانه فيثير هذه التساؤلات في كل حين من عمدته ويعبر عنها يقوله :(**فإن قلت، قلت**) .مثال ذلك ما جاء في شرحه لحديث عمرو بن العاص المتقدم "﴿ **إن الله لا تقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا.**﴾ قوله (**حتى إذا لم يبق عالما**) **حتى** ابتدائية دخلت على الجملة، تدل على أن ذلك واقع بالتدريج،كما أن (**إذا**) تدل على أنه واقع لا محالة .(**وإذا**) ظرفية . والعامل فيها :(**اتخذ**)ويحتل أن تكون شرطية فإن قلت: (**إذا**) للاستقبال (**ولم**) لقلب المضارع ماضيا فكيف يجتمعان ؟ قلت لما تعارضا تساقطا فبقي على أصله وهو المضارع ، أو تعادلا فيفيد الإستمرار.فإن قلت :إذا كانت شريطة يلزم من انتفاء الشرط

[1] نفسه ج414/1. 420 كتاب الإيمان باب : سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام .

[2] نفسه ج230/5 كتاب الوتر ، باب : الوتر في السفر .

انتفاء المشروط ، ومن وجود المشروط وجود الشروط ،لكنه ليس كذلك لجواز حصول الإتخاذ مع وجود العالم :قلت :ذلك في الشروط العقلية ، أما في غيرها فلا نسلم اطراد هذه القاعدة ثم ذلك الإستلزام إنما هو في موضع لم يكن للشرط بدل ، فقد يكون لمشروط واحد شروط متعاقبة كصحة الصلاة بدون الوضوء عند التيمم ، أو المراد بالناس جميعهم ، فلا يصح أن الكل اتخذوا رؤوسا جهالا إلا عند عدم بقاء العالم مطلقا ، وذلك ظاهر."[1].

3. عناية العني بإعراب الجمل :

لقد اعتنى الإمام العيني بإعراب الجمل مادام لأمر في نظره يزيد المعاني صفوحا ، والمقاصد بيانا فكانت محل اهتمامه ومن كلامه في هذا الشأن "واعلم أن الجملة لا حظ لها من الإعراب إلا إذا وقعت موقع المفرد وذلك بحكم الإستقراء في ستة مواضع : خبرا لمبتدأ ، خبر باب (**إن**) وخبر باب (**كان**)، والمفعول الثاني من باب (**حسب**) وصفة النكرة والحال ."[2].ولكن بالرجوع إلى ابن هشام نجد أن الجمل التي لها من الإعراب محل سبعة وهي "الواقعة خبرا وموضعها الرفع في بابي **المبتدأ** و**إن** والنصب في بابي **كان** و**كاد** ... والواقعة حالا وموضعها النصب ....والواقعة مفعولا ومحلها النصب إن لم تنب عن فاعل ...والمضاف إليه ومحلها الجر ...والواقعة بعد الفاء أو إذا جوابا لشروط جازم والتابعة لمفرد .....والتابعة الجملة لها محل ويقع ذلك في بابي النسق والبدل خاصة."[3].

وقد ذكر العني في عمدته ما قيل من نظم في إعراب الجمل ، فذكر نظم ابن أم قاسم المرادى النحوي (749هـ)الذي تعرض فيه للجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي الإعراب في ثمانية أبيات.[4] كما أورد ما نظمه أثير الذين أو حيان (745هـ).[5].في ستة أبيات. وسلك العيني في إعراب الجمل مسلكين أساسين :**الأول** :بيان محل الجملة من الإعراب مع التعليل ومثاله ما ذكره في حديث عمر ابن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "﴿ **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة بنكحها فهجرته إلى ما هاجر**

---

[1] المصدر السابق ، ج2/183. 184-185 ، كتاب العلم ، باب :كيف يقبض العلم .

[2] نفسه ،ج1/155 .

[3] - ابن هشام ، مغنى السبب ص 536 ما بعدها .

[4] – العيني، عمدة القارئ ج1/372. 373 كتاب الإيمان باب :حسن إسلام المرء ، ولم أورد هذه الأبيات تفاديا للتطويل .

[5] – نفسه ج1/372-373 ، كتاب الإيمان باب :حسن إسلام المرء ، ولم أورد هذه الأبيات تفاديا للتطويل .

إليه.﴾ ... قوله:(**يصيبها**)جملة في محل الجر لأنها صفة لدينا، وكذلك قوله :(**يتزوجها**)."[1].وجاء بلفظ (**ينكحها**)وهي صفة لإمرأة . مثاله أيضا ما جاء في حديث جابر قال: "﴿ **وهو بحدث عن فتره الوحي...**﴾...قوله :(**وهو بحدث**) جملة إسمية وقعت حالا ، أي :قال في حال التحديث عن احتباس الوحي عن النزول أو قال جابر في حال التحديث: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم."[2].**الثاني** :بيان الوجوه إلحائزة في إعراب الجمل بحسب ما يناسب المعنى ، ومثال ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخذري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "﴿**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن.**﴾... قوله (**يفر بدنيه من الفتن**) أي من فساد ذات البين وغيرها ، قوله (**يفر**)جملة من الفعل والفاعل وهو الضمير المستتر فيه الذي يرجع إلى المسلم، وهي وفي محل النصب على الحال، أما من الضمير الذي في (**يتبع**) أو (**من المسلم**).ويجوز وقوع الحال من المضاف إليه نحو قوله تعالى :(**فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا**) آل عمران 95. فإن قلت: إنما يقع الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف جزءا من المضاف إليه، أو في حكمه كما في :رأيت وجه هند قائمة، فإنه يجوز. ولا يجوز قولك رأيت غلام هند قائمة. والمال ليس بجزء للمسلم.قلت: المال لشدة ملابسته بذي المال كأنه جزء منه. وكذلك الملة ليس بجزء لإبراهيم حقيقة ، وإنما هي بمزلة الجزء منه. ويجوز أن تكون هذه الجملة استئنافية وهي في الحقيقة جواب سؤال مقدر، ويقدر ذلك بحسب ما يقتضيه المقام ."[3].فذكر لهذه الجملة أوجها مختلفة محتملة في الإعراب .

ومثاله أيضا حديث قتادة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال"﴿**إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ولا يستنجي بيمينه،ولا يتنفس في الإناء** ...﴾...قوله :(**ولا بتنفس**) بجوز فيها الوجهان :**أحدهما** أن تكون لا فيه نافية فحينئذ تضم السين .**والآخر**:أن تكون ناهية فحينئذ تجزم السين .فإن قلت :هذه الجملة عطف على ماذا ؟ قلت: عطف على الجملة المركب من الشرط والجزاء مجموعا، ولهذا غير الأسلوب حيث لم يذكر النون ، ولا يجوز أن يكون معطوفا على الجزاء لأنه مقيد بالشرط ، فيكون المعنى:إذا بال أحدكم فلا يتنفس في الإناء .وهو غير صحيح لأن النهي مطلق وذهب السكاكي إلى أن الجملة الجزائية جملة خبرية مقيدة بالشرط، فيحمل على مذهبه أن تكون عطف على

[1] – المصدر السابق ،ج1/53 كتاب الوحي، باب :كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

[2] – نفسه ج1 / 84 . 113 ،كتاب بدء الوحي

[3] نفسه ،ج1/245. 248 كتاب الإيمان باب : من الدين الفرار من الفتن .

الجزائية ولا يلزم من كون المعطوف عليه مقيدا بقيد أن يكون المعطوف مقيد به على ما هو عليه أكثر النحاة."[1].

4. مناقشة الوجوه الإعرابية والترجيح بينها :

لست الأوجه الإعرابية على مسافة واحدة من المعنى فهي تتفاوت بحسب ما تبنى عليه من قواعد وهذا ما يستلزم الترجيح لبعضها على بعض وفق ما يقتضيه المعنى أو تقرره القاعدة النحوية وشخصية العني في مثل هذه المناقشات النحوية والأوجه الإعرابية المختلفة ظاهر وبشكل قوي وقد اعتمد في ذلك على منهجه النقدي في مناقشة الآراء النحوية والاعتراضات، ثم الترجيح فيما بينها وقد شغف العيني بهذا الأسلوب شغفا كثيرا خاصة وهو يعرض لاعتراضانه على الكرماني وابن حجر ومناقشتها. والنماذج أكثر من أن تخصى أذكر منها ، ما ناقشة العني عند شرحه لحديث أبي هريرة "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿**من يقم ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.**﴾...قوله : (**إيمانا واحتسابا**)منصوبان على أنهما حالان متداخلتان أو مترادفتان :مؤمنا ومحتسبا وقول الكر ماني:وحينئذ لا تدل على ترجمة الباب، إذ المفهوم منه ليس إلا القيام في حال الإيمان وفي زمانه مشعر بأنه من جملة قلت :ليس المراد من لفظه :إيمانا هو الإيمان الشرعي وإنما المراد هو الإيمان اللغوى ، وهو التصديق..والترجمة غير مترتبة عليه وإنما هي مترتبة على مباشرة عمل هو سبب لغفران ما تقدم من ذنبه، وهو قيام ليلة القدر هاهنا .ومباشرة هذا العمل شعبة من الإيمان ففهم، ثم إن الكرماني جوز انتصاهما على التميز وعلى العلة أيضا بعد أن قال :التمييز والمفعول له لا يدلان على أنه من الإيمان بتأويل أن: من للإبتداء فمعناه أن القيام منشؤه الإيمان فيكون للإيمان أو من جهة الإيمان قلت :وقوع كل منها بعيد، أما التميز فإنه يرفع الإيمان المستقر عن ذات مذكورة أو مقدرة، وكل منها هاهنا منتف، أما **الأول** :فلأنه يكون عن ذات مفردة مذكورة ، وذلك المفرد يكون مقدرا غالبا. وأما **الثاني** :فإنه لا إبهام في لفظة :**يقم** ولا في إسناده لفاعله. وأما النصب على العلة فإنهما ما فعل لأجل فعل مذكور وهما القيام ليس لأجل علة الإيمان ، وإنما الإيمان سبب القيام. ثم قال الكرماني فإن قلت :شرط التمييز أن يقع موقع الفاعل نحو :**طاب زيد نفسا**. قلت : اطراد هذا الشرط ممنوع ولئن سلمنا فهوا أعم من أن يكون فاعلا بالفعل أو بالقوة كما يؤول :طار عمرو فرحا، بأن المراد طيره الفرح فهو في المعنى إقامة الإيمان قلت هذا التمثيل

[1] نفسه ج422/2 ،كتاب الوضوء ، باب : الإستنجاء بالحجارة .

ليس بصحيح لأن نسبة الطيران إلى عمرو فيه إيهام وفسره بقوله فرحا وتأويله :طيره الفرح كما في قولك: **طاب زيد نفسا** تقديره: **طاب نفس زيد**، وليس كذلك ."[1]. انظر إلى هذه المناقشة والإعتراضات التي وجهها العيني للكرماني والتي رجح أن (**إيمانا وإحتسابا**) جاءت حالا لا تمييزا ولا مفعولا له مظهرا طاقته النحوية وقدرته المنطقية على الردود والأجوبة.

ومن الأمثلة على ترجيحاته الإعرابية بعد إيراد الوجوه ما ناقشه في حديث الحارث بن هشام: ﴿**سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال :أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول...**﴾...قوله :(**رجلا**)نصب على أنه تمييز ، قاله أكثر الشراح وفيه نظر لأن التميز ما يرفع الإبهام المسقر عن ذات مذكورة أو مقدرة **فالأول**: نحو: عندي رطل زيتا و**الثاني** :نحو طاب زيد نفسا قالوا : والفرق بينها أن زيتا رفع الإبهام عن رطل، نفسا لم يرفع إبهاما لا عن طاب ولاعن زيد، إذ لا إبهام فيهما بل رفع إبهام ما حصل من نسبته إليه وههنا لا يجوز أن يكون من القسم الأول وهو ظاهر ولا من الثاني لأن قوله (**يتمثل**) ليس فيها إبهام ، ولافي قوله (**الملك**) ولا في نسبته التمثيل إلى الملك، إذ قولهم :هذا نصب على التميز غير صحيح بل الصواب أن يقال:أنه منصوب بنزع الخافض،وإن المعنى يتصور لي الملك تصور رحل، فلما حذف المضاف المنصوب بالمصدرية أقيم المضاف إليه مقامه، و أشار الكرماني إلى جواز انتصابه بالمفعولية إن ضمن (**تمثل**) معنى (**اتخذ**) أي اتخذ الملك رجلا مثالا .وهذا أيضا بعد من جهة المعني على ما لا يخفى وإلى انتصابه بالحالية .ثم قال:فإن قلت:الحال لابد أن يكون دالا على الهيئة، والرجل ليس بهيئة قلت : معناه على هيئة رجل انتهى.قلت :الأحوال إلى تقع من المشتقات لا تؤول بمثل هذا التأويل ، وإنما تؤول من لفظها كما في قولك :هذا بسر أطيب منه رطبا والتقدير متبسرا مترطبا، وأيضا قالوا :الإسم الدال على الاستمرار لا يقع حالا، وإن كان مشتقا نحو اسود واحمر لأنه وصف ثابت فمن عرف زيدا عرف أنه أسود، وأيضا الحال في المعنى خبر عن صاحبه فيلزم أن يصدق عليه والرجل لا يصدق على الملك."[2].بهذا التحليل ، وبهذا الإحاطة يناقش العيني بعض الشراح في بعض أعاريبهم ثم يرد عليها ويرجح مايراه الأصوب والأليق بالمعنى .

[1] المصدر السابق، ج1/336 337 ،كتاب الإيمان، باب : قيام ليلة القدر من الإيمان ، وينظر الكرماني ،شرح الكرماني ،ج1/154 .

[2] المصدر السابق ،ج1/ 69- 78 كتاب بدء الوحي

5. التوسع في الإعراب ومظاهره :

امتاز العيني أثناء التحليل النحوي للحديث بالتوسع في الإعراب، وذلك يمثل سمة غالبة في شرحه نظرا للمنهج الذي رسمه لنفسه والذي بني على التفصيل والإطناب ومن مظاهر هذا التوسع نجد العيني لا يكتفي بإعراب التركيب في أول موضعه الذي يصادفه فيه ثم يحيل إليه إذا تكرار نفس التركيب في موضع آخر ، بل نجده بعيد ما ذكره .وكأنه يرد لأول مرة .ومثال ذلك كلامه في (**بينا وبينما**) التي وردت في حديث ﴿ **جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يحدث عن فترة الوحي قال، بينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء و الأرض...**﴾...قوله (**بينا**) أصله بين بلا ألف فأشبعت الفتحة فصارت ألفا ، ويزاد عليها ما فيصير معناهما واحد ،وهو من الظروف الزمانية اللازمة للإضافة إلى الجملة الإسمية ، والعامل فيه الجواب إذا كان الجواب مجردا من كلمة المفاجأة، وإلا فمعنى المتضمنة هي إياها وتحتاج إلى جواب يتم به المعنى. وقبل إقتضى جوابا لأنه ظرف يتضمن المجازاة والأفصح في جوابه (**إِذْ** و **إِذَا**) خلافا للأصمعي والمعنى: أن في أثناء أوقات المشي فاجأني السماع."[1].فكلما ورد ذكر بينا **إلا** ويكرر العنيني نفس التحليل تقريبا وقد أعاده في مواضع كثيرة أذكر منها في كتاب الوحي السابع، وفي كتاب العلم باب القراءة والعرض على العلم الحديث 63 وفي الحديث 66 و74 و 82 و125 و 298 و403 و635 و878 و1211 و1265 و1475 و1536 و1830 و1936 هذا أرقام الأحاديث من صحيح البخاري التي جاء فيها لفظ (**بينا**)أو (**بينما**) .

ويميل العيني في إعرابه للحديث في بعض الأحيان إلى بيان الأحكام النحوية البسيطة والتي لا تخفى على من له أدنى معرفة بالنحو ببيان المبتدأ والخبر أو الفاعل والمفعول أو المضاف والمضاف إليه وغيرها من المسائل التي لا عناء فيها والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى والتي تعد من أبجديات الإعراب وبديهيات علم النحو كإعرابه لحديث "عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** .﴾...قوله (**سباب المسلم**)كلام إضافي مبتدأ، وقوله (**فسوق**) خبره."[2].ومثاله أيضا ما جاء في إعرابه لحديث" أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**إن الدين**

[1] المصدر السابق ،ج1/111. 113 كتاب بدء الوحي

[2] العني عمده القارئ ج1/408. 409 كتاب الإيمان باب :خوف المؤمن من أن يخلط عمله وهولا يشعر .

يسر...) ... قوله :(**إن الدين يسر**) مبتدأ و خبر دخلت عليها (**إن**) فنصبت المبتدأ ...)".[1]. وهكذا يمضي العيني في إعراب أحاديث كثيرة على هذه الشاكلة المبسطة، وإني لأرى في ذلك عناية شديدة بإعراب الحديث حتى وإن تعلق الأمر بمثل هذه البديهيات النحوية التي لا يكاد يجهلها حتى أبسط الناس ثقافة في اللغة العربية .

وكان العيني يهوى الإستطراد في إيراد الوجوه الإعرابية المختلفة ومناقشتها بذلك الحس النقدي المميز ، مشغلا يتقرير القواعد النحوية في كتب النجاة وقد حفل شرح العيني بمثل هذه القواعد، وفاء منه دائما إلى منهجه التعليمي الذي سلكه، ومن النماذج في ذلك ماجاء في حديث أبن عباس " ﴿ **قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطاب المدنيه . أو مكة . فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما**...﴾...قوله :(**في قبورهما**) أي حال كونهما يعذبان في قبرهما .وإنما قال **في قبورهما**) مع أن لهما قبرين، لأن في مثل هذا استعمال التثنية قليل، والجمع أجود كما في قوله تعالى: (**فقد ضعت قلوبكما**) التحريم 4. والأصل فيه أن المضاف إلى المثنى إذا كان جزء ما أضيف إليه يجوز فيه التثنية والجمع، ولكن الجمع أجود نحو: أكلت رأسي شاتين وإن كان غير جزءه فالأكثر مجيئه بلفظ التثنية نحو:سل الزيدان سيفيهما، وإن أمن اللبس جاز جعل المضاف بلفظ الجمع كما في قوله :(**في قبوركما**) وقد تجمع التثنية والجمع كما في قوله ظهراهما مثل ظهورالترسين ...".[2] هذه القواعد التى يوردها أثناء إعراب الحديث .تعد مظهرا من ظاهر التوسع الإعرابي .يعزز بها القراءة النحوية للحديث يغرف ذلك من كتب النحاة .

6 . إطالة النفس في الردود والإعتراضات :

عودنا العيني في شرحه على هذا النمط من التحليل الذي ينزع فيه إلى ذكر التفاصيل في المسالة الواحدة، فيشبعها بحثا من آراء النحاة وتوجهاتهم فإذا لم يواقف في ذلك رأيا اعترض عليه وتوسع في

[1] نفسه ج1/349 353كتاب الإيمان باب :الدين يسر .

[2] نفسه ج2/592 595 كتاب الرضوء باب : من الكبائر أن لا يستتر من بوله .

الردود والمناقشة من أجل تقرير ما ذهب إليه ، وتكثر اعتراضات العيني أحيانا في باب التعليل والتقدير وفي التعالق اللنحوي والاختلاف حول الضمير العائد وغيرها. ومثال ذلك حديث أنس قال: ﴿ **كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال :اللهم ابن أعوذ بك من الخبث و الخبائث...**﴾... قوله: (**دخل الخلاء**) والخلاء منصوب بتقدير في لأن تقدير :إذا دخل في الخلاء هذا من قبيل قولهم: دخلت الدار وكان حقه أن يقال دخلت في الدار، إلا أنهم حذفوا حرف الجر اتساعا: فأوصلوا الفعل إليه ونصبوه نصب المفعول به فمن هذا قول بعض الشارحين: وانتصب الخلاء على أنه مفعول به لا على الظرفية غير صحيح اللهم إلا أن يذهب إلى ما قال الجرمي من أنه فعل متعد نصب الدار نحو بنيت الدار ،لكنه يدفعه قوله: بأن مصدره يجيء على فعول ، وهو من مصادر الأفعال اللازمة نحو: قعد قعودا وجلست جلوسا، ولأن مقابله لازم نحو :خرج. قلت: التعليل الثاني غير مطرد لأن ذهب لازم، ومايقابله جاء متعد كقوله تعالى :(**أو جاؤوكم حصرت صدورهم**) النساء 90." [1].

ومثال أيضا حديث أبي موسى لأشعري قال ".قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **ثلاثة لهم أجران :رجل أهل الكتاب آمن بنبيه ،وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والعبد المملوك إذا حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدّبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران...**﴾...قوله :(**فله أجران**) قال الكرماني :الظاهر أن الضمير يرجع إلى الرجل الثالث، ويحتمل أن يرجع إلى كل من الثلاث قلت: بل يرجع إلى الرجل الأخير، وإنما لم يقتصر على قوله أولا، لهم أجران مع كونه داخلا في الثلاثة بحكم العطف: لأن الجهة كانت فيه متعددة وهي التأديب والتعليم والعتق والتزوج، وكانت مظنة أن يستحق الأجر أكثير من ذلك. فأعاد قوله :(**فله أجران**) إشارة إلى أن المعتبر من الجهات أمران، فإن قلت: لم لم يعتبر إلا اثنان ولم يعتبر الكل ؟ قلت: لأن التأديب والتعليم يوجبان الأجر في الأجنبي والأولاد وجميع الناس، فلم يكن مختصا بالإماء. فلم يبق الاعتبار إلا في الجهتين هما :العتق والتزوج. فإن قلت: إذا كان المعتبر أمرين، فما فائدة ذكر الأمرين الآخرين ؟. قلت: لأن التأديب والتعليم أكمل للأجر، إذ تزوج المرأة المؤدبة المعلمة أكثر حركة وأقرب إلى أن تعين زوجها على دنيه .وقال الكرماني: فإن قلت: ينبغي أن يكون لهذا الأخير أجورا أربعة :أجر التأديب والتعليم والإعتاق والتزوج بل سبعة قلت :المناسبة بين هذه الصورة وأخواتها الجمع بين الأمرين الذين هما كالمتنافس فلهذ لم يعتبر فيها إلا الأجر الذي من جهة الأحوال التي للترقبة ، والذي من الأحوال التي

[1] المعنى ، عمده القارئ ، ج1/ 382. 384كتاب الوضوء باب :ما يقول عند الخلاء

للحرية، ولهذا ميزبيها للفظ (**ثم**) دون غيرهما قلت: هذا كلام حسن ولكن في قوله: هما كالمتنافيين نظر لايخفي."[1].

هذه جملة من المسالك المنهجية التى نهجها العيني في إعراب الحديث النبوي، والتى ترسم في مجموعها المعالم الأساسية في استخدام التحليل النحوي في شرحه لصحيح البخاري، والعيني على هذا الأساس يعد من الشراح القلائل الذين استثمروا ثقافتهم اللغوية النحوية في شرح البخاري .هو يقدم نموذجا يمكن أن يضاف إلى الجهود القليلة التي بذلت في إعراب الحديث الشريف .

II. آراء العيني النحوية واختباراته ومذ هبه النحوي :

لقد استطاع العيني أن يوظف علم النحو في خدمة الحديث النبوي أثناء شرحه لصحيح البخاري،و بعد الإطلاع الوافي على شخصيته العلمية والعصر الذي نشأ في أحضانه والشيوخ الذين جالسهم وتتلمذ على أيديهم، وكان من بينهم أئمة في اللغة والنحو، يبين لنا بجلاء العطاء السخي الذي قدمه العيني لصحيح البخاري ،وكيف أنه جاء حافلا بمسائل لغوية وقضايا نحوية وإعرابية وصرفية جديرة بالتحقيق والدراسة فلا غرو أن يقدم لنا شرحا اتسم بالشمول والإستقصاء والتدقيق من خلال المادة النحوية التي حفل بها هذا الشرح الكبير. وفيما يلي عرض لجملة من النماذج من عمدة القارئ أحاول أن أقدم بها المنهج النحوي في شرح الحديث النبوي، علما أن المادة النحوية جاءت غزيرة غزارة لا يمكن لمبحث كهذا أن يستوفيها أوأن يوفيها حقها أو أن يحيط بها، ولكن عملي في هذا المجال سوف يركز على آراء العني النحوية من خلال مجموعة من الأبواب التي كان له فيها مناقشات ومساهمات نحوية بارزة، ثم الحديث عن موقفه من المذاهب المشهورة واختلافاتها واخياراتها .لأصل في الأخير إلى بيان مذهب العيني النحوي. أما آراءه النحوي فهي أكبر من أن يضمها هذا المبحث برمته ولو ركز عليها، وهي تستحق أن تكون بحثا مستقلا مطولا. ولكن حسبي أن أفصل في شئ منها من خلال محاور ثلاثة رئيسية وهي آراء العيني في باب الأسماء واختياراته في باب الأفعال. ثم في باب الأدوات والحروف .

1-آراؤه في باب الأسماء :

[1] المصدر السابق ج165/2. 187 كتاب العلم باب تعليم الرجل أمنية وأهله

في باب الأسماء العيني وفقات إعرابية ،وقضايا نحوية عمد إليها مناقشا ومحللا، معتمد في كثير منها على القواعد النظرية التي أوردها النحاة وسأقدم مجموعة من النماذج :

*** العلم :**

قسم النحاة العلم إلى عدة أنواع استنادا إلى عدة اعتبارات ، كان العيني قد تعرض أثناء شرحه إلى شئ منها فعرّف كلا من الإسم والكنية واللقب فذكر أن "الكنية عند أهل العربية كل مركب إضافي صدره أن أو أم كأبي بكر وأم كلثوم ، واللقب ما أشعر بمدح أو ذم، والإسم هو ما لم يشعر بمدح أو ذم ولم يصدر بأب أو أم ."[1] وكان ذلك عند شرحه لحديث سلمان ولد له غلام فأراد أن يسميه محمدا فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ **تسمّوا باسمي ولاتكتنوا بكنيي**...﴾[2]. كما ذكر الأقسام الأخرى للعلم في تشخص مسماه وعدم تشخصه حيث قسمه النحاة إلى علم الشخص وعلم الجنس قد ذكرهما العيني في تفسيره لقوله (**سبحان الله**) ،ثم تحدث عن الإضافة في الأعلام ، ومخالفة القياس "لأنها تستغني بالتعريف الوضعي عن التعريف بالقرنية الزائدة، وإضافتها تلحق اشتراكها الاتفاقي بالإشتراك الوضعي. "[3]. قد ذكر العيني أن الإسم إذا اشترك فيه أكثر من شخص جازت إضافة العلم، حيث يخرج عن كونه معرفة ويصبح شائعا. ومجري مجرى النكرات فعند شرحه لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **كلمات خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم ،سبحان الله وحمده**...﴾"...قوله:**سبحان الله** وسبحان الله علم للتسبيح كعثمان علم للرجل ، والعلم على نوعين :علم شخصي وعلم جنسي ثم إنه يكون تارة للعين وتارة للمعنى فهذا من العلم الجنسي الذي للمعنى. قيل: قالوا لفظ سبحان واجب الإضافة فكيف الجمع بين العلمية والإضافة ؟ وأجيب: بأنه ينكر ثم يضاف كما قال الشاعر :

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * * * بأبيض مار الشفتين يمان "[4].

---

[1] العيني ، عمدة القارئ، ج1/447446كتاب الخمس باب :قول الله تعالى (فأن الله خمسه).وج15/314كتاب البر والصلة باب :قول النبي صلى الله عليه وسلم تسموا باسمى ولانكتنوا بكنيتي .

[2] نفسه، ج1/447446كتاب الخمس باب :قول الله تعالى (فأن الله خمسه).وج15/314كتاب البر والصلة باب :قول النبي صلى الله عليه وسلم: تسموا باسمى ولانكتنوا بكنيتي .

[3] جلال الدين السوطي ، الأشبه والنظائر في النحو.ثم عبد الإله فيها ن وآخرون ، ماراكبت العلمية بيروت 2006.ج2/107

[4] العيني عمدة القارئ ، ج15/489. 490 كتاب الدعوات باب فصل ذكرالله عزوجل

كما جوز العيني دخول (**أل**)التعريف على العلم،[1] رغم أن الأصل في الأعلام أن لاتدخلها لاستغنائها بتعريف العلمية عن تعريف آخر ، في المسألة تفصيل في كتب النحو.

***المبتدأ والخبر** :

تعرض العيني في باب المبتدأ والخبر إلى عدد من المسائل النحوية أقتصر على ذكر بعضها :

فعند إعرابه لحديث عائشة في بدء الوحي"﴿ **فقال له ورقة :هذا الناموس الذي نزّله الله على موسى ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك :فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أومخرجيّ هم**...﴾...قوله :(**أومخرجي**) جملة أسمية ، لأن **هم** مبتدأ و**مخرجي** مقدما خبره ولا يجوز العكس لأن مخرجي نكرة ، فإن إضافته لفظية إذا هو إسم فاعل بمعنى الاستقبال وقد قلنا إن أصله :مخرجون جمع مخرج من الإخراج ، فلما أضيف إلى ياء المتكلم سقطت النون وأدغمت الياء في الياء فصار :مخرجي يتشديد الياء، ويجوز أن يكون مخرجي مبتدأ وهم فاعل سد مسد الخبر على لغة "**أكلوني البراغيث**"، ولو روي مخرجي بسكون الياء أو فتحها مخففة على أنه مفرد يصح جعله مبتدأ وما بعده فاعلا سد مسد الخبر كما نقول: أو مخرجي بنوفلان ؟ لأعتماده على حرف الإستفهام لقوله عليه الصلاة والسلام: "﴿ **أحيّ والداك**﴾ والمنفصل من الضمائر يجري مجرى الظاهر، ومنه قول الشاعر .

أمنجز أنتم وعدا وثقت به *** أم اقتفيهم جميعا نهج عرقوب "[2].

كما تعرض العيني إلى الإبتداء بالنكرة فذكر بعض المسوغات أثناء شرحه للأحاديث، والأصل في المبتدأ عند النحاة أن يكون معرفة ، والأصل في الخبر أن يكون نكرة، وقديكونا معرفتين ."فإن عرّفا فقيل الخيار في جعل أيهما شئت المبتدأ أو الخبر وقيل بحسب المخاطب."[3]. وقد يبتدأ بالنكرة إذا أفادت وعدّد النحاة أحوال الإبتداء بالنكرة جعلوا لهذه الظاهرة جملة من المسوغات قد أشار العيني إلى بعضها مبّينا الفائدة الحاصلة من هذا الإبتداء معتمدا على أقوال النحويين. ومن النمادج التي ذكرها: * النكرة المخصصة بالوصف أو المسبوقة باستفهام كما في حديث "﴿ **عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم**

[1] نفسه ج62/3

[2] العيني عمدة القارئ ج10184/1 كتاب بدء الوحي .

[3] ابن مالك ، شرح التسهيل تح عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون:دار هجر ط1، 1990 م، ج289/1.

عيدا :**قال أي آية ؟قال** :(**اليوم أكملت لكم دنيكم** ﴾...قوله :(**آية**) مبتدأ وإن كان نكرة لأنه تخصص بالصفة ، وهي قوله: **(في كتابكم)**.وقوله :(**تقرؤونها**) جملة في محل الرفع على أنها صفة أخرى للمبتدأ ، والجملة الشرطية خبره أعني قوله: (**لوعلينا**) إلى آخره، ويجوز أن يكون المخصص للمبتدأ صفة محذوفة تقديره :آية عظيمة."[1]. أما المسوغ المتعلق بالإستفهام في حديث "أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "﴿ **إن الله عزوجل وكّل بالرحم ملكا يقول يارب نطفه ...أراد أن يقضي خلقه قال :أذكرأم أنثى ؟ أشقي أم سعيد** ﴾...قوله: (**أذكر**) مبتدأ مع أنه نكرة ولايقال النكرة لا تقع مبتدأ لأن فيها المسوغ لوقوعها مبتدأ، وهي كونها تخصصت بثبوت أحدهما إذا السؤال فيه عن التعيين فصح الإبتداء به وهو جملة المخصصات لوقوع المبتدأ نكرة ."[2].

*وأحيانا يورد العيني أكثر من مسوغ واحد بحسب ما تحتمله المعنى كما فعل في حديث "أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "﴿ **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان** ﴾...قوله: (**ثلاث**) مرفوع على أنه مبتدأ، فإن قلت هو نكرة كيف يقع مبتدأ ؟قلت :النكرة تقع مبتدأ بالمسوغ وههنا ثلاث وجوه: **الأول** :أن يكون التنوين في ثلاث عوضا عن المضاف إليه .تقديره: ثلاث خصال فحنيئذ يقرب من المعرفة .**الثاني**: أن يكون هذا صفة لموصوف محذوف تقديره: خصال ثلاث والموصوف هو المبتدأ في الحقيقة، فلما حذف قامت الصفة مقامه. **الثالث**: يجوز أن يكون ثلاث موصوفا بالجملة الشرطية التي بعده والخبر على هذا الوجه هو قوله :(**أن يكون**)."[3] .

كما تعرض العيني إلى مسألة المطابقة بين المبتدأ والخبر في الإفراد والتثنية والجمع ، وقد جاء ت في شرحه لحديث أبي هريرة "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**آية المنافق ثلاث :إذاحدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**) ....قوله :(**آية المنافق**) كلام إضافي مبتدأ و(**ثلاث**) خبره فإن قلت: المبتدأ مفرد، والثلاث جمع والتطابق شرط ، القياس آيات المنافق ثلاث . قلت: لا نسلم أن الثلاث جمع بل هو اسم جمع لفظه مفرد ، على أن التقدير آية المنافق معدودة بالثلاث ."[4]. ثم تحدث

[1] العيني عمدة القارئ ج1/385.386 كتاب الإيمان باب :زيادة الإيمان ونقصانه .

[2] نفسه ج3/294.

[3] العيني عمدة القارئ ج1/225. 227 كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان.

[4] نفسه ج1/325. 328 كتاب الإيمان باب علامات المنافق .

العيني عن الطابقة بين المبدأ والخبر في التذكير والتأنيب عند شرحه لحديث "(**أحب الدين إلى الحنيفية السمحة**) ...قوله: (**الحنيفية**) والمراد الملة الحنيفية، فإن قيل : التطابق بين المبتدأ الخبر شرط والمبتدأ ههنا مذكر والخبر مؤنث ؟قلت: كأن الحنيفية غلب عليها الإسمية حتى صارت علما أوأن أفعل التفضيل المضاف لقصد الزيادة على من أضيف إليه يجوز فيه الإفراد والمطابقة لمن هو له ..."[1].

***الإستثناء :**

تعرض العيني إلى مسائل متعددة تتعلق بالإستثناء وسوف أشير إلى واحدة منها فقط وهي التي يكون فيها المستثنى فعل لأن الأصل في (**إلا**) دخولها على الإسم، ولايمنع دخولها على الأفعال لأن كل فعل دخلت عليه يؤول إلى إسم عند النجاة لذا قالوا في :ناشدتك الله إلافعلت تؤول :ماأسألك إلا فعلك . ومثال ذلك عند العيني حديث "أبي سعيد الخدري:"﴿ **قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم :غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعد هن يوما لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن ، ما منكن من امرأة تقدم ثلاث من ولدها إلاكان لها حجابا من النار** ﴾...قوله: (**إلا كان**) فإن قلت: كيف يفع الفعل مستثنى ؟قلت: على تقدير الإسم أي: ما امرأة مقدمة إلاكائنا لها حجاب ."[2].

كما قدر العيني مستثني محذوفا عند إعرابه لحديث عثمان "قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : :"﴿ **لايتوضأ رجل يحسن وضوءه ويصلي الصلاة إلاغفرله ما بينه وبين الصلاة حتى يصليها**...﴾...قوله (**إلاعفرله**) التقدير :لا يتوضأ رجل الإرجل غفرله ، فالمستثنى محذوف لأن الفعل لايقع مستثنى أو التقدير :لا توضأ رجل في حال إلا في حال المغفرة فيكون الإستثناء من أعم عام الأحوال."[3].

***تعلق الجار والمجرور:**

ذكر النحاة أن "الفعل لا يتعدي بحرفي جر متماثلين لقفظا ومعنى إلى شيئين من نوع واحد كمفعول بهما .أو زمانين أو مكانين ، فإن لم يكونا من نوع واحد كقولنا :درت في البلد في يوم الجمعة جاز.

[1] المصدر السابق ج1/348 كتاب الإيمان باب الدين يسر

[2] المصدر السابق ،ج2/187.188 كتاب العلم باب :هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم

[3] نفسه ج2/448. 449 كتاب الوضوء باب :الوضوء ثلاثا ثلاثا

".[1]وعلى هذا الأساس نجد العيني قد تناول مسألة التعالق النحوي فيما يخص الجار والمجرور ، متحريا الإختلاف في ما يعلق به حرف الجر ومثال ذلك حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم "﴿ **يدخل أهل الجنة الجنة و يدخل أهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**...﴾... قوله : (**خردل**) تعليق بمجذوف وهو حاصلة والتقدير مثقال حبة حاصلة من خردل وهي محل الجر على أنها صفة لمجرور. وقوله: (**من إيمان**) يتعلق بمحذوف آخر، والتقدير: من خردل حاصلة من إيمان وهو أيضا في محل الجر نحوها. ويجوز أن تتعلق **من** هذه يقوله "**من كان** " ولايجوز أن يتعلق بفعل واحد حرفا جر من جنس واحد فافهم .".[2]

***الحال :**

عرف النحاة الحال بتعاريف مختلفه منها ما ذكره أبو حيان "عبارة عن اسم منصوب تبين هيئة صاحبها صالحه لجواب كيف."[3].وعرفه ابن مالك "ما تضمّن ما فيه معنى في غير تابع ولاعمدة وحقه النصب وقد يجر بباء زائدة."[4].كما أدلى العيني يتعريف فقال: "الحال مايبين هيئة الفاعل والمفعول."[5]. عند شرحه لحديث المعرور"﴿ **قال :لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة**...﴾"[6]. وفي باب الحال ناقش العيني جملة من المسائل أكتفي ببعضها ومنها: الحال النكرة، وصاحب الحال، ومجيء الحال من المضاف إليه .

أما تنكير الحال فقد جاء في حديث"﴿ **أبي جمرة قال :كتب أقعد مع ابن عباس يجلسني على سرير فقال :أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي فأقمت معه شهرين ثم قال :إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال :من القوم ؟أو من الوفد ؟قالوا ربيعة قال :مرحبا بالقوم أو الوفد غير خزايا ولاندامى**...﴾...قوله (**غير خزايا**) كلام إضافي منصوب على الحال فإن قلت :إنه بالإضافة صار معرفة ، وشرط الحال أن تكون نكرة قلت :شروط تعرفه أن يكون المضاف

---

[1] رضى الدين محمد بن الحسن الاسترابا ذي شرح شافية ابن الحاجب .تح محمد نور الحسن وآخرون ج2/204. 205 .

[2] العينى ، عمدة القارئ ج1/255. 259 كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

[3] أبو حيان الأندلسي ، إرتشاف الضرب من لسان العرب ، تح رجب عثمان محمد و رمضان عبد التواب ج3/1557

[4] ابن مالك شرح التسهيل ج2/322.

[5] العينى عمدة القارئ ج1/309، كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية .

[6] نفسه،ج1/309.

ضدا للمضاف إليه ونحوه وههنا ليس كذلك."[1]. وقد ذهب العيني في ذلك مذهب الجمهور الذين اشترطوا تنكير الحال "وأجاز يونس والبغداديون أن تأتي معرفة نحو :جاء زيد الراكب وأجاز الكوفيون أنه إذا كان فيها معنى الشرط جاز أن تأتي على صورة المعرفة ،وهي مع ذلك نكرة فأجازوا أن نقول :عند الله المحسن أفضل منه المسيء ."."[2]

وأما عن صاحب الحال فقد ذهب العيني إلى مجيئه نكرة عند إعرابه لحديث طلحة بن عبد الله يقول :﴿ **جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما تقول**..﴾... قوله :(**ثائر الرأس**) يجوز فيه الرفع والنصب ، أما الرفع فعلى أنه صفة لرجل ، وأما النصب فعلى أنه حال وههنا سؤالان: **أحدهما**: أن شرط الحال أن تكون نكرة وهومضاف فيكون معرفة والجواب: أن إضافته لفظية فلا تفيد إلا تخفيفا. و**الآخر**: أنه إذا وقع الحال عن النكرة وجب تقديم الحال على ذي الحال .فكيف يكون هذا حالا؟ قلت: يجوز وقوع صاحبها نكرة من غير تأخير إذا اتصف بشيء كما المبتدأ نحو قوله تعالى :(**فيها يفرق كل أمرحكيم أمرا من عندنا**) الدخان 4. أو أضيف نحو:جاء غلام رجل قائما، أووقع بعد نفي كقوله: (ما أهلكنا من **قرية إلالهاكتاب معلوم**) الحجر 4. وهنا اتصفت النكرة يقوله: (**من أهل نجد**) فافهم ."[3] .

وأما عن مجيء الحال من المضاف إليه فمنعه السيوطي فقال: "حق صاحب الحال أن لايكون مجرورا بالإضافة كما لايكون صاحب الخبر لأن المضاف إليه مكمل للمضاف وواقع منه موقع التنوين فإن كان المضاف بمعنى الفعل حسن حعل المضاف إليه صاحب حال لأنه في المعنى فاعل أو مفعول نحو (**إليه مرجعكم جميعا**)يوسف 4: وعرفت قيام زيد مسرعا."[4]. وجوز بعض البصريين مجئ الحال من المضاف إليه مطلقا ومال العيني إلى هذا الرأي فأورده في شرحه لحديث عائشة. :﴿ **أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكيء في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن**"...قوله :(**وأنا حائض**...﴾... جملة إسمية وقعت حالا. قال الكرماني :إما من فاعل يتكيء، وإما من المضاف إليه وهو ياء المتكلم قلت: من فاعل يتكيء لا وجه له على ما لا يخفى، وما هي إلا ياء المتكلم في: **حجري** ،ولا يمنع وقوع الحال من

---

[1] نفسه ج1/ 443 . 447 كتاب الأيمان باب أداء الخمس من الإيمان.

[2] بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني ، شرح ابن عفيل على القبة ابن مالك تح محمد محي الدين عبد الحميد ج631/1

[3] العيني عمدة القارئ :ج390/1. 392 كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام

[4] السيوطي همع الهوامع ج240/1

المضاف إليه إذاكان بين المضاف والمضاف إليه شدة الإتصال كما في قوله تعالى :(**واتبع ملة إبرهيم حنيفا**) النساء 125 ."[1].

***النداء** :

هناك مسائل متعددة ناقشها العيني في باب النداء أكتفى بالحديث عن نداء المعرف "**بأل** " ونداء العلم المحلي "بال ". أما النداء المعرف "بأل" فقد اختلف النحويون حوله فذهب الكوفيون والبغداديون إلى الجواز مطلقا، وذهب البصريون إلى المنع مطلقا إلا في ضرورة الشعر. "واستدل الكوفيون بما جاء في كلام نحو قول الشاعر:

فيا الغلامان اللذان فرّا *** إياكما أن تكسباني شرّا .

ففي قوله: (**ياالغلامان**) أدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام .وقدذهب البصريون إلى منعه وذلك لأن "أل "تفيد التعريف و"يا"تفيد التعريف كذلك لأن المنادى أصبح معرفة بالإشارة إليه فقد كرهوا أن يجمع تعريفان في كلمة واحدة، وما ذهب إليه الكوفيون لاحجة فيه عند البصربين فقد استقبحوه في سعة الكلام، وماورد فيه حملوه على الشذوذ وضرورة الشعر وأوّلوه على تقدير: فيا أيها الغلامان على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه."[2]. وقد ذهب العيني مذهب البصريين عند إعرابه لقوله :(**أيها الناس**) "قدّر فيه حرف النداء (**يا**) وذكر أن المقصود بالنداء هو (**الناس**) فقال: (وانما جاءوا ب (**أي**) ليمكن وصله إلى نداء ما فيه الألف اللام لأنهم كرهوا الجمع بين التخصيص بالنداء ولام التعريف فكان المنادى هو الصفة والهاء مقحمه للتنبيه."[3] وأما مسألة نداء المحلى ب "**أل**" فلم بجوزه النحاة حيث علل سيبويه وغيره ذلك "حتى لايجمع فيه تعريفان، وإذا نودي العلم المحلي ب "**أل**" اللتين تفيدان لمح الصفة أو الغلبة فإنهما تحذفان فلا يقال : يا الفرزدق ولايا الحارث ومن ذلك قول الشاعر :

غمز ابن مُرّة يافرزدق كينها *** غمز الطبيب نغانغ المعذور.

[1] العيني عمدة القارئ ج3/104.105 كتاب: الحيض باب: قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض .

[2] ابن الأنباري الإنصاف في مسائل الخلاف ج1/337. 338وينظر سيبويه الكتاب ج2/197.

[3] سامي الجميلي ، الدراسات النحوية في عمده القارئ للعني ص 2/9 وانظر العيني عمده القارئ ج2/106.

وقد جوزه الكوفيون مطلقا وجوز البصريون في نداء لفظ الجلاله نحو "**يالله** "ونداء الجمل المحكية المسمى بها نحو :يالمنطلق زيد .والذي جوز الجمع بين حرف والنداء "وأل "التعريف أن "أل "التعريف لزمت لفظ الجلالة فأصبحت كأنها من حروف الكلمة ، والذي ألزم ذلك أنه إذا أسقط"أل "من لفظ الجلالة يصبح نكرة واسمه تعالى لا يكون فيه ذلك .والذي سوغ نداء كثرة استعماله في كلام العرب ننحق على ألسنتهم ، ولكن ماجاز لايجوز في غيره ولا يقاس عليه ،وذلك لأن العرب أفردوا اسمه تعالى "**الله**"بأحكام لايكون في غيره لأن مسماه لانظير له ويحذف حرف النداء "**يا**"كثيرا في لفظ الجلالة ويعوض عنه بالميم المشدة نحو توله تعالى (قل اللهم مالك الملك) آل عمران 26 .فالميم فيه بمنزلة حرف النداء في أوله ."[1].

وقد وافق العيني رأي البصريين فرأى أن "**يا** و**الميم** لايجمعان فلا تقال فيه :"يااللهم "وذلك لأن العرب لايجمعون بين الشئ ونظيره... ولفظ الجلاله "**اللهم** " لايستعمل للنداء فقط بل بأني في كلام العرب على ثلاثة أنحاء: **أحدها**: للنداء المحض .**الثاني**: للإيذان بندرة المستثنى كقولنا بعد الكلام: اللهم إلاّ إذا كان كذا .**الثالث**: ليدل على تيقن المجيب في الجواب المقترن هو به كقولنا لمن قال :أزيد قائم؟ اللهم نعم أو اللهم لا.كأن المجيب بنادي الله تعالى مستشهدا على ما قال في الجواب ."[2].

2 . آراؤه في باب الأفعال :

لا تقل آراء العيني في باب الأفعال عن آرائه في باب الأسماء حيث تعرض للعديد من المسائل المتعلقة بباب الأفعال ، وسأذكر جملة من النماذج اختصارا :

***أفعال المقاربة :**

عرفها العيني تعريفا مجملا فعال "هي ما وضع لدنو الخبر رجاء أو حصولا أو أخذا فيه. "[3].

عند شرحه لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :﴿ **أن رجلا رأى كلبا يأكل الثريم العطش .فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكرالله له فأدخله الجنة...**﴾...[4] ولقد عهدنا

---

[1] سيبويه الكتاب ج2/196.195 وينظر ابن الأنباري الإنضاف ج1/240.وينظرالسيوطي جمع الهوامع ج3/48 .

[2] العيني عمدة القارئ ج12/24.

[3] نفسه،ج2/491-492،كتاب الوضوء ،باب:إذا شرب الكلب في الإناء.

[4] نفسه،ج2/491-492،كتاب الوضوء ،باب:إذا شرب الكلب في الإناء.

من العيني تقرير القواعد وذلك في مواضع عديدة من شرحه فلما تعرض إلى أفعال المقاربة أشار إلى أنواعها وعملها وذلك عند شرحه لحديث أبي هريرة عن صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **كانت بنوإسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده. فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغسل معنا إلا أنه آدر.**[1] **فذهب مرة يغسل فوضع على حجر ففرّ الحجر بثوبه فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي ياحجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس ،وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا...**﴾...قوله: (**فطفق بالحجر**) بنصب الحجر وهي رواية الكشميهني والحموي (**طفق**) من أفعال المقاربة :بكسر الفاء وفتحها لغتان ، منصوب بفعل مقدر وهو :يضرب، أي :طفق يضرب الحجر ضربا. وفي رواية الأكثرين: فطفق بالحجر، بزيادة الباء ومعناها: جعل ملتزما بذلك يضربه ضربا. واعلم أن أفعال المقارنة على ثلاثة أنواع: **الأول**: ما وضع للدلالة على قرب الخبر هو ثلاثة: نحو كاد وكرب وأوشك. **الثاني**: ما وضع للدلالة على رجائه وهي ثلاثة: عسي واخلولق وحرى. **الثالث**: ماوضع للدلالة على الشروع فيه، هو كثير ومنه طفق، وهذه كلها ملازمة لصيغة الماضي إلا أربعة فاستعمل لها مضارع وهي:كاد وأوشك وطفق وجعل واستعمل مصدرا لاثنين وهما :طفق وكاد. وحكى الأخفش طفوقا عمن قال طفق بالفتح، وطفقا عمن قال طفق بالكسر ."[2]. وقد أشار إلى عمل هذه الأفعال في عدة مواضع فقال."وتعمل هذه الأفعال عمل كان إلا أن خبرهم يجب أن يكون جملة ."[3].

وقد وقف العيني عند بعض الأفعال مفصلا القول فيها مستعرضا أقوال النحاة واختلاف آرائهم، ومن ذلك :اختلاف النحويين في (**كاد**) المسبوقة بالنفي وقد جاءت في حديث عمر بن الخطاب من رواية جابر أنه "**جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش قال يارسول الله :ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب** ...)...قوله: (**ما كدت أصلى العصر**) اعلم أن **كاد** من أفعال القاربة، وهي على ثلاثة أنواع :نوع منها وضع للدلالة على قرب الخبر وهو كاد وكرب وأوشك والأرجح في **كاد** أن لا تقرن ب**أن** عكس "**عسى**"وقد وقع في رواية مسلم :(**حتى كادت الشمس أن تغرب**). قال الكرماني: فإن قلت :ظاهره يقتضي أن عمر صلى قبل

[1] آدر: فتق يكون في إحدى الخصيتين .أو نفخة في الخصية أو العظيم الخصتين.

[2] العيني عمدة القارئ ج3/6059 كتاب الغسل، باب: من اغسل عريانا وحد ه في الخلوة.

[3] نفسه ج3/ 455كتاب الصلاة.

الغروب. قلت: لا نسّلم بل يقتضي أن كيدودته كانت عند كيدودته ولايلزم وقوع الصلاة فيها بل يلزم أن لا تقع الصلاة فيها إذ حاصله عرفا: ماصليت حتى غريب الشمس. وقال اليعمري :إذا تقرر أن معنى **كاد** المقاربة فقول عمر :ماكدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب معناه :أنه العصر قرب غروب الشمس لأن نفى الصلاة يقتضي إثباتها، وإثبات الغروب يقضي نفيه فحصل من ذلك لعمر ثيوت الصلاة ولم يثبت الغروب.وقال بعضهم: لايخفى مابين التقريرين من الفرق وما ادعاه من الفرق ممنوع،كذلك العندية للفرق الذي أوضحه اليعمرى من الإثبات النفي، لأن "**كاد**"إذا أثبتت نفت، وإذا أنفب أثبتت، هذا مع ما في تعبيره بلفظ :كيدودة من الثقل انتهي .قلت :كل ذلك لايشفي العليل ولايروي الغليل . والتحقيق في هذا المقام أن "**كاد** " إذا دخل عليها النفي ففيه ثلاثة مذاهب: **الأول**: أنهاكالأفعال إذا تجردت من النفي كان معناها إثباتا، إن دخل عليها نفي كان معناها نفيا لأن قولك: كاد زيد يقوم معناه: إثبات قرب القيام لا إثبات نفس القيام فإذا قلت: ماكاد زيد يفعل فمعناه نفي قرب الفعل. **الثاني**: أنه إذا دخل عليها النفي كانت للإثبات.

الثالث :إذا دخل عليها حرف النفي ينظر، هل دخل على الماضي أم على المستقبل، فإن كان ماضيا فهي للإثبات. وإن كان مستقلا فهي كالأفعال. والأصح هو المذهب الأول. نص عليه ابن الحاجب . ".[1]

وتحليل العيني هو مذهب أغلب النحاة، وعلى المذهب الأصح الذي اختاره وجه كاد في قوله تعالى (**فذبحوها وما كادوا يفعلون**) البقرة 81، معتمدا على أقوال المفسرين فقال: "فإذا قلت قوله تعالى (**فذبحوها وما كادوا يفعلون**) يساعد المذهب الثالث لأن **كاد** ههنا دخل عليها النفي وهوماض واقتضى الإثبات ، لأن فعل الذبح واقع بلاشك قلت :ليس الذبح مستفادا من "**كاد**"بل من قوله (**فذبحوها**) والمعنى فذبحوها مجبرين ، وماقاربوا فعل الذبح مختارين، أو تقول: فذبحوها بعد التراخي، وما كادوا يفعلون على الفود، بدليل أنهم سألوا الابعد سؤال ولم يبادروا إلى الذبح حين أمروابه ."[2]

***الجزم** :

[1] المصدر السابق ج126/4. 127 كتاب مواقيت الصلاة باب :من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت .وينظر ابن مالك ، شرح الكافية الشافية ج306/2

[2] العينى عمدة القارئ ج127/4كتاب مواقيت الصلاة باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت .

للعيني إشارات حول ظاهرة الجزم عند إعرابه للحديث أكتفي بنموذجين: **الأول**: يتعلق بالجزم بأداة النصب "**لن**"وهي من أدوات النصب للفعل المضارع، ولكنها جاءت خلافا للأصل، من خلال ما أورده العيني "أن الفعل المضارع جاء مجزوما بعد" **لن**" في الحدثين (**لن تعدو قدرك**)، و(**لن ترع**) وقد ورد الحديثان بروايات مختلفة، منها رواية بالجزم ، وقد تأول العني هذا الجزم بأوجه: **أحدها**: حذف الواو للتخفيف في (**لن تعدو**).أو أن تكون "**لن**" بمعنى "**لم** " في جزم الفعل المضارع بعده .**والوجه الأخر**: أن يكون الجزم ب "**لن** " لغة حكاها الكسائي فيما ذكره العيني عند ابن مالك ومثل ذلك قول الشاعر:

اياي سبايا عز ماكنت بعدكم *** فلن يحل للعينين بعدك منظر ."[1].

النموذج الثاني: يتعلق بحذف المجروم ب"**لا** "الناهية وقد أشار العيني إليه عند إعرابه "لحديث جريج) (**لا إلا من طين**) حذف الفعل المجزوم ب "**لا**"الناهية وقدره بقوله: لاتبنوها إلا من طين. وقد استأنس بما نقله عن ابن مالك: (وفي قوله ابن جريج :لا إلا من طين، شاهد على حذف المجزوم ب " **لا** " التي للنهي. ".[2]

*** اللازم والمتعدي :**

تحدث النحاة في باب اللازم والمتعدي عن المسائل التفصيلية بعضها يتعليق بما تعدي به الفعل اللازم فاختلفوا في تعدي الفعل اللازم بحرف الجر. هل هو من قبيل ما يتعدي إلى مفعول واحد أو هو من اللازم ؟ أشار العيني إلى القول في هذا الباب عند شرحه لحديث أنس قال:"كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : :﴿ **اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**...﴾...والخلاء منصوب تقدير "**في**" لأن تقديره :إذا دخل في الخلاء ، وهذا من قبل قولهم :دخلت الدار، وكان حقه يقال: دخلت في الدار، إلا أنهم حذفوا حرف الجر اتساعا، وأوصلوا الفعل إليه، ونصبوه نصب المفعول به .فمن هذا قول بعض الشارحين وانتصب "**الخلاء**"على أنه مفعول به لا على الظرفية غير صحيح اللهم إلا أن يذهب إلى ماقاله الجرمي من أنه فعل متعد نصب الدار نحو :بنيت الدار ، لكن يدفعه قوله :بأن مصدره يجئ على فعل وهو من مصادر الأفعال اللازمة نحو قعد قعودا وجلس جلوسا، ولأن مقابله لازم

[1] سامي الجميلي، الدراسات النحوية في عمدة القارئ ص 236. 237 وينظر العيني عمدة القارئ ج470/11كتاب فضائل الصحابة ،باب:مناقب عبد الله بن عمر،وينظرج235/6-236كتاب الجنائز،باب:إذا أسلم الصبي ثم مات هل يصلى عليه.

[2] العيني عمدة القارئ ج255/9كتاب المظالم باب :إذا هدم حائطا فليبن مثله ،وينظر ابن مالك ،شواهد التوضيح ص254.

نحو خرج. قلت: التعليق الثاني غير مطرد لأن ذهب لازم ، وهو تقابله جاء متعد كقول تعالى: (**أوجاء وكم خصرت صدورهم**)النساء 90 ."[1].

وقد أشار العيني إلى بعض الأفعال التي تتعدى إلى أكثر من مفعول والتي تأتي لازمة ومتعدية ويفرق بين اللازم والمتعدي النظر إلى المصدر، ومن الأمثلة التي دقق فيها العيني رجع وسمع وزعم ووجد غيرها، وسأكتفي بذكر مثالين فقط :**الأول** : فعل: **رجع** في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "قال: انتدب الله لمن خرج في سبيله ، لايخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ...)... قوله :(**أن أرجعه**) بفتح الهمزة من رجع وقد جاء متعديا ولازما، فمصدر الأول الرجع ، ومصدر الثاني الرجوع، وههنا متعد نحو قوله تعالى: (**فإن رجعك اليه إلى طائفة**) التوبة 83.وفي العباب :رجع بنفسه يرجع رجوعا ومرجعا ورجعى .قال تعالى :(**ثم إلى ربكم مرجعكم**) الأنعام 164 الزمر 7. وهو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل إنما تكون بالفتح .و قال الله تعالى (**إن إلى ربك الرجعى**) العلق 8. ورجعه عن الشيء وإلى الشيء رجعا : رددته قال تعالى :(**إنه على رجعه لقادر**) الطارق 8 .أي على إعادته حيا بعد موته وبلاه ...وقال تعالى (**يرجع بعضهم إلى بعض القول**) سبأ31 .أي يتلاومون."[2].

الثاني : فعل "**زعم** " من حديث سعيد بن جبير قال": قلت لابن عباس :إن نوفا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر: فقال : كذب عدو الله ...)...قوله (**يزعم**) جملة من الفعل والفاعل في محل الرفع لأنها خبر إن .قوله : (**أن موسى**) بفتح أن لأنه مفعول يزعم فإن يزعم من أفعال القلوب يقتضي مفعولين. قلت: إنما يكون من أفعال القلوب إذا كان بمعنى الظن وقد يكون بمعنى القول من غير حجة فلا يقتضي إلا مفعولا واحدا نحو قوله تعالى (**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا**) الثغابن7. فههنا **يزعم** يحتمل المعنيين، فإذا كان بمعنى القول فمفعوله :أن موسى وهو ظاهر .و إن كان بمعنى الظن **فإن** مع اسمها وخبرها سدت مسد مفعولين. "[3].

3 . آراؤه في باب الحروف :

لقد وقف العيني مع الأدوات وحروف المعاني طويلا. وعلى ضوء ما قرره النحاة سار في شرحه يقدم للقارئ درسا وافيا جول معاني الأدوات والحروف وتأثير ذلك على الدلالة والفوائد المستنبطة والأحكام

[1] العيني عمدة القارئ ج2/381 382 . 383 كتاب الوضوء ، باب ما تقول عند الخلاء.

[2] المصدر السابق ، ج1/339 340 341 كتاب الإيمان باب الجهاد من الايمان .

[3] نفسه ج1/265 . 268 كتاب العلم باب :مايستحب للعالم إذ ا سئل .

المستفادة. وقدنهج العيني في هذا منهج التفصيل، يناقش آراء بعض الشراح الذين سبقوه ويقدم رأيه ويدفع عنه لاسيما عند ذكره للوجوه المتعددة وما بذله العيني في باب الحروف والأدوات فاق ما قدمه في باب الأسماء والأفعال، كما تفوق بذلك عن سائر الشراح الذين لا نقف في كتبهم إلا على إشارات عابرة في باب حروف المعاني والأدوات. ولقد اغتنى شرح العمدة وازدان بتلك الوقفات وتلك التفصيلات ، فأحيانا يذكر المعاني المتعددة للأداة الواحدة وينتخب الأجود والأنسب للسياق سواء كان الرأي مشهورا أو هورأي القلة من النحاة. وأحيانا يورد كلام النحويين في معاني الحروف دون أن يبدي حوله شيئا وسوف لن يسعني المقام لوجمعت كل ما أ ورده العيني في هذا الباب، لأنه يصلح أن يفرد في بحث مستقل، ولكن سأكتفي ببعض النماذج المتنوعة والتي أبرز من خلالها قدرة العيني على الإحاطة الذكية بهذا الباب

أ . معاني حروف الجر:

للعيني حول معاني حروف الجر كلاما مفصلا كلما صادفه أثناء شرحه للأحاديث فعلى سبيل المثال :

***الباء:**

للباء معان كثيرة ذكرها النحويون أَورد منها ابن هشام أربعة عشر[1] ذكره العيني شيئا في أثناء إعرابه للأحاديث فيختار أنسبها للمعنى وما يقتضيه السياق ومثال ذلك:

. حديث عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "**إنما الأعمال بالنيات** ...)...قوله :(**بالنيات**) والباء للمصاحبة كما في قوله تعالى :(**اهبط سلام**) هود 48 .(وقد دخلوا **بالكفر**) المائدة 61. ومعلقها محذوف والتقدير: إنما الأعمال تحصيل بالنيات. أو توجد بها ولم يذكر سيبويه في معنى الباء إلا الإلصاق ، لأنه معنى لايفارقها ، فلذاك اقتصر عليه ويجوز أن تكون للاستعانة على مالا يخفى .وقول بعض الشارحين: الباء تحمل السببية بعيد جدّا فافهم ."[2] ومعنى السببية ذهب إليه ابن حجر قال:" ويحتمل أن تكون للسببية بمعنى أنها مقومة للعمل فكانها سبب في إيجاده ."[3] .

ولكن ابن حجرذكر معنى المصالحبة أيضا .

[1] ابن هشام مغني اللبيب ص 137 وما بعدها .

[2] العيني عمدة القارئ ج5241/1 كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله.

[3] ابن حجر العسقلاني فتح الباري ج13/1 كتاب بدء الوحي ،باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول الله.

. حديث أبن جُحيْفة يقول :﴿ **خرج علينا رسول الله بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيمسحون به...**﴾...قوله: (**بالهاجرة**) الباء فيه ظرفية بمعنى في الهاجرة.."[1].

. حديث عمرو بن ثعلب" :﴿ **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بمال وسبي فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحب إلى من الذي أعطي .ولكن أعطي أقواما لما أرى قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير فيهم عمرو بن ثعلب .فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النّعم...**﴾...قوله: ﴿ **بكلمة رسول الله...** ﴾ مثل هذه **الباء** تسمى بالباء البدلية وباء المقابلة نحو:اعتضت بهذا الثوب خيرا منه أي ما أحب أن حمر النعم لي بدل كلمة رسول الله أي يقابلها أي هذه الكلمة كانت أحب إلي منها ."[2].

هذه بعض المعاني التي أشار إليها العيني للباء كالمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة .

* **من** :

جاء في رصف المباني وغيره أن "**من**" تأتي لبضعة عشر معنى منها: ابتداء الغاية والتبعيض وبيان الجنس والتعليل والمجاوزة والاستعلاء وغير ذلك[3]...وقد تتبع العيني بعض هذه المعاني التي وجدها في الأحاديث والنماذج كثيرة أذكر منها :

. عندما تأتي لإبداء الغاية كما في حديث عبد الله عمر قال ":﴿ **صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العشاء في آخر حياته ،فلما سلّم قام فقال .أرأيتكم ليلتكم هذه ؟فإن رأس مائة سنة منها لايبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد...**﴾...قوله: (**منها**)أي من تلك الليلة، وقد استبدل بعض اللغويين قوله **منها** أن "**من**" تكون لابتداء الغاية في الزمان كمنذ وهو قول الكوفيين. وقال البصريون :لاتدخل **من** إلا على المكان و**منذ** في الزمان نظيره **من** في المكان ، وتأولوا ماجاء بخلافه واحتج من نصر قول الكوفيين بقوله تعالى (**من أول يوم**) التوبة 108. وتقول عائشة: (ولم يجلس عندي من يوم قيل في ماقيل) وقول أنس: (ومازلت أحب الدباء من يومئذ). وقول بعض الصحابة (مطرنا من الجهة إلى الجهة). وأجاب أبو علي الفارسي عن قوله: (**من أول يوم**) التوبة 108 .بأن التقدير: من تأسيس أول

[1] العيني عمدة القارئ ج2/536535 كتاب الوضوء باب استعمال نصل وضوء الناس .

[2] المصدر السابق، ج5/91. 93.92 كتاب الجمعة باب :من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد.

[3] أحمد عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني تح أحمد محمد الخراط ص 388 .

يوم، وضعفه بعضهم بأن التأسيس ليس بمكان. وقال الزمخشري: التقدير من أول يوم من أيام وجوده .قلت هذا جنوح إلى مذهب الكوفيين ."[1]. والعيني ههنا ذكر المذهبين دون أن يرجح أحدهما أو ميله إلى مذهب منهما. ولكنه رجح مجئ **من** لابتداء الغاية في غير الزمان والمكان عند شرحه لحديث سفيان بن حرب مع هرقل عن ابن عباس الطويل والذي جاء فيه ":﴿ **من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى**...﴾...قوله : (**من محمد**) يدل على أن **من** تأتي في غير الزمان والمكان ونحوه قوله: (**من المسجد الحرام**)الإسراء 1 . (**إنه من سليمان**) النمل .30 ."[2] .

وقد تأتي من " لبيان الجنس أو للتبعيض كما في حديث هرقل المتقدم وفيه "...**أن هرقل أرسل إليه في ركب من قرش** ...)... قوله : (**من قريش**) في محل الجر على أنه صفه للركب ، وكلمة **من** تصلح أن تكون لبيان الجنس .كما في قوله تعالي :(**ويلبسون ثيابا خضرا من سندس**) الكهف 31. ويجوز أن تكون للبعض ."[3] وتأتي بمعنى البدل كما في حديث المغيرة بن شعبة ":﴿ **أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول دبركل صلاة مكتوبة :لاإله إلاالله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ،اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**...﴾...قوله:(**منك**)وكلمةمن بمعنى البدل كقول الشاعر:

فليت لنا من ماء زمرم شربة *** مبردة باتت على الطهيان .

يريد : ليت لنا بدل ماء زمرم ... وقال الجوهري : معنى منك هنا عندك أي لاينفع ذا الغني عندك غناء ، إنما ينفعه العمل الصالح .وقال ابن التين : الصحيح عندي أنها ليست للبدل. ولا بمعنى عند بل هو كما يقول :لاينفعك مني شيء إن أنا أردتك بسوء . وقال الزمخشري في الفائق : **من** فيه كما في قولهم: هو من ذاك أي بدل ذاك ،ومنه قوله تعالى: (**ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة**) الزخرف 60.أي المحفوظ لا ينفعه حظه بدلك أي بدل طاعنك، وقال التوربشتي : لاينفع ذا الغنى منك غناء، وإنما ينفعه العمل بطاعتك، فمعنى منك عندك وقال ابن هشام : **من** تأتي على خمسة عشر معنى فذكر الأول والثاني والثالث والرابع ثم قال الخامس: البدل نحو. (**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة**) التوبة38. ثم قال

[1] العيني عمدة القارئ ج1/247.248.249 كتاب العلم ، باب : السمر في العلم .
[2] نفسه ج1/128-149 كتاب الوحي الحديث 7
[3] نفسهج1/146 كتاب الوحي الحديث 7

(ولاينفع ذا الجد منك الجد) أي: ولاينفع ذا الحظ حظة من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك أو بدل حطك أي بدل حطه منك ."[1].

كما ترد **من** بمعنى **في** كما في حديث عتبان بن مالك "":﴿ **أن رسول الله دخل بيته ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك ؟...**﴾... قوله: (**من بيتك**) فإن قلت: مامعنى (**من بيتك**) ؟ وأصل **من** للإبتداء ؟ قلت: الحروف ينوب بعضها عن بعض **فمن** ههنا بمعنى في كما في قوله تعالى (**أروني ماذا خلقوا من الارض**)فاطر 40. (**إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**) الجمعة 9.[2] وقد ذهب العيني في هذا مذهب الكوفيين اعتمادا على قاعدتهم أن الحروف ينوب بعضها عن بعض .

ب- معاني حروف العطف :

كانت عناية العيني بمعاني حروف العطف عناية لها أثرها في شرح الأحاديث ، والأمثلة كثيرة نعد منها مايلي :

* **الواو** :

الواو عند النحاة تفيد العطف ولا تفيد الترتيب كما في حديث ابن عمرعن النبي صلى الله عليه وسلم :﴿ **أن رجلا سأله مايلبس المحرم ؟فقال :لا يلبس القميص ولاالعمامة ولا السراويل ولا البرنس ولا ثوبا مسه الورس أو الزعفران . فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين** ...﴾... قوله:(**وليقطعها**) بكسر اللام وسكونها . هو عطف على قوله (**فليلبس**) فإن قلت : اللبس بعد القطع فكيف وجه هذا العطف ؟ قلت: الواو لاتدل على الترتيب، ومعناها الشركة والجمع مطلقا من غير دلالة على تقديم أو مصاحبة .لهذا صح جاء زيد وبكْرٌ قبله وعمرو معه وخالد بعده. وقال تعالى :(**أدخلوا الباب سجدا وقولوا حطة**) البقرة 58. وقال: (**وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا**) الأعراف 161 . والقصة واحدة قال سيبويه: الواو للشركة تقول مررت برجل وحمار ولم يفد تقديم رجل المعنى شيئا وإنما هو شئ في اللفظ فكأنك قلت: مررت بهما ."[3].

* **الفاء** :

[1] المصدر السابق ، ج4/ 614 615 616 كتاب الصفة الصلاة باب الذكر بعد الصلاة

[2] العيني عمدة القارئ ج4/ 417 418 419 كتاب الصلاة باب :الحديث 425 .

[3] العيني عمدة القارئ ج1/ 312 . 313 كتاب العلم باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله .

ذكر النحاة أن أصول أقسام الفاء ثلاثة " عاطفة وجوابية وزائدا. فأما العاطفة فتقيد ثلاثة أمور: الترتيب والتعقيب والسببية، وأما الجوابية فتربط جزاء الشرط حيث لايصلح أن يكون شرطا وأما الزائدة فدخولها في الكلام كخروجها وللنحويين فيها خلاف ."[1]. وقد وقف العيني مع هذه المعاني في الفاء العاطفية، ومثال ذلك حديث الحارث بن هشام ":﴿ **سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، هو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال** ...﴾... قوله (**فيفصم**) عطف على قوله: (**يأتيني**) والفاء من جملة حروف العطف .. ولكن تفيد ثلاثة أمور: **الترتيب**: إما معنوي كما في قام زيد فعمرو ؟ وإما ذكري وهو عطف مفصل على مجمل نحو (**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**)البقرة 36 . **والتعقيب**: وهو في كل شئ بحسبه. **والسببية**: وذلك غالب في العاطفة جملة وصفه نحو : (**فوكزه موسى فقضى عليه**) القصص15. و(**لآكلون من شجر من زقوم فما منها البطون فشاربون عليه من الحميم**) الواقعة 52 54 ".[2]

. أما دلالتها على الترتيب ففي حديث أبي موسى قال : ":﴿ **قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصلّيها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلى ثم ينام**...﴾...قوله: (**فأبعدهم**) **الفاء** فيه للاستمرار كما في قولهم : الأمثل فالأمثل، هكذا قاله الكرماني :قلت: لم يذكر أحد من النحاة أن **الفاء** تجئ بمعنى الإستمرار ولكن يمكن أن تكون الفاء ههنا للترتيب مع تفاوت من بعض الوجوه وقال الزمخشري: للفاء مع الصفات ثلاث أحوال : **أحدهما**: أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله :

يالهف زيابة للحارث الـ *** صّابح فالغانم فالآيب .

أي الذي صبح فغنم فآب. و**الثاني** : تدل على ترتيب في التفاوت من بعض الوجوه نحو قولك: حذ الأكمل فالأفضل. واعمل الأحسن فالأجمل. و**الثالث**: أن تدل على ترتيب موصوفاتها في ذلك نحو: (رحم الله المحلقين فالمقصرين).وقيل : تقع الفاء تارة بمعنى **ثم** كما في قوله تعالى : (**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) المؤمنين 14 .

[1] المرادي، الجنى الداني 70.61

[2] العيني عمدة القارئ ج1/77.69 كتاب الوحي باب الحديث 2

فالفاءات فيها بمعنى: **ثم** لتراخي معطوفاتها ، فعلى هذا يجوز أن تكون الفاء ههنا بمعنى **ثم** بمعنى: أبعدهم ثم أبعدهم".[1]

وأما مجيئها للتعقيب ففي حديث عبادة بن الصامت أن رسوله الله صلى الله عليه وسلم " بايعوني على أن لاشركوا بالله شيئا ... فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستر الله فهو إلى الله ...)... قوله: (**فعوقت**) فإن قلت: فلم قال في قوله: (**فعوقب**) بالفاء وفي قوله: (**ثم ستره الله**) بثم ؟ قلت: الفاء ههنا للتعقيب .**ثم** للتعقيب في كل شئ بحسبه فيجوز أن يكون بين الإصابة والعقاب مدة طويلة أو قصيرة وذلك بحسب الوقوع ويجوز أن تكون الفاء للسبب كما في قوله تعالى: (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة**) الحج63 . وأما **ثم** فإن وضعها للتراخي ، وقد يتخلف، وههنا :ثم ليست على بابها لأن الستر عند إرادة الله تكون عقيت الإصابة ولا يتراخي فافهم ."[2].

* **أو** :

قال ابن هشام " حرف عطف ذكر له المتأخرون معاني انتهت إلى أثني عشر : **الأول** : الشك نحو (**لبثنا يوما أو بعض يوم**) المؤمنون 113 .**الثاني**: التخيير وهي الواقعة بعد الطلب وقيل ما يمتنع فيه الجمع نحو (تروج هندا أو أختها). **الثالث**: الإبهام : نحو (**وإنا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**) سبأ 24 .**الرابع** :الإباحة وهي الواقعة بعد الطلب وقيل ما يجوزفيه الجمع نحو (جالس العلماء أو الزهاد.) .**الخامس** :الجمع المطلق كالواو قاله الكوفيون والأخفش والجرمي ...**السادس**: الإضراب مثل " **بل** " فعن سيبويه إجازة ذلك شرطين: تقديم نفي أو نهي ،وإعادة العامل نحو .ما قام زيد أو ما قام عمرو ... **السابع** :التقسيم نحو: الكلمة إسم أو فعل أو حرف ... **الثامن**: بمعنى "**إلا**"في الإستثناء وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار **أن** كقولك: لأقتلنك أو تسلم ... **التاسع** : بمعنى "**إلى**" وهي كالتي قبلها في انتصاب المضارع بعدها بأن المضمرة نحو: لألزمنك أو نقضني حقي ...**العاشر**: التقريب

[1] العني عمده القارئ ج4/236.237 كتاب الأذان باب : فضل صلاه الفجر في جماعه .ينظر الزمخشرى المفصل ص 2/2 وابن هشام .معني اللبيب ج 2/

[2] العني عمده القارئ ج1/234.238 كتاب الايمان باب :الحديث 18

نحو: ما أدري أسلّم أو ودّع ...**الحادي عشر**: الشرطية :نحو لأضربنه عاش أو مات أي: إن عاش بعد الضرب وإن مات ... **الثاني عشر**: التبعيض: نح(**وقالوا كونوا هودا أو نصاري**)..."[1] .

وقد تعرض العيني لهذا الحرف عند شرحه لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ":﴿ **أنتدب الله لمن خرج في سبيله ، لايخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي ،أرجعه بما بال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة**...﴾... قوله: (**أوغنمة**) أو ههنا لا متناع الخلو منهما مع إمكان الجمع بينهما أعني :أن اللفظ لا ينفي اجتماعهما بل يثبت أحدهما مع جواز ثبوث الآخر فقد بجمعان .قال القاضي عياض معناه :أن أرجعه بما نال من أجر مجرد وإن لم يكن غنيمة، أو أجر وغنيمة إذا كانت، فاكتفي بذكر الأجر أولا عن تكراره. أو أن "**أو**" بمعنى الواو كما جاء في رواية مسلم وفي سنن أبن داود (**من أجر وغنيمة**) بغير ألف. وقد قيل في قوله تعالى :(**من بعد وصيه يوصي بها أو دين**) النساء11 بمعناه: ودين، وقيل: من وصية ودين، أو دين دون وصية. ".[2]

***ثم** :

وهي: "حرف عطف يشرّك في الحكم ويفيد الترتيب بمهلة ، فإن قلت : قام زيد ثم عمرو آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة، هذا مذهب الجمهور، ما أوهم خلاف ذلك تأولوه. ".[3] ولمح العيني في "**ثم**"معنى الترتيب بمهلة عند إعرابه لحديث عبد الله بن زيد حين سأله رجل":﴿ **أتستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوضأ ؟فقال: نعم فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثا ، ثم غسل وجهه ثلاث ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين ، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجليه**...﴾...وأما كلمة "**ثم**" في ستة مواضع في الحديث بمعنى الواو وليس على معناها الأصلي وهو الإمهال كذا قال ابن بطال قلت: "**ثم** " في هذه المواضع للترتيب لأن ثم تستعمل لثلاثة معان: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة . مع أن في كل واحد خلافا، والمراد من الترتيب هو الترتيب في الإخبار لا الترتيب في الحكم ، مثل ما يقال : بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس

[1] ابن هشام مغني اللبيب ص 87 وما بعدها .

[2] العيني عمدة القارئ ج1/379. 342 كتاب الإيمان باب : الجهاد من الإيمان.

[3] المرادي الجنى الداني ص426 .

أعجب . أي أخبرك أن الذي صنعه أمس أعجب ."[1]. وفي كلام العيني أن المراد بالترتيب هو في الإخبار لا في الحكم نظر لأن الحديث في الوضوء، وترتيب الأعضاء فيه واجب وهذا الذي يقتضيه المعنى فمن لم يراع الترتيب أثناء الوضوء بطل وضوءه ولعلي أرى أن في استعمال "**ثم** " في كل عضو يحقق شئيا آخر وهو من واجبات الوضوء أيضا إذا ما أضفنا معنى المهلة للترتيب لتحقيق واجب **الدلك** والذي يلزم منه غسل كل عضو على مهل لينال حظه من الغسل أو المسح بخلاف استعمال حرف آخر في الحديث كالفاء أو الواو وإن كان من معاني الفاء الترتيب لكن من غير إمهال والله اعلم .

ج . أدوات الإستفهام :

"تناول النحاة مباحث الإستفهام خصوه بالعناية والاهتمام .مع بيان ما لها من أثر في علم المعاني وكان حديثهم عنها أكثر تفصيلا من غيرهم من البلاغيين خاصة في حدثيهم عن **الهمزة وهل**."[2]. وللعيني إشارات دقيقة لبعض أدوات الإستفهام عند إعرابه للأحاديث ومن ذلك:

***همزة الاستفهام :**

وهي أم الباب، وأصل أدوات الاستفهام، لهذا خصت بجملة من الأحكام فصل فيها النحاة فكان منها: "حواز حذفها سواء تقدمت على "أم " أم لم تتقدمها، وأنها ترد لطلب التصور، وأنها تدخل على الإثبات وعلى النفي وأن لها تمام التصدير. ".[3] وقد جعل العيني كلام بعض النحاة عند شرحه لحديث عائشة المتقدم حول أنواع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فيه "..**أو مخرجيّ هم**)...كما تقول: أو مخرجيّ بنوفلان لاعتماده على حرف الإستفهام لقوله عليه الصلاة والسلام (**أحي والداك**) ..قال ابن مالك :الأصل في أمثال هذا تقديم حرف العطف على الهمزة كما تقدم على غيرها من أدوات الاستفهام نحو (وكيف تكفرون) آل عمران 101 و(**وأنى يوفكون**) الأنعام 95 .و(**فأين تذهبون**) التكوير 26، والأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كهذا المثال وكان ينبغي أن يقال : أمخرجي: فالواو للعطف على ما قبلها من الجمل والهمزة للإستفهام لأن أداة الإستفهام جزء من جملة

[1] العيني عمدة القارئ ج228527/2 كتاب الوضوء باب :مسح الرأس كله .

[2] ناعش عايدة ،أسلوب الإستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية .رسالة جامعة ، بإشراف بوجمعة شتوان ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، الجزائر،2012م،ص24.

[3] المرادي الجني الداني 31 .

الإستفهام وهي معطوفة على ما قبلها من الجمل، والعاطف لا يتقدم عليه جزء ما عطف عليه ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أنه أصل أدوات الإستفهام لأن الإستفهام له صدر الكلام ، وقد خولد هذا الأصل في غير الهمزة فأدوات النشبه عليه، وكانت الهمزة بذلك أولى. ".[1] وقد أورد العيني كلام الزمخشري ورأى فيه بُعد نظر فقال: "وقد غفل الزمخشري عن هذه المعنى فادعى أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة معطوفا عليها بالعاطف ما بعده. قلت: لم يغفل الزمخشري عن ذلك ، وإنما ادعى هذه الدعوى لدقة نظر فيه لأن قوله: (**مخرجي هم**) جواب ورد على (**إذ يخرجك**) على سبيل الاستبعاد والتعجب، فكيف يجوز أن يقدر فيه تقديم حرف العطف على الهمزة ؟ ولأن هذه استئنائية وتلك خيرية فلأجل ذلك قدمت الهمزة على أن صلها : أمخرجيّ هم بدون حرف العطف. لكن لما أريد مزيد استبعاد وتعجب جيء بحرف العطف على مقدر تقديره: أمعاديّ هم ومخرجيّ هم ؟ وأما إنكار الحذف في مثل هذه المواضع فمستعد لأن مثل هذه الحذوف من حلية البلاغة لاسما حيث الأمارة قائمة عليها والدليل عليها هنا وجود العاطف، ولا يجوز العطف على المذكور فيجب أن يقدر بعد الهمزة مايوافق المعطوف تقريرا اللاستبعاد."[2].

وبنفس التحليل فسر العيني حديث أنس بن مالك " أن النبي صلى الله عليه وسلم ":﴿: **يامعاذ قال: لبيك يارسول الله وسعديك ...قال: مامن أحد شهد أن لاإله الإالله وأن محمد رسول صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار. قال: يارسول الله أفلا أخبر به الناس فبستشروا قال: إذا يتكلوا..**﴾ (**قال**)... قوله : (**أفلا أخبر**) الهمزة للإستفهام، معطوف الفاء محذوف تقديره أقلت ذلك ؟ فلا أخبر، وبهذا يجاب عما قيل: أن الهمزة تقتضي الصدارة، والفاء تقضي عدم الصدارة فما وجه جمعهما؟ واعلم أن همزة الإستفهام إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف ننبيها على أصالتها في التصدر نحو (**أولم ينظروا**) الأعراف 185. (**أفلم سيروا**) يوسف 109 .(**أثم إذا ماوقع**)يوسف51 وأخواتها. وتتأخر عن حروف العطف كما هو قياس جميع أجزاء الكلمة المعطوفه نحو :(**وكيف تكفرون**) آل عمران 101 : (**فأين تدهبون**) التكوبر 62 . (**فأنى توفكون**)

[1] العني عمده القارئ ج1/102.101 كتاب الوحي باب :الحديث 3

[2] نفسه ج1/102 كتاب الوحي الحديث

الأنعام 95 .(**فهل يهلك إلاالقوم الفاسقون**) الأحقاف .(**فأي الفريقين**) الأنعام 81 . (**فمالكم في المنافقين فئتين**) النساء 88 .هذا مذهب سيبويه والجمهور ."[1].

***هل** :

ذكر العيني لها معاني وذلك عند إعرابه لحديث":﴿ **عائشة قالت :كان النبي صلى الله عليه وسلم يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول :هل قرأ بأم الكتاب:..**﴾ ...كلمة **هل** حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصوري ودون التصديق السلبي فدل هذا على أنها ماشكت في قراءته مطلقا، وتقييدها بالفاتحة من أين ؟."[2] وفي موضع آخر زاد العيني في إيضاح معاني "**هل** " عند شرحه لباب : هل تنبش قبور مشتركي الجاهلية ويتخذ منها مساجد :فقال :"وفيه كلمة "**هل**" للإستفهام ؟ قلت: "**هل**" هنا للإستفهام التقريري ، وليس باستفهام حقيقي صرح بذاك جماعة من المفسرين. قوله تعالى (**هل اتى على الانسان**) الانسان 1 . وتأتي "هل " بمعنى "**قد**" كذا فسرالآية جماعة منهم ابن عباس والكسائي والفراء والمبرد وذكر في العتضب "هل " للأسفهام نحو هل جاء زيد ؟وتكون بمنزلة "قد" نحو قوله (**هل أتى على الانسان**) .وقد بالغ الزمخشري فزعم أنها أبدا بمعنى قد وإنما الاستفهام مستفاد من همزة مقدرة معها ، ونقله في المفصل عن سيبويه، قال في الكشاف: (**هل أتى**) أي قد أتى، على معنى التقرير والتقريب فيه جميعا. ومن عكس الزمخشري ههنا فقد عكس نفسه ."[3].

د . أدوات الشرط:

تعرض العيني لبعض أدوات الشرط في أثناء شرحه للأحاديث والنمادج كثيرة أذكر منها:

* **لو الشرطية** :

[1] المصدر السابق ج1/290-292-293 كتاب العلم باب من خص العلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

[2] نفسه ج5/531-533 كتاب النهجد باب : مايقرأ في ركعتين الفجر.

[3] نفسه ج5/524 كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشتركي الجاهلية وتبنى مكانها مساجد .وينظر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المقتضب تح محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ،بيروت (د،ت) ج3/.289 وينظر الزمخشري الكشاف ج6/274 و المفصل ص 681 .

"وهي نوعان :شرطة امتناعية وشرطية غير امتناعية وكلا النوعين حرف واستعماله قياس: أما اللإمتناعية فمنعناها إفادو الشرطية، وأن هذه الشرطية لم تتحقق في الزمن الماضي فقد امتنع وقوعها فيه .فإفادتها الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر وهذا يستلزم حتما أن يقع بعدها جملتان بينهما نوع ترابط واتصال معنوي يغلب أن تكون هو السببية في الجملة الأولى والمسببية في الجملة الثانية نحو لو عف السارق لنجا من العقوبة..تسمى الأولى جملة الشرط .والثانية جملة الجواب .. وترتّب على امتناع الشرط وقوع امتناع جوابه تبعا له. إذاكان فعل الشرط هو السبب الوحيد في إيجاد جوابه وتحقيقه وليس هناك سبب آخر للإيجاد والتحقيق.. فإن كان للجواب سبب آخر فلا يتحتم الامتناع بامتناع الشرط.. وأما **"لو"** الشرطية غير الإمتناعية فهي قليلة الاستعمال. وهي التي تقتضي تعليق أمر على آخر وجودا وعدما في المستقبل. ولابد لها من جملتين تربط الثانية منها بالأولى ارتباط المسبب بالسبب غالبا بحيث لا يتحقق في المستقبل معنى الثانية، ولا يحصل إلا بعد تحقق معنى الأولى وحصوله في المستقبل..وقد قال النحاة أن **لو** الشرطية غير الإمتناعية شبيهة **بأن** الشرطية فهما يفيدان غالبا تعليق الجواب على الشرطة ويوجبان أن يكون زمن الفعل في جملتي الشرط والجواب مستقبلا ..."[1].

وقد ذكر العيني بعض معاني **"لو"** عند شرحه لحديث ابن عباس قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم "":﴿ **أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن . قيل أيكفرن بالله ؟قال: يكفرن العشير .ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى احدا هن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت: مارأيت منك خيرا قط**...﴾ ...قوله: (**لوأحسنت**) في بعض النسخ (**إن أحنست**) فإن قلت: **"لو"** لامتناع الشئ لامتناع غيره فكيف صح هنا هذا المعنى ؟ قلت: **لو** هنا بمعنى **إن** يعني لمجرد الشرط ومثله كثير ويحتمل أن يكون من قبيل قوله عليه السلام: ""﴿ **نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**...﴾ بأن يكون الحكم ثابتا على النقيضين والطرف المسكوت عنه أولى من المذكور ."[2]. وقد اعتبر العيني **"لو"** هنا بمعنى **"إن"** ويدعم قوله مجئ رواية أخرى بها. وقد تعرض في موضع آخر لها في حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿ **لو أن أحدكم إذ أتى أهله قال:بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا**...﴾... قوله: (**لو أن أحدكم**) كلمة **"لو"**هذه لمجرد الربط تفيد ترتيب الوجود عند

[1] عباس حسن النحوالوافي ، دار المعارف، بيروت 1978 ج381/4 وما بعدها .

[2] المصدر السابق ج303300/1 كتاب الإيمان باب كفران العشير وكفردون كفر .

الوجود. كمافي قوله (**ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا**) الأنعام 9."[1]. ثم ذكر بعض أحكامها في حديث آخر وهو حديث عمر بن الخطاب:﴿ **أن رجلا قال له يا أمير المومين آية في كتاب الله تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا...**﴾...قوله :(**لو علينا**) تقديره: لو نزلت علينا، لأن **لو** لا تدخلا إلا على الفعل فخذف الفعل لدلالة الفعل المذكور عليه،كما في قوله تعالى :(**قل لو انتم تملكون**) الإسراء 100 أي: لو تملكون أنتم ."[2].

***إذا الشرطية :**

الأصل فيها عند النحاة أن تدخل على ما تيقن وجوده أو ترجح وقوعه .قال سيبويه: "إذا تجئ وقتا معلوما ألا ترى أنك لو قلت: آتيك إذا احمر البُسْر كان حسنا. ولو قلت: آتيك إن احمر البُسركان قبيحا."[3]. قال الرضي: "الأصل في استعمال **إذا** أن تكون لزمن من أزمة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلم ، والدليل على استعمال **إذا** في الأغلب الأكثر في هذا المعنى نحو إذا طلعت الشمس .قوله تعالى: (**إذا الشمس كورت**) التكوبر 1.ولهذا كثر في الكتاب العزيز استعماله لقطع علام الغيوب سبحانه بالأمور المتوقعة. ".[4] وقد أشار إليها العيني عند شرحه لحديث جبريل الطويل والذي جاء فيه عن أبي هريرة :﴿ **أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بارزا للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان ؟ ..قال :متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها وإذا اتطال رعاه الإبل البُهْم في البنيان** ...﴾...قوله (**إذا ولدت الأمة**) إنما قال :"**إذا** " ولم يقل "**إن**" لأن الشرط محقق الوقوع فجاء بلفظ **إذا** التي للجرم بوقوع مدخولها، فلهذا يصح أن يقال: إذا قامت الساعة كان كذا ولايصح أن يقال: إن قامت الساعة كان كذا . فإن قلت: أين الجزاء ؟ قلت: هو محدوف تقديره إذا ولدت الأمة فهي أي الولاده من أشرطها ."[5].

---

[1] نفسه ج2/380 381 كتاب الوضوء باب التسمية على كل حال وعند الوقاع .

[2] نفسه ج1/385 387 كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه .

[3] سيبويه، الكتاب ج3/60 .

[4] الرضى، شرح الكتاب ج2/108 .

[5] العيني عمدة القارئ ج1/420414 كتاب الايمان باب :سؤل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام.

كما رد العيني على الكرماني الذي جعل "**إذا**"ههنا لمجرد الوقت. وكأنه لمح فيها معنى الظرفية فقال: وقال الكرماني: الأظهر أن تكون **إذا** متمحضة لمجرد الوقت، أي وقت الولادة ووقت التطاول قلت: هذا تقدير ناقص، والمعنى الصحيح عندي كون "**إذا**" لمجرد الوقت وأن يقدر مبتدأ محذوف والتقدير وسأخبرك عن أشراطها وهي وقت ولادة الأمة ربها، ووقت تطاول الرعاة في البنيان ."[1].

4 . مذهبه النحوي :

بعد الفحص المتأني لأعاريب العيني، وتتبع آرائه النحوية يمكن أن نخلص أنه كان في الغالب الأعم يسلك مسالك النحاة السابقين ، ويأخذ بمذهب الجمهور ويوافق اختياراتهم . وقد جعل كتابه العمدة بأسماء لامعة من علماء النحو وشخصيات رائدة من علماء اللغة فكثرت آراؤهم في مواضع كثيرة. ولقد عمد العيني إلى المذاهب النحوية المشهورة ينهل منها ويقدم آراءها لاسما مدرستي البصرة والكوفة، فهل كان ينتمي إلى مذهب بعينه ؟ وكيف تعامل أثناء إعرابه للحديث مع نحو المدرستين ؟ هذا الذي سأجيب عنه في الصفحات التالية ومن خلال نماذج مختلفة من شرحه .

أ. مسائل نحوية وافق فيها المدرسة البصرية :

كثيرة هي المسائل التي وافق فيها العيني مذهب البصريين والنماذج أكبر من أن تخصى ومنها في *حديث أنس بن مالك :﴿ **أن جدته مُليْكة دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعته له فأكل منه ثم قال :قوموا فلأصلي لكم .قال أنس :فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لُبس فنضحته بماء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصففت واليتيم وراءه والعجوز من وراءنا فصلى لنا رسول الله صلى عليه وسلم ركعتين ثم انصرف...**﴾... قوله: (**فصففت أنا واليتيم**) كذا رواية الأكثرين وفي رواية المستملي والحموي (**فصصفت واليتيم**)يغير لفظ: أنا وفي مثل هذا خلاف بين اليصريين والكوفيين. فعند البصريين لا يعطف على الضمير المرفوع إلا بعد أن يؤكد بضمير منفصل ليحسن العطف على الضمير المرفوع المتصل بارزا كان أو مستترا كقوله تعالى (**اسكن أنت وزوجك الجنة**) البقرة35. وعند الكوفيين: يجوز ذلك بدون التأكيد .الأول هو الأفصح ."[2] وقد وجدت الضمير "**أنا** " في باب آخر من حديث أنس أيضا قال: "فصليت أنا واليتيم في بيتنا خلف النبي

[1] نفسه ج420/1(نفس الكتاب الباب) .

[2] العيني عمدة القارئ ج339337/3 كتاب الصلاة باب الصلاة على الحصير.

صلى الله عليه وسلم أمي أم سُلَيْم خلفنا.)...قوله: (**صلت أنا واليتيم**) ذكر لفظة "**أنا**" ليصبح العطف على الضمير المرفوع ، هو مذهب البصريين والكوفيون ولم يشرطوا ذلك .)).[1] وقد ناقش ابن الأنباري في الإنصاف هذه المسألة على أن "الكوفيين ذهبوا إلى جوازه في اختيار الكلام نحو: قمت وزيد، واحتجوا على ذلك بماورد في القرآن وكلام العرب في قوله تعالى (**ذومرة فاستوى وهو الأفق الأعلى**)النجم 6-7 .حيث عطف "**هو**"على الضمير المرفوع المستر في قوله (**استوى**) ،وتأولوا المعنى على استواء جبريل ومحمد بالأفق، وقول الشاعر :

قُلتُ إذ أقبلت وزُهْر تهادى *** كنتاح الملا تعسّفن رمُلا .

فعطف (**زهر**) على الضمير المرفوع في (**أقبلت**) وأما البصريون فقد ذهبوا إلى منعه إلا في ضرورة الشعر، وذلك لأن العطف على الضمير المرفوع المتصل لايخلو إما أن يكون الضمير مقدرا في الفعل نحو قائم وزيد، فكأنه اسما على الفعل، أوملفوظا به نحو قمت وزيد. فالتاء فيه تنزل بمنزله الجزء من الفعل فلوجاز العطف عليه لدان كذلك بمنزلة عطف الإسم على الفعل وردوا ما استدل به الكوفيون وجعلوا الواو في (**وهوبالأفق الأعلى**) واو حال والمراد به جبريل وحده، وأما قول الشاعر فجلوه على الشذوذ ولايقاس عليه، العطف فيه إنما جاء ضرورة ."[2] .

*في حديث عائشة قالت:﴿ **إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعذر في مرضه أين أنا اليوم أين أنا غدا ؟ استبطاء ليوم عائشة .فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري ودفن في بيتي**...﴾...قوله: (**إن كان رسول الله**) كلمة **إن** هذه مخففة من الثقيلة. فتدخل على الجملتين فإن دخلت على الإسمية جاز إعمالها خلافا للكوفيين وحكى سيبويه: إن عمرا لمنطلق .وإن دخلت على الفعلية وجب إعمالها. وههنا دخلت على الفعلية .الأكثر كون الفعل ما ضيا."[3].ويوافق العيني البصريين في أن **أن** تدخل على الجملتين وهي المخففة من الثقيلة. واللام بعدها لام توكيد. كما في قوله تعالى: (**وإن كادوا ليستفزونك**)الإسراء 76. والفعل بعدها يكون في الغالب ماضيا ناسخا وقد يكون مضارعا نحو قوله تعالى: : (**وإن نظنك لمن الكاذبين**) الشعراء 186. وفي المسألة تفصيل عند النحاة .

[1] نفسه ج383/4 كتاب الأذان باب المرأة وحدها تكون صفا .

[2] ابن الأنباري، الإنصاف ج474/2 وما بعدها .

[3] العيني عمدة القارئ، ج306/6 307 كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

ب . مسائل نحوية وافق فيها المدرسة الكوفية :

لم يعتمد العيني في تحليله النحوي على مدرسة البصرة فحسب، بل عول على نحو الكوفة فنقل منه ما يدل على معرفتة بنحاة الكوفة ومسائلهم معرفة مكينة، والأمثلة على ذلك كثيرة عند شرحه للأحاديث ومن ذلك :

*قال البخاري :(**باب فضل الصلاة لوقتها**) وافق العيني عند "**اللام**"في (**لوقتها**) يريد أن بين مسألة دار الخلاف فيها بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة وهي: هل تنوب حروف الجر عن بعضها ؟ فقال: " كان الأصل أن يقال :فضل الصلاة في وقتها لأن الوقت ظرف لها ولذكره هكذا وجهان: **الأول**: أن عند الكوفيين أن حروف الجر يقام بعضها مقام البعض؟ .**الثاني** : اللام هنا مثل اللام في قوله تعالى (**فطلقوهن لعدتهن**)الطلاق 1 .أي مستقبلات لعدتهن. ومثل قولهم لقيته لثلاث بقين من الشهر وتسمى بلام التأقيت والتأريخ .وأما قيام "**اللام**" مقام "**في**" ففي قوله تعالى: (**ونضع الموازين ليوم القيامة**)الأنبياء .47 وقوله: (**لايجلها لو فيها إلا هو**) الأعراف 187 . وقولهم مضى لسبيله فإن قلت: ففي حديث الباب الترجمة لاتطابقها ؟ قلت: اللام تأتي بمعنى على أيضا نحو قوله (**ويخرون للأذقان**)الإسراء 107 .و(**دعانا لجنبه**) يونس 12 . (**وتله للجبين**) الصافات 103.وعلى الأصل جاء الحديث أخرجه ابن خزيمة عن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟قال الصلاة في وقتها). "[1].وقد روي البخاري الحديث بلفظ اللام كما في الترجمة في كتاب التوحيد باب وسمي النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملا :﴿ **عن عبد الله ابن مسعود أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله**....﴾.[2] .ولم يذكر العيني رأي البصريين وهو بذلك يوافق رأي الكوفيين .

*وافق العيني الكوفيين في جواز تعريف العدد عند إعرابه لحديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ﴿ **أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار...ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار .. فانصرف بالألف الدينار راشد...**﴾ ... قوله:

[1] المصدر السابق،ج18/4،كتاب مواقيت الصلاة،باب الصلاة لوقتها.

[2] البخاري صحيح البخاري ج191./9.

(**فانصرف بالألف الدينار**) وهذا مذهب الكوفيين ."[1]. والعيني لم يعلق على هذا الرأي ولم يورد مذهب البصريين . وقد ذكر ابن مالك لهذه المسألة ثلاثة أوجه "**الأول**: أن يكون أراد بالألف دينار على إبدال (**الألْف**) المضاف من المضاف المعرف بالألف واللام .ثم حذف المضاف وهو البدل وأبقي المضاف إليه على ماكان عليه من الإعراب. **الثاني**: أن يكون أصله : جاءه بالألف الدينار والمراد بالألف الدنانير فأوقع المفرد موقع الجمع. **الثالث**: أن يكون (**الألف**) مضافا إلى (**دينار**) والألف و اللام زائدتان فلذلك لم يمنعا من الإضافة، وقد جوز ابو علي الفارسي هذا الوجه ."[2].

ج. مسائل نحوية عرضها من غير ترجيح :

ناقش العيني الكثير من المسائل النحوية وعرض فيها أقوال المذهبين ولم يرجح رأيا على آخر. أو مذهبا على مذهب ومن النماذج في ذلك مايلي :

*حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" ﴿ **لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ،ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى...**﴾... قوله:(**ومسجد الأقصى**) بإضافة الموصوف إلى الصفة وفيه خلاف . يجوزه الكوفيون كما في قوله: (**وماكنت بجانب الغربي**)القصص 44 وأوله البصريون بإضمار المكان أي بجانب المكان الغربي، ومسجد البلد الحرام، ومسجد المكان الأقصى."[3].

* حديث ابن عباس "﴿ **تغتسل وتصلي ولوساعة، ويأتيها زوجها إذا صلت الصلاة أعظم...**﴾ ...قوله (**إذا صلت**) ليس له تعلق بقوله: (**ويأتيها زوجها**) بل هي جملة مستقلة ابتدائية جزائية في جوابها وجهان: **الأول**: على قول الكوفيين: جوابها ما تقدمها، وهو قوله: (**تغتسل وتصلي**) والتقدير على قولهم: المستحاضة إذا صلت يعني إذا أرادت الصلاة تغتسل وتصلي. **الثاني**: على قول البصريين: إن الجواب محذوف تقديره: إذا صلت تغتسل وتصلي ."[4]. وهكذا عرض العيني رأي المذهبين في جواب الجملة الشرطية ولم يرجح رأيا على رأي .

---

[1] العيني عمدة القارئ ج8/ 679. 680 كتاب الوكالة باب وكاالة الشاهد للغائب جائزة .

[2] ابن مالك، شواهد التوضيح ص 112- 114 .

[3] العيني عمدة القارئ ،ج5/564561 كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ،باب فضل الصلاة في مسجد مكة المدينة .

[4] نفسه ج3/ 178. 179 كتاب الحيض باب إذا رأت المستحاضة الطهر .

*حديث عمر بن الخطاب قال"﴿ **كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدنية ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى عليه وسلم بنزل يوما وأنزل يوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره. وإذا انزل فعل مثل ذلك**...﴾...قوله: (**وجار**) بالرفع لأنه عطف على الضمير المنفصل المرفوع أعني قوله "**أنا**" وإنما أظهر "**أنا**" بصحة العطف حتى لايلزم عطف الإسم على الفعل .هذا قول البصرية. وعند الكوفية: يجوز من غير إعادة الضمير ،ويجوز فيه النصب على معنى المعية."[1]. إنه بالرغم من إعراب العيني الحديث على المذهبين معا في كثير من المواضع فإن بميل في اختياراته وترجيحايه كما بيدو واضحا منا خلال الاستقراء إلى المذهب البصري فإنه احتج في الأغلب بأئمتهم. واحتكم إلى قواعدهم وعاد إلى مصادرهم يستقي منها ويسلك في ذلك سبيل المشاهير: كابن مالك وابن هشام وغيرهما كما رأيته يستجدم مصطلحاتهم في مباحثه النحوية وهذا أمر له ما يبرره حيث أن حضور النحو البصري وشيوعه كان مشهودا بشكل عام فضلا عن وفرة مصادره وشيوخه وأقطابه في عصر العيني حتى حيل إلي أنه في الإمكان أن يفرد ب

البحث عن النحو البصري في التحليل النحوي عند العيني من خلال كتابه عمدة القارئ

***نتائج الفصل:**

[1] نفسه ج1/144. 145كتاب العلم باب :التناوب في العلم .

وبعد هذه الجولة النحوية والسياحة في رحاب الحديث الشريف، وفي ختام هذا الفصل يمكن أن أسجل بعض النتائج :

1.عناية العني بالنحو التطبيقي لم تؤثر على عناية بالنحو النظري وذلك من خلال عرضه للقواعد النظرية في كثير من المواضع .

2.رسخ العيني مسألة تلاحم الإعراب والمعنى أثناء شرحه للأحديث.

3. عناية العيني بالنحو الكوفي لم تمنعه أن ينافض آراءهم .يرد عليهم في مسائل مختلفة.

4. ترجيحات العيني للمسائل النحوية الخلافية كانت بصرية في أغلبها.

5. اعتماد العيني في باب الأدوات وحروف المعاني على مغني اللبيب لا بن هشام في الغالب الأعم .

6. حضيت حروف المعاني والأدوات بحصة الأسد في التحليل النحوي عند العيني حتى أنها لتصلح أن تُفْرد ببحث مستقل لبيان أثرها في شرح الحديث الدلالي.

الخاتمـة

وبعد : هذا غيض من فيض ، وقليل من كثير مما أورده العيني في شرحه من المسائل اللغوية والقضايا النحوية التي اكتظت بها جوانب هدا السفر النفيس وسوف لن أدعي أنني قد أحطت إحاطة تامة بهذه المسائل، ولكن ما قدمته من نماذج متنوعة وكثيرة حول المسائل المعجمية والدلالية من جهة، والقضايا الصرفية من جهة ثانية ،و البحوث الصرفية ثالثة لكفيل إن يميط اللثام عن المنهج اللغوي الذي رسمه العيني لنفسه وهو يتناول صحيح البخاري بالشرح والتحليل . ولقد كان التمهيد المفسر عن منهج البخاري في صحيحه، ثم التفصيل عن المنهج الذي سار عليه العيني في كتابه يعد أمرا ضروريا يعبد الطريق أمام إبراز معالم المنهج اللغوي في شرح الحديث النبوي عند الإمام العيني ثم كانت مناقشة إشكالية الاستشهاد بالحديث الشرف في الدرس النحوي إشكالية وجدت لها موضعا مناسبا في ثنايا هذا البحث على اعتبار أن الموضوع برمته حاول أن يجد نقاط التقاطع بين الثقافة الحديثية والثقافة النحوية. وإمامنا العيني قد استطاع بإحاطته بالثقافتين ، ودرايته بالعلمين إن يستخدم اللغة في شرح الحديث الشريف .

وفي ختام هذا البحث، وفي نهاية هذا المشوار توصلت إلى جملة من النتائج نذكرها في مايلي:

1/ امتزاج ثقافة العيني الفقهية وثقافته النحوية واللغوية في شرحه لصحيح البخاري، حيث أخرج شرحا خلط فيه بين الثقافتين وأكد الروابط الوثيقة بينهما .

2/ إن المنهجية التي التزمها العيني في شرحه لم تحترم في نهاية الأجزاء كما كانت في بدايتها حيث قل حضورها وبقى منها شيئ عن رجال الحديث والمعاني المستفادة والأحكام المستنبطة وهذا له مايبرره .

3 / إن البحوث اللغوية والقضايا النحوية كانت حاضرة بكثافة في الأجزاء الأولى من شرح العيني ولكن بدأ صوتها يختفي في نهاية الأجزاء، وهذا ربما مرده إلى المدة الطويلة التي استغرقها الشرح والتي نيفت على 27 عام، ثم الأحاديث المكررة في الكتب والأبواب مما يستدعي الشارح أن يمر عليها مرورا عابرا .

4 / قدم هذا البحث شخصية أخرى للإمام العيني وهي الشخصية النحوية واللغوية بعد أن عرفه الناس بشخصيته الفقهية ، ويمكن أن يقدمه بعض الباحثين في التاريخ مؤرخا لأنه كتب شيئا ثمينا يستحق البحث بشهادة كبار المؤرخين .(ألف 18 كتابا في التاريخ والتراجم و السير) .

5 / غزارة المصادر اللغوية التي رجع إليها العيني أثناء الشرح وهذا يؤكد استثماره لمعارفه اللغوية وثقافته النحوية في شرح أحاديث الصحيح، وقد أحسن توظيفها في استنباط الأحكام وبيان الفوائد وعليه يعتبر العيني من أبرز المحدثين الذي وظفوا اللغة العربية وعلومها في خدمة الحديث النبوي .

6 / احتجاج الإمام العيني بالأحاديث النبوية عند مناقشته للقضايا النحوية يؤكد أنه ينتمي إلى مذهب المحتجين بالحديث الشريف في الدرس النحوي، وأنه من المناصرين لهذا الرأي

7/ قدم العيني في شرحه نموذجا متميزا في إعراب الحديث الشريف يضاف إلى ما ألفه بعض القدامى في هذا الشأن على ندرته.

8/ إن المنهجية التي قدم بها العيني شرحه للحديث يمكن إن يستفاد منها في مجال تعليمية العلوم الشرعية على وجه العموم، وتعليمية الحديث الشريف على وجه الخصوص .

9/ غلب على العيني أثناء التحليل النحوي ميله إلى المذهب البصري، ولكن لم يظهر عليه التعصب لآرائهم ، في المسائل الخلافية فقد كان منفتحا على مدارس نحوية أخرى لا سيما المدرسة الكوفية .

10/ لم يتبن العيني مذهبا معينا أثناء عرضه ومناقشته للبحوث الصرفية من شرحه، حيث رجع إلى المذاهب المختلفة ولم يتعصب لمذهب بعينه .

11/ تبقى بعض القضايا في شرح العيني بِكْرا تحتاج إلى بحوث مستقلة يمكن أن تقترح على طلاب الدراسات العليا وهي تتعلق بالدرس البلاغي في عمدة القارئ وأثره في شرح الحديث ،وتعليمية الحديث الشريف عند الإمام العيني من خلال عمدة القارئ وغيرها ..

فهرس المصادر والمراجع

I. الكتب العربية والمترجمة:

"القرآن الكريم برواية ورش عن نافع"

1. إبراهيم السامرائي، **التطور اللغوي التاريخي**، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1981م.
2. إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، مطبعة لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1952م.
3. إبراهيم أنيس، **في دلالة الألفاظ**، دار الكتب، القاهرة، ط1، 1997م.
4. أثير أبو السّعادات مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث**، تح: محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، (د-ت).
5. أحمد عبد الرحمان حماد، **عوامل التطور اللغوي**، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1983م.
6. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، مكتبة دار العربية، الكويت، ط1، 1982م.
7. الأزهري محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تح: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1964م.
8. الإستراباذي نجم الدين محمد بن الحسن الرضي، **شرح الكافية**، تح: محمد نور وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
9. الأصفهاني أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مكتبة الخانجي، القهرة، (د-ت)
10. الأصفهاني الراغب، **مفردات غريب القرآن**، تح: محمد سيد كيلاني، نشر مكتبة المرتضوية طهران، (د-ت).
11. الأصفهاني الراغب، **مفردات غريب القرآن**، تح: محمد سيد كيلاني، نشر مكتبة المرتضوية طهران (د-ت).
12. الآمدي علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1982م.
13. امرؤ القيس، **ديوان امرؤ القيس**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1958م.
14. ابن الأنباري أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر، بيروت، ط1، 1982م.

15. ابن الأنباري محمد بن القاسم، **الأضداد**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر الكويت، 1960م.
16. ابن الأنباري، **الإغراب في جدل الإعراب**، تح: محمد سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية دمشق، 1957م.
17. ابن الأنباري، **لمع الأدلة**، تح: عطية عامر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1963م.
18. أولمن ستيفن، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط12، 1997م.
19. برجشتراسر جوت هالف، **التطور النحوي للغة العربية**، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.
20. بشار عواد معروف، **الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام**، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرة ط1، 1976م.
21. البهنساوي سالم علي، **السنة المفترى عليها**، دار البحوث العلمية، للنشر والتوزيع الكويت ط4، 1992م.
22. بوبو مسعود، **أثر الدخيل على اللغة العربية الفصحى في عصر الاحتجاج**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982م.
23. بوبو مسعود، **دراسات في اللغة**، جامعة دمشق، 1984م.
24. تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1989م.
25. التواتي بن التواتي، **القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي**، دار الوعي الجزائر، ط1، 2008م.
26. التيمي عبد القادر، **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م.
27. الجابري فخر الدين أحمد بن الحسن، **شرح الشافية**، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1994م.
28. الجرجاني عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د-ت).

29. جرير، **ديوان جرير**، شرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة 1981م.

30. ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، تح: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت (د-ت).

31. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.

32. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

33. ابن جنى أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 2003م.

34. ابن جنى أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ط2، (د-ت).

35. الجواليقي أبو منصور، **المعرب من الكلام الأعجميّ على حروف العجم**، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1995م.

36. ابن حاجب النحوي، **الإيضاح في شرح المفصل**، تح: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني بغداد، 1982م.

37. حاجي خليفة، **كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة (د-ت).

38. حاكم مالك الزيادي، **الترادف في اللغة**، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980م.

39. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار المعرفة بيروت

40. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري**، تح: محمود عبد السلام هارون دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

41. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1976م.

42. ابن حجر العسقلاني، **انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري**، تح: حمدي عبد المجيد السلفي وصبحي بن جاسم السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1988م.

43. حسان بن ثابت، **ديوان حسان بن ثابت**، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1984م.

44. الحطيئة، ديوان الحطيئة، دار صادر، بيروت، (د–ت).

45. الحملاوي أحمد بن محمد بن أحمد، **شذا العرف في فن الصرف**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2000م.

46. الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

47. أبو حيان الأندلسي، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تح: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1998م.

48. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، **التذييل والتكميل لشرح التسهيل**، دار الكتب العلمية القاهرة، ط2، (د–ت).

49. ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ط4 1981م.

50. خديجة الحديثي، **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1988م.

51. خديجة الحديثي، **دراسات في كتاب سيبويه**، وكالة المطبوعات، الكويت، (د–ت).

52. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د–ت).

53. أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، **مسند الطيالسي**، دار المعرفة، بيروت، (د–ت).

54. الرامهرمزي القاضي الحسن بن عبد الرحمان، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، تح: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1971م.

55. الرديني، محمد عبد الكريم، **مختصر علوم القرآن**، دار الشهاب، الجزائر، (د–ت).

56. رمضان عبد التواب، **فصول في فقه اللغة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1994م.

57. الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق، **حروف المعاني**، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م.

58. الزحيلي وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الفكر، سوريا، ط1، 1985م.

59. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر بيروت، ط3، 1980م.

60. الزمخشري جار الله، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (د–ت).

61. الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تح: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط2، (د–ت).

62. سامي الجميلي، **الدراسات النحوية في عمدة القارئ للعيني**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ط1، 2008م.

63. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، تح: أوفيستكونروغرافير، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د–ت).

64. السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1996م.

65. السخاوي، **الذيل على رفع الأصر**، تح: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، 1960م.

66. ابن سراج أبو بكر محمد بن سهل، **الأصول في النحو**، تح: عبد الحسين الفقلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988م.

67. السكاكي أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

68. السكسكي أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تح: محمد بن علي بن الحسين الأعرج الحوالي، وزارة الإعلام، صنعاء، ط1، 1983م.

69. سيبويه ، **الكتاب** ، تح: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، ط 1 1999م.

70. سيبويه عمرو بن عثمان، **الكتاب** ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988م.

71. ابن سيده علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تج: مصطفى السقا وحسين نصّار، شركة مكتبة ومطبعة الباي، القاهرة، ط1، 1958م.

72. ابن سيده، **المخصّص**، دار الفكر، بيروت، (د–ت).

73. السيوطي جلال الدين، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة الرياض، ط1، 2003م.

74. السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1987م.

75. السيوطي، **الأشباه والنظائر في النحو**، تح: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية بيروت ط1، 1999م.

76. السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تحرير فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت 1927م.

77. السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1980م.

78. الشافعي، **ديوان الشافعي**، تح: محمد عفيف الزغبي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1974م.

79. شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم، بيروت، ط3، 1983م.

80. الشوكاني محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، تح: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، بيروت، 1998م.

81. الصبّان، **حاشية الصبّان على شرح الأشموني**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د-ت).

82. صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم الملايين، ط4، 1980م.

83. ابن صلاح أبي عمرو بن عبد الرحمان بن عثمان بن موسى بن أبي النضر، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، تح: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، (د-ت).

84. ابن صلاح، **المقدمة**، تح: إسماعيل زرمان، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1، 2007م.

85. طاهر الجزائري الدمشقي، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1996م.

86. عباس حسن، **النحو الوافي**، (د-ت).

87. عبد الجبار عبد الرحمان، **ذخائر التراث العربي الإسلامي**، دار الكتاب العربي، بيروت 1981م.

88. عبد الحفيظ منصور، **فهرس محفوظات المكتبة الأحمدية بتونس**، دار الفتح للطباعة والنشر بيروت، ط1، 1969م.

89. عبد الله أمين، **الاشتقاق**، مكتبة الخانجي القاهرة، 2000م.

90. عبيدة معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د-ت).

91. العسكري أبو عبد الله بن سعيد، **تصحيحات المحدثين**، تح: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية القاهرة، ط1، 1402هـ.

92. أبن عصفور علي بن موض بن محمد بن علي الاشبيلي، **شرح جمل الزجاجي**، تح: صاحب أبو جناح، جامعة القاهرة، مصر، 1971م.

93. ابن عقيل بهاء الدين عبد الله المصري، **شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطابع المختار الإسلامي، القاهرة، ط20، 1980م.

94. ابن عقيل، **المساعد على تسهيل الفوائد**، تح: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط2، 2001م.

95. ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة بيروت، ط2، 1979م.

96. عمر بن أبي ربيعة، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1978م.

97. العيني ، **عقد الجمان**، تح: محمد محمد الأمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987م.

98. العيني بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث، بيروت، (د–ت).

99. العيني، **البناية في شرح الهداية**، تح: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2000م.

100. العيني، **السيف المهنّد في سيرة الملك المؤيد شيخ محمودي** ، تح: فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى زيادة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003م.

101. العيني، **العلم الهيّب في شرح الكلم الطيّب**، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د–ت).

102. العيني، **العلم الهيّب**، تح: خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض

103. العيني، **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م.

104. العيني، **شرح المراح في التصريف**، تح: عبد الستار جواد، دار الكتب المصرية

105. العيني، **شرح سنن أبي داود**، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د–ت).

106. العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تح: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1989م

107. العيني، **عمدة القارئ**، إشراف ومراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، 2005م.

108. العيني، **فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد**، المطبعة الكاستيلية الزهراء، القاهرة 1297هـ.

109. العيني، **كشف القناع المرنى عن مهمات الأسامي والكنى**، تح: أحمد محمد نمر الخطيب مركز النشر العلمي، جدة، ط1، 1991م.

110. العيني، **معاني الأخبار في رجال معاني الآثار**، دار الكتب المصرية، القاهرة،(د-ت).

111. العيني، **ميزان النصوص في علم العروض**، تح: محمود محمد العامودي، مطبعة مقداد ،غزة (د،ت)

112. العيني، **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، تح: تميم ياسر بن إبراهيم، دار النوادر، سوريا، ط1، 2008م.

113. ابن فارس أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تح: مصطفى الشويمي مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1963م.

114. فايز الدّاية، **علم الدلالة العربي**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1985م.

115. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر، **تقويم البلدان**، تصحيح ماك كوين ديسلان دار الطباعة السلطانية، باريس، 1980م.

116. القاسمي محمد جمال الدين، **قواعد التحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1399هـ.

117. قباوة فخر الدين، **تصريف الأسماء والأفعال**، جامعة حلب، ط1، 1978م.

118. ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تح: محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.

119. ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية القاهرة1954م.

120. ابن القيم الجوزية، **الوابل الصيّب ورافع الكلم الطيّب**، تح: إسماعيل الأنصاري، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، (د-ت).

121. الكتاني محمد جعفر، **الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة**، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1400هـ.

122. ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، دار الأندلس، بيروت، ط8، 1986م.

123. الكشميري محمد أنور، **فيض الباري على صحيح البخاري**، مطبعة حجازي، القاهرة 1983م.

124. لبيد بن ربيعة، **ديوان لبين بن ربيعة**، تح: حنا نصر الحتى، دار الكتاب العربي، بيروت 1993م.

125. ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت (د-ت).

126. المالقي أحمد عبد النور، **رصف المباني في شرح المعاني**، تح: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم دمشق، ط2، 1985م.

127. ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي، **شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح** تح: طه محسن، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، 1985م.

128. ابن مالك، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي القاهرة 1967م.

129. ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة ط1، 1982م.

130. ابن مالك، **شرح عمدة الحافظ وعدّة اللّافظ**، تح: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني بغداد، 1977م.

131. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت، (د-ت).

132. محمد الأنطاكي، **دراسات في فقه اللغة**، دار الشرق العربي، بيروت، ط4، 1969م.

133. محمد المبارك، **فقه اللغة**، مطبعة جامعية، دمشق، ط1، 1960م.

134. محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات** تح: أسد الله، إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، قم، (د-ت).

135. محمد حسين آل ياسين، **الدراسات اللغوية عند العرب**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1 1980.

136. محمد عيد، **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات**، عالم الكتب، القاهرة، 1981م.

137. محمد محي الدين عبد الحميد، **دروس في الصرف**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1958م.

138. المرادي الحسن بن قاسم، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تح: فخر الدين قباوة ومحمد فاضل دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1983م.

139. معتوق صالح يوسف، **بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث**، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط1، 1987م.

140. المقري أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 1999م.

141. أبو المكارم علي، **أصول التفكير النحوي**، مطابع دار العلم، بيروت، 1973م.

142. منقور عبد الجليل، **علم الدلالة**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001م.

143. الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد، **مجمع الأمثال**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط3، 1972م.

144. نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، تح: جبرائيل سليمان جبور، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د-ت).

145. النحاس أبو جعفر، **إعراب القرآن**، تح، زهير غازي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط3 1988م.

146. النسائي أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن، **السنن الكبرى**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، ط2، 1980م.

147. النووي ، **صحيح مسلم بشرح النووي**، تح: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا القاهرة، ط1، 2003م.

148. النووي محي الدين أبو زكرياء، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الكتاب العربي، بيروت 1987م.

149. ابن هاشم طه شلاش وآخرون، **المهذب في علم التصريف**، بيت الحكمة، بغداد، 1989.

150. ابن هشام الأنصاري، **أوضح المسالك**، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت 2000م.

151. ابن هشام الأنصاري، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد

152. ابن هشام الأنصاري،**تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد**، تح: عباس مصطفى الصالحي المكتبة العربية، ط1، 1986م.

153. ابن هشام الأنصاري،**نزهة الطرف في فن الصرف**، تح: أحمد عبد الحميد هريدي، مكتبة الزهراء القاهرة، 1990م.

154. ابن هشام جمال الدين الأنصاري، **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5، 1975م.

155. ابن يعيش موفق الدين النحوي، **شرح المفصّل**، عالم الكتب، بيروت، (د-ت).

156. ابن يعيش، **شرح الملوكي في التصريف**، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط1 1973م.

II المجلات والدوريات:

1. شريقن مصطفى ، **من إيحاءات اللفظ المترادف ودلالته في القرآن الكريم**، مجلة الآداب واللغات جامعة الأغواط، الجزائر، العدد7، فيفري، 2011م.

2. العامودي، محمود محمد، **وسائل الفئة في شرح العوامل المائة لبدر الدين العيني**، تحقيق، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد5، العدد2، يوليو 1997م.

3. كرم محمد زردنح، **وسائل التعريف في مسائل التصريف لبدر الدين العيني**، تحقيق، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد 15، العدد2، يوليو 2007م.

III الرسائل الجامعية:

1. أنجب غلام نبي بن غلام محمد ، **الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية** ، الرسالة الجامعية بإشراف عبد الله درويش ، كلية التربية للبنات مكة المكرمة 1989 م.

2. صلاح الدين سعيد حسين ، **التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي المقطع – الكلمة – الجملة** رسالة جامعية بإشراف سامي عوض ، جامعة تشرين سوريا 2009 م .

3. محمد جمال القباني ، **المجاز والنقل في اللغة دراسة تأصيلية** ، رسالة جامعية بإشراف مسعود سعيد بوبو ، جامعة دمشق ، دمشق 1991 م.

4. موسى سالم إبراهيم أبو جليدان ، **بدر الدين العيني ومنهجه النحوي في كتابة عمدة القاري شرح صحيح البخاري** – دراسة نحوية تحليلية ، رسالة جامعية بإشراف عبد الهادي عبد الكريم محمد برهوم ، الجامعة الاسلامية غزة فلسطين 2009 م.

5. ناعش عايدة ، **أسلوب الإستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين** – دراسة نحوية بلاغية تداولية ، رسالة جامعية بإشراف بوجمعة شتوان ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو الجزائر 2012 م.

6. هدي محمد صالح عبد الجبار العبيدي ، **الدرس الصرفي بين ابن حجر العسقلاني في فتح الباري والعيني في عمدة القاري** ، رسالة جامعية بإشراف هاشم طه شلاش النعيمي ، جامعة بغداد العراق 2004 م.